



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كليـــة العلوم الإجتماعية والإنسانية

إعــــــــتـناق البـــربـر للإســــــــــلام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
تخصص الدين والمجتمع

من إعداد الطالبة:
شنعة خديجة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
رابـــــح لونيــــسي

لجنة المناقشة:

أ.د عبد القادر بوعرفة جامعة وهران...رئـــيســـــا.
أ.د رابــــح لونـــيسي جامعة وهران...**مشرفا مقررا.**
أ.د فــاطمة بــــلهواري جامعة وهران...**عضوا مناقشا.**
أ.د عبد القادر خــــليفي جامعة وهران...**عضوا مناقشا.**

السنة الجامعية: 1432 -1433 هـ
2011-2012 م

الــــمقدمــــة

المقدمة

1) تحديد الموضوع:

يعتبر بحث إعتناق البربر للإسلام من أهم وأصعب مواضيع بحث التاريخ الإسلامي، حيث يدخل ضمن تخصص مدرسة الدكتورالية "الدين والمجتمع" أي ضمن سياق الدين تحديدا الإسلام ودراسة المجتمع ألا وهو السكان الأصليون لشمال إفريقيا البربر أو الأمازيغ وهذا في فترة التاريخ الوسيط أي في عهد الفتوحات الإسلامية مّما يثير إشكالية هامة والإجابة عنها تقتضي التوغل في المجتمع البربري او بالأحري الأمازيغي ، وبالتالي فهم طبيعته وخصائصه.

2) طرح الإشكالية:

إن ظهور الإسلام ببلاد البربر لهو إشكالية في حد ذاتها، حيث وجدت ظاهرة فريدة من نوعها لم يشهد التاريخ مثلها ولن تتكرر مع أي مجتمع وتتمثل في إعتناق جل البربر الإسلام، صحيح بعد فترة طويلة من مرحلة الفتوحات الإسلامية وهذا بالمقارنة ببلاد المشرق لكن النتيجة كانت مذهلة، إذ أن بلاد المشرق ورغم قصر مدة الفتح قد أنتجت تلك الفتوحات أقلية مسيحية متمسكة بدينتها وهذا لم يحدث ببلاد البربر، رغم أن هؤلاء قد دان بعضهم بالدين المسيحي قبل إعتناقهم للإسلام.

ومن خلال تفحص سيرورة التاريخ عند البربر يستخلص أنهم قوم ليسوا من المتساهلين في المعتقد والدليل تمسكهم بالمذهب الدوناتي وصراعهم مع سلطة روما رغم أساليب الإضطهاد التي مارستها، ومنه ومع مرور آلاف السنين ما زالت بلاد البربر ثابتة على الإسلام تبوثا لم يضعفه لا الإستعمار ولا مرور الزمن. وبالتالي، فإشكالية إعتناق البربر للإسلام أنتجت مجموعة أسئلة سوف نحاول الإجابة عنها:

أولا: لماذا تصدى البربر للعرب الفاتحين ووجدت مقاومات عنيفة ضدهم؟ ثم بعد ذلك إعتنق كل البربر الإسلام؟

ثانيا: إذا كان المسلمون الفاتحون مستعمرين لماذا بقي الإسلام راسخا في بلاد البربر دون الأشكال الأخرى المختلفة من أنواع الإحتلال والإستعمار التي عرفتها

بلاد البربر قبل الفتوحات الإسلامية (الرومان، الوندال، البيزنطيون) وبعد الفتوحات الإسلامية (الإستعمار الفرنسي، الإسباني، والإيطالي).

ثالثا: إذا كان الإسلام قد إنتشر عنوة أي بقوة السيف، وبذلك أحدث إندثار الديانات السابقة، فلماذا لم يتمكن الإستعمار في بلاد البربر من القضاء على الدين الإسلامي وهذا طوال قرن من المحاولات الجادة. أي لماذا لم ينجح الإستعمار سواء الفرنسي أوالإسباني أو الإيطالي إحلال المسيحية وإعادة مجد الكنيسة الإفريقية محل الإسلام واللغة العربية مثلما حل الإسلام والعربية محل المسيحية واللاتينية في الأول قبل أربعة عشرة قرنا؟

رابعا: لماذا إعتنق جل البربر الإسلام ولم يتبقى فيهم أقلية مسيحية مثلما حدث في المشرق(الاقباط في مصر و ألارمن الكاثوليك في بلاد الشام) رغم أن البربر ساهموا في فكر وفلسفة المسيحية ذاتها أمثال القديس "أغوستين" والقديس "دونا" و"أريوس" وغيرهم كثيرون.

ولهذا وضعنا فرضيتين لحل إشكالية إعتناق البربر للإسلام :

الفرضية الأولي :إعتناق البربر للإسلام هو إجبار،أي إكراه(بقوة السيف)خاصة المعارك التي خاضها الفاتحون الاوائل منهم عمرو بن العاص، عبد الله بن سعد، معاوية بن حدّيج ،عقبة بن نافع وغيرهم .

الفرضية الثانية : إعتناق البربر للاسلام كان بأسلوب الإقناع ، أي علي سبيل البيان والحجة أو بعبارة اخري "***بالتي هي أحسن***" حيت ان العقيدة لا تقوي عليها إلا عقيدة مثلها أو أقوى منها .

3) خــطة البحـــث:

ولكي نعالج هذه الاشكالية تم إتباع الخطة التالية إذ قُسم البحث الى مدخل وثلاث فصول :

ففي المدخل ركزنا على ماهية البربر وهذا من خلال التطرق الي مفهوم مصطلح البربر تاريخيا ولغويا إذ تم الاعتماد علي قواميس اللغة العربية ومنهم لسان العرب

لإبن منظور ثم إنتقلنا الي مواطن مختلف قبائل البربر وقد وجدنا صعوبة في ذكرها بسبب كثرة ترحالهم وكثرة بطونهم و طول مدة الدراسة .

أما الفصل الاول فقد تطرقنا الي تحديد مدلول مصطلح **"الفتح"** نفسه ثم الي مختلف مراحل الفتوحات الاسلامية وهذا بالاعتماد والتركيز بالدرجة الاولي علي مصادر الاخباريين العرب تحديدا من فترة عمرو بن العاص الي موسي بن نصير وتوقفنا عند مرور جيش طارق بن زياد الي ضفة أوروبا (الاندلس) .وكان في كثير من الاحيان سردي إخباري مع مقارنة بسيطة في بعض الاحيان بين مختلف المصادر.

اما الفصل الثاني فقد كان الاصعب في التدوين حيت يعتمد أساسا علي التحليل وإستخلاص العوامل الخارجية لإعتناق البربر للاسلام والتي تركز علي العوامل الخارجة عن نطاق البربر فمثلا العوامل التاريخية الخارجية تتمتل بوجود حضارة قرطاجة والتي ركز عليها الغربيون كثيرا خاصة غوتيه .

أما الفصل الثالث فيعتمد هو الاخر علي التحليل والاستخلاص وركزنا من خلاله على العوامل الذاتية للبربر في إعتناق الاسلام أي العوامل النابعة من خصوصية المجتمع وطبيعته، حيث ان لكل شعب من شعوب العالم وضعُ ومكانُ وخصوصية ولهذا إرتأينا أن نركز في الفصل الثالث علي العوامل التي تمس ذّاتية، تركيبة وخصوصية مجتمع البربر و بتالي فهم طبيعته وقد جمعت في العوامل التالية:

- تاريخية، سياسية، اقتصادية استراتيجية، إجتماعية، وأخيرا دينية إذ إعتبرنا الاخيرة من أهم العوامل خاصة منها عنصر **الفطرة** و تمسك المجتمع البربري بخصوصيته (الأعراف) والتي إكتسبها علي مدي قرون وقرون والتي لا تتنافي مع مبادئ الدين الاسلامي الحنيف بطبيعة الحال .

4) المنــهــج المتبع في البــحــث :

إن طبيعة البحث، إعتناق البربر للإسلام تتطلب تطبيق المناهج التالية :

1)المنهج المقارن : يقوم هذا المنهج علي جمع المادة التاريخية المتناترة بين مختلف المصادر والمراجع وبتالي المقارنة بين مختلف وجهات النظر التي تعددت (حيث انه هناك من إعتبر مجئ العرب الفاتحين الي بلاد البربر

غزوا ودخولهم الي الاسلام إكراها، وهناك من إعتبره فتحا وإعتناقهم للاسلام إقناعا).

2)المنهج التحليلي الإستقرائى: لتفسير الحقائق التاريخية المكتسبة تفسيرا علميا قائم علي التحليل والتعليل وبعيد عن العاطفة الذاتية والاديولوجية يطبق هذا المنهج ومنه الهدف منه الوصول الي الحقيقة قدر الامكان والخروج بحكم نهائي سواء بترجيح احدي الفرضيتين او بالجمع بينهما إن أمكن ذلك .

و منه كان لزاما علينا ان نعود الي الدراسات السابقة التي تطرقت الي الموضوع .

5) الدراســـات الســـابقة:

فيما يخص الرسائل الاكاديمية لم نعثر علي العدد الوافر فمعظمهم يركزون علي الفتوحات من الجانب العسكري دون توضيح عوامل الإعتناق ويكررون جملة المصادر "**أسلم البربر و حسن إسلامهم** " وكأنهم يتجنبون تعقيد الامور دون تحليل أو تفسير و لكن يجب الإشارة الي مذكرة ماجستير لطالب اوكيل مصطفي باديس كلية العلوم الانسانية قسم تاريخ، الجزائر 2005 - 2006، الذي هو الاخر تعرض الي الموضوع تحت عنوان"**إنتشار الاسلام في بلاد المغرب و آثاره علي المجتمع خلال القرن الاول هجري** " أما المراجع فقد صادفنا وجود مدرستين ركزتا علي هذا الموضوع مدرسة عربية اسلامية نابعة من المشرق العربي (بمصادرها القديمة ومؤرخيها المحدثين) ومدرسة إستعمارية (الاستشراقية) والمدرستين كلاهما غير موضوعيتان في كثير من الاحيان حيث نجد ان البربر قد أهينوا علي مستوى النصوص التاريخية وهذا من خلال هاتان المدرستان وبذلك هُمش البربر وأستعرضوا بطريقة مهينة وكأنهم شعب لم يُؤثر في تاريخه وهذا بحكم تداول الغزاة عليهم وعلى حد تعبير عبد الله العروي "***ظهر البربر كأنهم أشخاص ثانويون يشاهدون من بعيد ما يحدث علي أرضهم***" وكان هذا أول الصعوبات إذ إنعدمت وجهة نظر البربر في المصادر ومنه ومن خلال دراستنا للموضوع صادفتنا صعوبات أخري .

6) صـــــعوبات البــحـــت :

لقد صادفتنا صعوبات منهجية وأخري ذاتية .

أ) **الصعوبات المنهجية:** تمتلت اساسا فيمايلي :

1) نقص فادح في المعلومات الملّمة بالموضوع وإن وجدت فهي غالبا تركز علي الجانب السياسي أو العسكري وعدم وجود تحليل معمق لموضوع بحثنا.

2) بعد المصادر عن فترة الحدث ومنه عدم وجود مصادر متزامنة مع الحدت وهو الفتوحات الاسلامية ببلاد البربر حيت ان أقدمها لعبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب **"فتوح مصر والمغرب والاندلس"**257 هـ

3) هذا البعد الزمني بين المصادر والحدث أدى الى إتسام المصادر العربية بجانب اسطوري وكذا وجود تناقض في السنوات، الاماكن وحتى الاسماء في بعض الاحيان.

4) شساعة بلاد البربر وتعدد قبائلها وبطونها وإختلاف مواطنها بإختلاف الفترات التاريخية فنجد صنهاجة في شمال تارة ونجدها في الجنوب(الصحراء) تارة اخري وهذا علي سبيل المثال لا الحصر.

5) أردنا ان نخصص الفصل الثالث للانعكاسات فوجدنا اننا سنخوض في متاهات إشكالية أخرى وهي التعريب حيث نلاحظ فرقا شاسعا بين ألاسلمة والتعريب إذ أن الأولي كانت علي وتيرة أسرع من الثانية فأصبحت بلاد البربر جلها مسلمة في حين لم تتعرب كلها لحد يومنا هذا، وهنا إرتأينا ان نحل اشكالية اعتناق الدين الاسلامي لا إشكالية إحلال الهوية العربية محل الهوية الامازيغية أو تبني الهوية العربية ، كما أننا سنجد انفسنا نواجه تكرار بعض العوامل فعلى سبيل المثال لا الحصرالانعكاسات تتمتل في تكوين دول اسلامية بربرية (الرستمية، بني مدرار...الخ) وهذا ما تطرقنا إليه في العوامل الاستراتيجية عند خوضنا في مفهوم المدن والحواضر وكذا العوامل السياسية عند خوضنا لدور دعاة الخوارج .

ب) الصعوبات الذاتية : تمثلت أساسا في :

ـ ضيق الوقت مع وجود إرتباطات مهنية أخري خاصة ان موضوع كهذا يتطلب تفرغا كليا وقراءة معمقة لحساسيته لكن فضولنا دفعنا لخوض غمار هذا البحث ودراسته موضوعيا قدر الإمكان .

وبتالي فدراسة هذا نوع من المواضيع التي تهتم بتاريخنا ينقلنا الي أفاق جديدة للبحث العلمي ذات بُعد وهدف مستقبلي .

7) أفــــاق البـــــــــــحث :

إن دراسة التاريخ لا تشكل فقط دراسة تفاصيل الماضي وإنما تقدم لنا مفتاحا للمشاكل المطروحة في حياتنا الحاضرة إذ أن التاريخ هو تعبير عن كبرياء الشعوب وهنا أقتبس مقولة لدكتور هشام الصفدي في مقاله نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر " ***الشعوب كالأشجار الحية تزداد مقاومتها للأعاصير كلما رسخت جذورها في أعماق الأرض"*** ،فالدراسات التي تم مطالعتها من خلال انجاز البحث سواء المستشرقين او المشارقة لم تكن تلتزم لا بدقة ولا بالموضوعية سواء عن قصد (مثلا المستشرقين لإمرار مشروعهم الاستطاني الاستعماري أوعدم قصد للمشارقة لعدم معرفتهم كفاية بخصوصية المجتمع المغاربي)، وهنا لزم علينا أن لا نترك غيرنا يكتبون تاريخنا. وبالتالي يضعون من خلال مؤلفاتهم مختلف إديولوجياتهم التي و بدون شك لن تخدم أهدافنا في الإزدهار ،التطور والرقي .

ومنه لا بد أن نعوض ما فاتنا من تجاهل لتاريخنا ونفض الغبار عنه وندونه نحن أبناء الوطن ولا ندع الآخرين يحكمون علينا، وهنا لزم أن أتوقف لأبلغ شكري وإمتناني للأستاذ الدكتور رابح لونيسي حيث يعود له الفضل في إثارة الموضوع والاشكالية وقد إتسم ببعد أفاقه ومنهجه العلمي ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة، إذ أنه في بادئ الامر كانت لدينا نظرة ضيقة للموضوع لكن بعد قراءة المصادر والمراجع أعجبنا الموضوع وأثارنا الفضول لمحاولة حل الاشكالية وهذا ما جعلنا نحاول أن نقف موقف الحياد بين مختلف المصادر والمراجع لا نرجح احدا عن احد، بل كل

همنا إصابة عين الحقيقة بأساليب دقيقة وعبارات مفهومة، ونرجوا ان نكون قد وفقنا في هذا.

وفي الاخير أملي أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق ،وقدمنا ما يفيد ،ولا ننسي كل من أمدنا بالعون والمساعدة وما أكثرهم وعلي رأسهم المشرف المقررالاستاذ الدكتور رابح لونيسي .

ولقد حاولنا في هذا البحث أن نجيب علي بعض الاسئلة ولا نزعم أننا قد حققنا كل ماهو مطلوب في هذا المجال وكل ما نزعمه هو أننا حاولنا ،وإن لم نصب فأعتقد أننا قد أثرنا الموضوع وسيأتي من سيتطرق إليه بشكل أوسع وأعمق بعدنا وأن يصحح ما قد وقعنا فيه من أخطاء عند السرد ، التحليل او التفسير حيث نتمني أن يكونوا من أبناء هذا الوطن الغالي .

ولقد حاولنا أن نكون موضوعيين قد الإمكان في كل مرحلة من مراحل البحث وفي كل ما كُتب من قول أو تفسير أو تحليل أو حتى إستخلاص بعيدين كل البعد عن مختلف الاديولوجيات، وليس لنا هدف سوى أن نضيف إلى البحث العلمي في الجزائر هذا الإسهام المتواضع والحمد لله أولا وأخيرا وصّلي اللّهم علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين ومن إهتدى بهداه الي يوم الدين.

"أمنت بالله ربّا ورضيت بالاسلام دينا و بمحمد صلي الله عليه وسلم نبيا ورسولا "

الفقيرة لله : الطالبة شنــعة خديـجة

المدخل: ماهية البربر

I- مفهوم كلمة البربر

II- أصل البربر

III- تقسيم قبائل البربر

IV- مواطن البربر

المـــــدخل: ماهية البربر

I- مفهوم كلمة "بربر":

يعتبر البربر[1] من أقدم السكان الذين استوطنوا بلاد المغرب او بالأحرى السكان الأصليون، ويمكن رد أصل تسمية كلمة البربر إلى عدة روايات تداولها أغلب المؤرخين قسمت في مجملها إلي خمسة روايات تعطي لكل واحدة منها مفهوما خاصا لكلمة "بربر":

الرواية الأولى : أصل الكلمة روماني

ترجح فئة من المؤرخين[2] الذين أرخوا لأصل كلمة بربر إلى الحضارة الرومانية بعدما إستمدوا معناها من اليونان حيث يقال أن مصدرها الكلمة اليونانية فارفاروس" Varvaros" وهي تعني اللغط والكلام غير مفهوم إذ يعنون بها كل اللذين لا يتكلمون لغتهم ومع انتقال موازين القوى العالمية إلى الحضارة الرومانية إستعارو الكلمة من اليونان وأطلقوا بدورهم علي كل الشعوب والقبائل الخارجة عن نفوذهم بمصطلح البرابرة "Barbar " أي كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية[3] إعتقادا منهم يتفوق الحضارة الرومانية عن كل حضارات العالم ،وهي نظرة تمييزية عنصرية.

الرواية الثانية: أصل الكلمة عربي

لقد ذكر عدة مؤرخين أن مدلولة كلمة "بربر" ترجع إلى الجد الأكبر لهذا الشعب. وبالتالي، أرجعوه إلى "بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار"[4]، وقد

---

[1] لقد تعددت تسميات السكان الأصليون لبلاد المغرب فأطلق اليونانيون إسم "لوبي" أما الفينيقيين فأطلقوا إسم "إفري". هذه الأخيرة أصلها أمازيغي تعني الكهف. بوزياني الدراجي سلسلة العصبية القبلية القبائل الأمازيغية ادوارها مواطنها اعيانهاج1،دار الكتاب العربي الجزائر 2007، ص. 13.

[2] بعض المؤرخين يؤكدون الفرق بين البربر والبرابرة ويرجعون كلمة "البربر" إلى الأصل العربي ومنه معظم المؤرخين العرب بما فيهم ابن خلدون استعمل مصطلح البربر اما البرابرة فالكلمة اغريقية الاصل

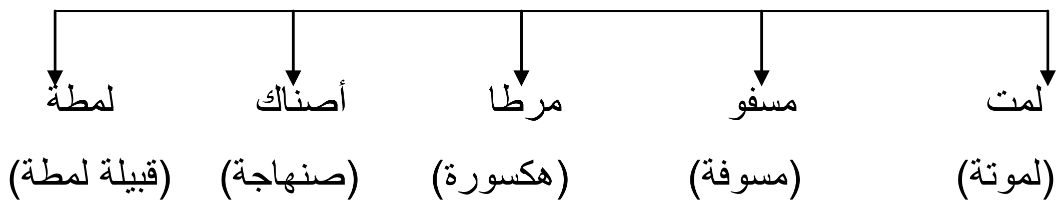
[3] G. H. Bousquet , *Les Bérbéres,* présses *Histoire et Institutions,* universitaires de France paris, 1957*,* p. 89.

[4] إبن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى العبر مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ج. 6، ص. 176 راجع ايضا الناصري، أحمد بن خالد، أبو العباس، الأستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، 1954، ص. 40 .

نسجت الرواية أن "بر" تزوج إبنة عمه "بهاء" وفر بسبب عداوة إخوته له خاصة أخيه "عمرو بن قيس" وإنتقل إلى شمال إفريقيا هو وزوجته. ومنه، تناقل الناس كلمة بربر أي خرج بر إلى البراري.

الرواية الثالثة:رواية النزوح

يزعم رواتها أن الملك "النعمان بن حمير بن سبأ" ذكر لأبناءه أنه يريد منهم تعمير بلاد المغرب فهاجروا إليها هؤولاء ومنه سلالتهم جاءت قبائل البربر المتعددة[1].



الرواية الرابعة : رواية الهجرة

تذكر هذه الرواية أن ملك من التبابعة[2] يسمى "إفريقش بن صيفي" غزا بلاد المغرب فسميت إفريقية، وهنا يذكر أنه أول من إستعمل كلمة "بربر" عندما حل ببلاد لم يفهم لغة السكان الاصليين فصرح قائلا "ما أكثر بربرتكم". تعريف البربرة في مادة برر قول إبن منظور[3] في قاموس لسان العرب هو **"كثرة الكلام والجلبة باللسان، وقيل: الصياح. والرجل بربار إذا كان كذلك، وقد بربرة إذا هدى. البربري الكثير الكلام بلا منفعة. وقد بربرة في كلامه بربرة إذا أكثر. والبربرة الصوت والكلام من الغضب، وقد بربرة مثل الثرثرة فهو ثرثار وفي حديث علي كرم الله وجهه لما طلب إليه أهل الطائف أن يكتب لهم الأمانة على تحليل الزنا والخمر فإمتنع: قاموا و تذمرو**

---

[1] بوزياني الدراجي سلسلة العصبية القبلية القبائل الأمازيغية ادوارها مواطنها اعيانهاج1،ص. 18.

[2] يقصد بالتبابعة هم العرب المستعربة من سلالة قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح 2030 ق.م. وقد تفرع إلى ثلاث قبائل التبابعة سلالة حمير المناذرة سلالة عمرو والغساسنة سلالة كهلان وقد اشتهر للعرب قبل الاسلام ثلاث دول دولة التبابعة ودولة المناذرة الموجودتان شمالا ودولة الغساسنة الموجودة جنوبا راجع مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث،الجزء الثاني،المؤسسة الوطنية للكتاب ص13 ص. 14.

[3] إبن منظورمحمد بن مكرم،أبو الفضل ، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص. 253، 254. راجع ايضا الفيروز آبادي ،محمد بن يعقوب ،قاموس المحيط ،تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان الطبعة السادسة ،1998

وبربرو،ومنه البربرة التخليط في الكلام مع الغضب والنفور، وبربرة. والبربر : جيل من الناس يقال أنهم من ولد بر بن قيس بن علان، قال ولا أدري كيف هذا، والبرابرة جماعة منهم، زادوا الهاء فيه إما للعجمة وإما للنسب وهو الصحيح، قال الجوهري وإن شئت حدفتها...وقيل البربرة : صوت المعزى" ويستعمل مصطلح بربرة الأسد بمعنى صوت غير مفهوم مع الغضب.

وتذكر هذه الرواية أن "أبرهة ذات المنار" ملك اليمن هو الذي أمر أولاده بأن يعمروا بلاد المغرب وليس "إفريقش" وإن إختلفت الاسماء إلا انهم يتفقون هؤولاء المؤرخون خاصة العرب علي رواية الهجرة

الرواية الخامسة: رواية النفي والتهجير

تركز هذه الرواية علي النفي والتهجير و أن البربر من ولد حام وأنهم جيل قديم قد سكنوا المغرب قديما ثم لحقت بهم أجناس بن كنعان من الشام عندما نفاهم "يوشع بن نون" عليه السلام أولا ثم داوود عليه السلام عندما قتل داوود ملكهم جالوت ومنه فيرجع النسابه العرب أن البربر هم خليط من الكنعانين و العمالقة نزحوا جميعا إلى بلاد المغرب بعد مقتل جالوت[1]، ومنه إتفقوا أن البربر يرجع نسبهم إلى اليمن. أو شبه الجزيرة العربية خاصة البكري والمسعودي (نظرية جلاء البربر من فلسطين) اما ابن خلدون فقد كرر ان البربر من نسل كنعان بن حام بن نوح وتحديدا من اليمن أي من حضرموت[2] وبتالي أُسند اصل اكبر القبائل البربرية الي اليمن مثل صنهاجة وكتامة اللذان لعبتا دورا هاما في تاريخ المغرب الاسلامى،صنهاجة مؤسسة دولة المرابطين وكتامة مؤسس دولة الفاطميين.

ومنه يستخلص أن تسمية البربر هي تسمية مستوردة وليست نابعة من جوهر سكان الأصليون (البربر) وكان لزم أن **نطبق النقد التاريخي** على هذا المصطلح وأن سأل البربر أنفسهم عن تسميتهم لفضلوا الأمازيغ **فالتسميات عامة للشعوب في**

---

[1] عبد الرحمن إبن خلدون، العبر، ج. 6، ص.185.

[2] عقون محمد العربي ،الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2008،ص191.

التاريخ يضعها المستعمر فمثلا إسم الفينيقيين ليس من وضع أصحابه، ولكنه من وضع الإغريق ولو سأل أحد الفينيقيين عن أسمهم الحقيقي لكانت إجابته "الصيداويون"[1] نسبة إلى مدينة صيدا.

II - أصل البربر:

لقد وجد أن البربر لا يتألفون من عنصر واحد، بل مزيج بشري[2] تكون عبر قرون وقرون، ومنه نجد أن معظم الباحثين يقسمون أصول البربر إلى أحد الفرضيات[3] التالية:

أ- الأصل الأوروبي[4]:

يري بعض المؤرخين الغربيين أن اصل البربر هندي أوروبي أي من أصل يافثي المنسوب إلى يافث بن نوح عليه السلام. واستندوا بذلك إلى الخصائص البشرية كالبياض القوقازي وكثافة الشعر، خرجوا هؤلاء في عصور القديمة من الهند ومرو بفارس ثم بالقوقاز واجتازوا شمال أوروبا ليستقروا في شمال إفريقيا.

ب- الأصل السامي[5]:

أي من أبناء سام بن نوح لايافت بن نوح فحسب الدراسات الجيولوجية فإن الجزيرة العربية موطن السامين الأوائل كانت مغطاة بثلوج في العصور القديمة وكانت اليمن مهد أبناء سام الأولين مختلطين مع أولاد أعمامهم أبناء حام فلما

---

[1] هشام الصفيدي "نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة التعليم والشؤون الدينية، الجزائر، عدد 8 ، 1972، ص. 171.

[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق الذكر، ص. 34،

[3] عثمان عكاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة الأولى، 2003، ص. 23.

[4] النظرية العمودية: (النزوح من الشمال إلى الجنوب) أي من أوروبا إلى شمال إفريقيا، محاضرات عمار يزلي، مقياس أنتروبولوجية الأديان، غير مطبوعة، السنة الأولى ماجستير، الدين والمجتمع، كلية الفلسفة، جامعة وهران، 2010-.

[5] النظرية الأفقية: (النزوح من شبه الجزيرة العربية)، محاضرات عمار يزلي، مقياس أنتروبولوجية الأديان، غير مطبوعة، السنة الأولى ماجستير، الدين والمجتمع، كلية الفلسفة، جامعة وهران، 2010-2011.

انحسرت الثلوج اشتدت الحرارة وتفرق الناس فإنتقل الفرع السامي من البربر إلى شمال إفريقيا.

ج- الأصل الحامي:

يذكر أنهم من أبناء حام بن نوح ويذكر أن بني حام[1] تنازعوا مع بني سام فإنهم بنو حام وهاجروا إلى المغرب. ومنه، إتفق هؤلاء النسابة أنهم من ولد قبط[2] بن حام وأنه لما نزل مصر خرج أبناءه إلى بلاد المغرب أي عند حدود مصر وذلك فيما وراء برقة إلى المحيط[3]

د- الأصل المزدوج[4]:

يذهب أصحاب هذه النظرية أن البربر ينتسبون إلى سلالتين سلالة الأصل الاوروبي(هي الهندية الأوروبية) التي نزحت إلى إفريقيا من آسيا ثم أوروبا وسلالة ثانية سامية. ومنه، إلتقت السلالتان مكونة بذلك عنصر "البربر" ويستدلون في ذلك بوجود إختلاف بالخصائص البشرية[5] عند البربر من لون البشرة، الشعر، العيون، وكذا شكل الجمجمة.

ومنه نستخلص ان الإشكال ما زال مطروحا وان أصل البربر كثرت فيه النظريات والفرضيات القائمة علي النزوح الهجرة والنفي والتهجير كل هذا بهدف نفي الاصالة عنهم فوق أرضهم للوصول الي نتيجة تخدم مصالحهم بإختلاف إديولوجياتهم أي تمرير فكرة إستطانية وهي حق الجميع في التواجد علي أرض البربروهي فكرة خطيرة عاني منها البربر طوال حقبات تاريخية من الاحتلال الروماني الوندال البيزنطي وحتي من جور الولاة الامويين المستبدين .

---

[1] الناصري، الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ص. 60.
[2] الناصري، نفس المرجع السابق، ص. 60.
[3] لقبه الناصري بالبحر الأخضر أما البحر المتوسط فيسمى بحر الأندلس. الناصري، الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى ص. 61.
[4] نظرية التقاطع: تقاطع النظرية العمودية مع النظرية الأفقية (أي نظرية مزيج) محاضرات عمار يزلي
[5] الإختلاف نجده في الخصائص البشرية (morphologie) فمثلا نجد هناك إختلاف في الشكل بين بربر (شمال الجزائر) وبربر الطوارق (جنوب الجزائر).

وهكذا نجد أنه من الصعب[1] أن نجدا بلدا لم يذكر أن البربر أتو منه فالنسابة العرب يركزون على القرابة بينهم وبين البربر من شبه الجزيرة العربية، أما المستشرقين أو المؤلفين الأوروبيين فبدورهم يركزون على الأصل الأوروبي ليتمكنوا من تمرير مشروعهم الإستطاني الإستعماري، أما الفرضية التي لم يركزوا النسابة والمؤرخون عليها كثيرا هي ماذا لو أن الأمازيغ لم ياتو من أي بلد[2] ودليل الحفريات التي عثرت على أقدم إنسان عاقل[3] في العالم وجد بمنطقة شمال إفريقيا[4] (تحديدا معسكر)، ومنه يمكن أن تكون نظرية الأصل المحلي ذات أهمية وهذا نسبة إلى دراسات الحديثة للأنتروبلوجيين الجيولوجيين. ولنسلم أن إحدى الروايات السابقة صحيحة خاصة رواية إفريقش الذي نزل بمنطقة البربر، حيث أن انه وتأسيس لما سبق ذكره أنه سمع حديث البربر وسماهم بهذا الإسم ومعنى ذلك أن السكان كانوا موجودون قبله[5]. وبالتالي نستخلص أن البربر قوم وجدوا قبل الهجرات التي ذكرها النسابة العرب. ودليل كثرة قبائل البربر وقوة إنتشارهم في بلاد المغرب لا توحي بأنهم هاجروا إليها من أي بلد ، لكن في نفس الوقت لا يخفى أن البربر بإختلاف قبائلهم وبطونهم يختلفون من ناحية المورفولوجية (الخصائص الجسدية) فمثلا هناك فرق بين بربر الأوراس وبربر التوارق[6]، ومنه نظريات الهجرة[7] والإمتزاج لا يجب يجب أيضا إلغاءها. وبالتالي، فمصطلح البربر ليس مفهوما إثنيا[8] بقدر ما هو مفهوم لغوي كما رأينا سابقا من خلال تعدد الروايات، إذ ان المصطلح الاثني الذي يحددهم

---

[1] العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الهوية والأصول، مؤسسة تواليت 2010ص. 8.

[2] العربي عقون، المرجع السابق، ص. 8.

[3] الإنسان العاقل هو إنسان ما قبل التاريخ وبعدها جاء العصر الباليوثي الأعلى إين تميز بوجد إنسان العاقل - العاقل وهو صانع الحضارة أي خصائص الإنسان الحالي.

[4] شارل أندري جوليان،تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الاقصي من الفتح الاسلامي الي سنة 1830 الجزء الاول ،تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ،الدار التونسية للنشر 1983 ص. 30.

[5] العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب ،الجزائر باتنة 1986ص. 21.

[6] يذكر أنهم سموبهذا الإسم المشتق من توارك لتركهم المسيحية إلى الإسلام، راجع عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة ،الطبعة التانية 1965، بيروت لبنان، ص. 61.

[7] نستدل في هذا بالحديث النبوي الشريف "الناس سواسية كأسنان المشط كلكم من آدم وآدم من تراب.لا فرق لعربي علي عجمي إلآ بتقوي"

[8] راجع في هذا الصدد

M.G. Olivier, *Recherches sur l'origine des bérbéres , éditions lodyssée , 2009* .

هو أمازيغ لانهم هم أنفسهم فضلوه ،وهذا ما سنراه لاحقا من خلال تقسيم شعوب قبائل البربر.

III- تقسيم شعوب البربر:

ترتكز أمة البربر جغرافيا ما بين برقة والمحيط الأطلسي شرقا وغرب وما بين السودان والبحر الأبيض المتوسط شمالا وجنوبا. ويتفق أغلب علماء الأنساب أن البربر يجمعهم فرعان وهما برنس[1] ومادغيس (الأبتر)[2] هؤولاء أولاد مازيغ[3] الذي هو من ولد كنعان بن حام بن نوح، حيث تذكر المصادر أن وفد من البربر إنتسبوا إلى مازيغ عندما سألهم الخليفة عمر بن خطاب عن نسبهم ولم يذكر الوفد أنهم بربر وإنما ذكروا أن جدهم الأكبر مازيغ وأن ليس لهم مدائن .

وبالتالي، يذكر الناصري[4] في تقسيم شعوب البربر نقلا عن إبن خلدون[5] أن البربر جدهم الأكبر مازيغ إبن كنعان بن حام بن نوح[6] وقد إنقسموا إلى فرعين نسبة إلى جديهما وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر ومنهما تفرعت قبائل البربر فقبائل البرانس تنقسم إلى عشرة (10) قبائل كبرى وهي: أزداجة[7]، أوربة[8]،

---

[1] البرنس أحفاده البرانس مستقرون يعيشون على الزراعة وهم البربر الحضر الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة

[2] البثر : هم البربر الرحل سكان البادية يعيشون على الرعي والتنقل، ويرجع المؤرخون تسميتهم إلى جدهم البثر أو إلى قصر لباسهم مبثور.يذكر الدكتور احمد مختار العبادي ،تاريخ المغرب والاندلس ،دار النهضة العربية، بيروت لبنان ص15"من الغريب أن نلاحظ ان تقسيم البربر الي مجموعتين بدو والحضر أي بثر وبرانس نجده أيضا عند العرب عندما قسموا الي قحطانيين وعدنانيين فالاولون ينتمون الي أصل يمني (حضر أهل حضارة) اما العدنانيون اصل بداوة " ومن خلال هذا نستخلص ان البربر والعرب متشابهان في الانماط الاجتماعية وهذا عامل من عوامل إعتناق البربر للاسلام (العوامل الاجتماعي

[3] مازيغ الجد الأكبر للبربر وتعني الحر و يذكر أيضا النسب الشريف أو الأرستقراطي، والبربر أنفسهم يفضلون هذا الإسم لأن كل الأسماء السابقة أعطت لهم من التدخل الأجنبي الذي حل ببلادهم. راجع بوزياني دراجي، مرجع سابق ذكره، ص. 12.

[4] الناصري، الاستقصا في اخبار المغرب الاقصي ،ص. 64.

[5] إبن خلدون، العبر،ج. 6، ص. 177، 178.

[6] إذا سلمنا برواية أن أصل البربر من نسل حام.

[7] أزداجة لم تذكر المصادر إسم جدهم الأكبر لكن نسجل أنهم هم الذين أسسوا دولة ناكور التي سنتطرق إليها في العوامل الإستراتيجية.

[8] أوربة هم أبناء أورب بن برنس بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج. 2، ص. 11. ستتلعب هذه القبيلة دورا هاما أثناء فترة الفتح الإسلامي.

أوريغة[1]، صناهجة[2]، عجيسة[3]، كثامة[4]، كزولة[5]، لمطة[6]، مصمودة[7]، هسكورة[8] . أما هسكورة[8] . أما القبائل البترية[9] فتنقسم إلى أربعة (04) قبائل رئيسية وهي ضريسة ونفوسة، أداسة، لواتة.

ومنه كل قبيلة من هذه القبائل الأربعة عشرة تفرعت الي بطون وقبائل أخرى لا حصر لها، وهنا يجدر الذكر أن الامازيغ قدماء في وطنهم وقد إنحدروا من بقايا إنسان شمال إفريقيا القديم الذي كشفت عنه الحفريات،ودليل علي ذلك كثرة عدد قبائلهم وإنتشارهم علي كامل تراب بلاد المغرب الإسلامي[10].

IV- موطن البربر:

لمعرفة مواطن البربر لزم رسم حدود البربر في الجهات الأربعة، ومنه فالمنطقة المراد دراستها تشمل كل قبائل البربر، حيث نجدهم يتمركزون حسب أغلب المؤرخين من غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي[11] شرقا ومن البحر المتوسط

[1] أوريغة هم ابناء أوريغ بن برنس خلف أربعة ابناء قلدن، مغز، ملد، هوار، هؤلاء أوجدوا بطون فبيلة أوريغة بوزياني الدراجي، ص. 16.

[2] صناهجة : نجد أن هذه القبيلة لا تتفق المصادر حول جدهم الأكبر لكن تتفق أنهم أوفر القبائل عددا ويزعمون أنهم يمثلون تلث الأمازيغ وبطونهم تصل إلى سبعين بطن. بوزياني الدراجي، نفس المرجع السابق، ص. 54.

[3] عجيسة: هم أبناء عجيسة بن برنس بوزياني الدراجي، المرجع سبق ذكره، ص. 129.

[4] كتامة: هم من أبناء كتام أو كتم بن برنس وبطونها تنحدر من أبناء كتام وهما غرسن ويسودة وعنهما تفرعت بطون كتامة كلها. بوزياني دراجي، المرجع سبق ذكره،ص 142.

[5] كزولة وتذكر في بعض المصادر جزولة وجدهم الأكبر غير معروف مواطنهم أرض سوس، المغرب الأوسط إذ ينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت. بوزياني الدراجي، المرجع سبق ذكره، 173، 178.

[6] لمطة : هي الأخرى لا يعرف جدهم الأكبر ومن بطونها قبيلتين زكن ولخس مواطنها تمتد بجوار مواطن الملثمين الصنهاجيين (الصحراء). بوزياني الدراجي، المرجع سبق ذكره، ص. 178.

[7] مصمودة : يذكر بوزياني دراجي أن نسبهم فيه نوع من الإلتباس فنسابة العرب يتجاهلوتسلسل نسبهم من أمثال إبن جزم في حين يذكر إبن خلدون أنهم من نسل مصمود بن يونس بن بربر ومن بطونهم الشهيرة برغواطة، غمارة وأهل حبل درن بوزياني دراجي، المرجع سبق ذكره، ص. 182.

[8] هسكورة : هم من ابناء تصكي العرجاء ولا يعرف لهم أب مذكور في المصادر لعبوا دورا تاريخيا في دولة الموحدين لها عدة بطون. بوزياني الدراجي، المرجع السابق الذكر، 225. أيضا إبن خلدون، العبر، ج.6، ص. 420، 424.

[9] القبائل البترية: سيتم التطرق إليها عند التعرض للغوامل المساعدة لإعتناق البربر الإسلام.

[10] لقد إستعمل هذا اللفظ عدة مفكرين مغاربة أمثال هشام جعيط، عبد الله العروي موسي لقبال مستدلين في ذلك أن العربي يقصي الفئة من سكان شمال إفريقيا وهي البربر في أن المصطلح المغرب الإسلامي مصطلح جامع موحد.

[11] المحيط الأطلسي سمي سابقا بـ " بحر الظلمات" لابتعاد اليابسة فيه. ومنه، عدم وجود إنعكاس لضوء الشمس.

شمالا إلى دول إفريقيا ما وراء الصحراء. وبالتالي، فالإطار المكاني يتحدد بإقليم شمال غرب إفريقيا، إذ أننا كلما إتجهنا غرب كثر عددهم. ومنه فالحدود هي كالآتي:

1) الحدود الشرقية لمواطن البربر:

أغلب المؤرخين والجغرافيين[1] من بينهم الإصطخرى، المقدسي، الإدريسي يجعلونها ما بين برقة والإسكندرية.

2) الحدود الشمالية والغربية لمواطن البربر:

فلا نجد إشكالية في تحديدها لأنها عبارة عن مسطحات مائية إذ تتمثل الحدود الشمالية في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط أما الحدود الغربية فتتمثل في المحيط الأطلسي .

3) الحدود الجنوبية لبلاد البربر:

فيما يخص الحدود الجنوبية فإن الرأي الراجح لدى (معظم) المؤرخين يتفقون عموما على أن الصحراء كانت دائما تشكلها أي أن بلاد البربر تمتد جنوبا إلى بلاد السودان، إلا أنه على مر التاريخ قد سميت بلاد البربر بعدة أسماء منها ليبيا[2]، إفري[3]، إفريقية[4]، نوميديا[5]، موريطانيا[6] وآخرها بلاد المغرب[7].

---

[1] بن عميرة محمد ،الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2008 ص11

[2] ليبيا : تسمى من طرف هيرودوت المؤرخ والرحالة الإغريقي أي الإقليم الجغرافي الممتد من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي وأطلق على سكانه الليبيين. إسماعيل العربي، صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد 8، 1972، ص. 143.

[3] الإفري: هم السكان الذين يسكنون الكهوف والمغارات وأصلها "إفرت" كلمة أمازيغية تعني الكهف وقد أطلقت هذه التسمية من طرف القرطاجيون الذين كانوا يقصدون بها من كان يتبع سلطانهم مباشرة. راجع د. موسى لقيال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتي إنتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم ،الطبعة الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981، ص. 13.

[4] إفريقية : يرى إبن خلدون أن الكلمة مشتقة من إسم الملك (الحميري) "إفريقش" بن صيفي بن سبأ الذي نزل بأرض البربر بعدما قتل ملكهم جالوت وبتحطيم قرطاجية عقب الحرب البونيفية الثالثة (149-146 م) وإنتساب السلطة الرومانية البروقنصلية للدلالة على المناطق التابعة مباشرة للقرطاجنين وقد إتسع مدلول كلمة إفريقية ويصبح شاملا للمنطقة برقة إلى المحيط في عهد البيزنطيين. إسماعيل العربي، المقال السابق الذكر، ص. 148.

[5] نوميديا: ظهر المصطلح في عهد السلطة الرومانية للدلالة على مناطق المتوسطة التي تليها إفريقية، وكانت مستقلة.به مماليك البربرالخارجين عن حدود الامبراطورية الرومانية (الليمس). غوستاف لوبان، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر،دار إحياء الثراث العربي ،بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة ،1979ص. 300.

[6] موريطانيا : للدلالة على المنطقة الغربية التي تلي نوميديا وهي الأخرى كانت مستقلة عن الرومان عن اليمس. غوستاف لوبان، تفس المرجع السابق، ص. 300.

[7] المغرب: مصطلح يرتبط ظهوره بعصر الفتنة بين علي ومعاوية أي قبل منتصف القرن الأول الهجري للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي ويشمل مصر بملحقاتها أما مصطلح المغرب على نطاق شمال إفريقية إن لم يدخل حيز التنفيذ إلا في القرن الثالث (3هـ) هجري ويطلق على نطاق شمال إفريقية من سلوم إلى طنجة.

ومن هنا لزم الإشارة أن تحديد مواطن مختلف قبائل البربر يصعب نوعا ما خاصة قبائل البتر بسبب ترحالهم، وكذا لأن البربر بقبائلها وبطونها كان أمة واحدة[1] وتشعبت بسبب إختلاطها في المدن والقرى والبوادي فأصبحنا نرى مثلا زناتة أو هوارة أو صنهاجة او لواتة أو نفوسة وغيرها في المغرب الأدنى (طرابلس) تم نراها في المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى وهكذا دواليك. وبالتالي، نستطيع أن نركز على أماكن[2] قبائل البربر الكبري التي لعبت دورا هاما في التاريخ الاسلامي حيث كانت المحرك الاساسي في تأسيس دول إسلامية(الفاطميين اسست من طرف قبيلة كتامة اما المرابطون فاسست الدولة من طرف قبيلة لمتونة)

أ- المغرب الأدنى: تسكنه خمسة شعوب من أقسام البربر الكبرى.

- لواتة: من برقة إلى سرت
- هوارة: من سرت إلى طرابلس
- نفوسة: غرب مدينة طرابلس وجنوبها
- زناتة: جنوب طرابلس تجاور نفوسة

ب-إفريقية (تونس) نفزاوة: جنوب مدينة كاف إلى قسنطينة

ج- المغرب الأوسط (الجزائر)[3]:

- كتامة: من سكيكدة شرقا إلى بجاية غربا.
- زواوة: غرب بجاية إلى شرق مدينة الجزائر
- جراوة: جبال الأوراس.
- صنهاجة: شرق مدينة الجزائر إلى غرب مليانة و جنوب مسيلة.
- زناتة: شرق مليانة إلى وادي ملوية غربا ونجدها في تلمسان أيضا.
- لواتة: نواحي تيارت، جبال الأوراس، وبجاية.

أزداجة: إقليم وهران

د- المغرب الأقصى:

[1] محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير ج2 ،دار إحياء الكتب العربية القاهرة مصر 1963ص.43
[2] محمد علي دبوز ،نفس المرجع السابق. ص. 44
[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، ص. 54.

- شماله : قبيلة غمارة

- فاس: أوربة

- وسط المغرب الأقصى وجنوبه: جبال درن مصامدة

هـ - الصحراء:

- صحراء المغرب الأقصى: نجد صنهاجة

- غرب صحراء المغرب الأوسط: هوارة[1] وكذا قبائل زنانة.

وعلى العموم فإننا نجد على الأغلب البرانس في السواحل اما البتر في الوسط والجنوب بسبب معاشهم الإقتصادي. وعليه، لزم الإشارة أنه هناك فارق[2] بين المفهوم الغربي للوطن ومفهوم القبلي للوطن. فالغرب ينظر إلى الوطن على أنه رقعة جغرافية ذات حدود أي رقعة ثابتة نشعر بالغربة عند الإبتعاد عنها وتعلق بهذه الأرض شعور عاطفي، أما البربر فهم على شكل قبائل أي مجموعة بشرية جاءت نتاج أجيال متعاقبة لا تحتاج إلى إطار إقليمي في تحقيق وجودها وإنما هي عرق وفئة بيولوجية أي أن الإنساب هي أساس الروح القبلية، ولهذا السبب فإننا نجد صعوبة في تحديد مواطن ومراكز البربر الجغرافية، إذ أن أي قبيلة من البربر في بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه كل هذه الرقعة وطنهم، فأينما تجد القبيلة معاشها وهناءها وسعادتها[3] فهو وطنها تحط فيه الرحال وتستقر فيه وتنصهر ضمن سكان القبائل البربر الآخرون، ومنه كثرت أقسامهم وبطونهم فأصبح عددهم لا يحصى ولهذا السبب لا يمكن تحديد مواطن البربر بدقة متناهية وعلى الأرجح فهي عموميات لمواطنهم لأن القبيلة الواحدة لها عدة بطون فنجدها في الغرب، وكذا نجدها في الوسط ثم نجدها في الشرق. فعلي سبيل المثال لا الحصر قبيلة صنهاجة نزحت من الشمال الي الجنوب وإتخدت الصحراء معقلها لها وهذا بسبب ظروف تاريخية سنتكلم عنها بإسهاب في حينها[4].

---

[1] تنسب معظم قبائل البربر إلى جدهم الأكبر فمثلا قبيلة هوارة نسبة إلى جدهم "هوار بن أوزيغ "وبتالي فالقبيلة تأخذ إسم الجد الاكبر.ؤبتالي البطون هي قبائل لابناء الجد الاكبر وهكذا دواليك ، بوزياني الدراجي قبائل الامازيغية، ص89.

[2] إ ف غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني ،مؤسسة تواليت 2010 ص. 145.

[3] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص. 45.

[4] سنتطرق الي قضية إسلام الملثمين وهم انفسهم قبيلة صنهاجة ببطونها الثلاث (لمثونة مسوفة وجدالة) .

الفصل الأول: ظروف إعتناق البربر للإسلام

I - مدلول مصطلح الفتح

II - مراحل الفتح الاسلامي في بلاد البربر

1- مرحلة الحملات الإستكشافية (السرايا)

أ- المحاولات الأولى في زمن ولاية عمر بن العاص على مصر

ب-حملة عبد بن سعد بن أبي سرح

ج- حملة معاوية بن حديج على إفريقية

2- مرحلة الفتح المنظم

أ- الفترة الأولى (50-64هـ)

- ولاية عقبة بن نافع الأولى
- ولاية أبي مهاجر دينار
- ولاية عقبة بن نافع الثانية.

ب-الفترة الثانية (69-90هـ)

- حملة زهير بن قيس البلوي.
- حملة حسان بن نعمان
- ولاية موسى بن نصير

خلاصة الفصل الأول

الفصل الأول: ظروف إعتناق البربرللإسلام:

I- مدلول مصطلح الفتح:

يمكن للملّم بفقه اللغة ان يعطي لمصطلح الفتوحات عدة تأويلات أو شروح وذلك لأن اللغة العربية حمالة أوجه حيث أنه كما ورد في لسان العرب [1] في مادة فتح" **إن الفتح هو إضهار دين الاسلام بالنصر علي العدو ولم تذكر الوسيلة، حيث يفسر الازهري الفتح أي قضينا لك قضاءا فيما إختار الله لك من مهادنة أهل مكة في صلح الحديبية و قد جاء التفسير ان الفتح هو صلح الحديبية وكانت فيه آية عظيمة إذ ان هذا الفتح جاء من غير قتال"** غير أن تسييس التاريخ خاصة التاريخ الاسلامي أعطي لمصطلح الفتح بعدا متضاربا المتمثلة في الحملات المظفرة التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام تحت راية الإسلام لكن المصطلح بهذا المعنى لا يفيد الإحتلال بمعناه الحرفي والمادي، بل أنه يشير أولا إلى إنتفتاح القلب والعقل على الإسلام، كما يشير ثانيا إلى الصلح والسلام حتي مع أعداء الاسلام وبتالي التغلب على العقبات والوصول إلى قلوب ونجد الدليل على هذا المعنى في سورة الفتح[2] التي تبدأ بأية هي مصدر هذا الإستعمال المجازي "**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** (١) **لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** (٢) **وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** (٣)". ولم تنزل هذه الآيات وما تلاها بعد نصر عسكري، بل بعد عقد صلح الحديبية مع أهل مكة كما سبق الذكر ، وهكذا ظل الجدل قائما بين فئتين ،فئة الذين إدعو ان الفتح حملات عسكرية مستدلين بذلك بقوله تعالي في **سورة التوبة :" قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ الآخرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍۢ وَهُمْ صَٰغِرُونَ (29) " صدق الله العظيم.**

---

[1] ابن منضور ،لسان العرب ،القاموس السالف الذكر،ص.3338

[2] إبن الكثير، تفسير القرآن العظيم ،مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر ،الجيزة القاهرة ،المجلد 13 ،ص 84"سورة مدنية نزلت في طريق عند الانصراف من حديبية في ذي القعدة من سنة 6هـ حين صده المشركين من الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى مصالحة والهدنة. وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه كما روي عن إبن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال" **إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح حديبية".**

لكن الملاحظ أن الآية الكريمة لا تتضمن مصطلح الفتح ’وبين الفئة الذين إستعملوا مصطلح الفتح في الدعوة والصلح و المهادنة وتأسيسا لما سبق ذكره فإن مصطلح "فتوحات"[1] اساسا هي الناحية المعنوية لنشر الاسلام ، أما كون تلك الفتوحات قد قامت على عمليات ذات طبيعة عسكرية، أو ترافقت معها. فهو أمر يتصل بذلك الجانب من الفتوحات العسكرية، لكن حسب رأينا مغزى الفتوحات كان يرتقي فوق تلك العمليات لأن الدنيا – بكل ما فيها من سلطة وثروات مادية لم تكن جزءا من الغاية على الإطلاق- من أجل ذلك كان المسلمين الأوائل على إستعداد للإبقاء على السلطة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على سابق عهدها ولم يكن يعنيهم سوى الوصول إلى قلب عدوهم وعقله –وإقناعه بحقيقة الإسلام، وإذا لم يقتنع المخاطب، فكل ما كان يطلبه المسلمون أن يتاح لهم الوصول إلى الآخرين لإقناعهم بالرؤية الإسلامية وبذلك يتم نشر الاسلام.

II - مراحل الفتح الإسلامي في بلاد البربر

1- مرحلة الحملات الإستكشافية (السرايا) (21-49هـ / 642-669م)

أ- المحاولات الأولى في زمن ولاية عمرو بن العاص على مصر:

بعدما فتحت مصر رأي الخليفة عمر بن الخطاب تأمين الحدود الغربية من تهديد الإمبراطورية البيزنطية أنذاك. ومنه، فإن إستهدافها ومحاصرتها من جميع الجهات قد يؤدي إلى شل حركتها[2] وتفويض مساحتها. وبالتالي، المحافظة على ما تم فتحه من مناطق (الشام ومصر). وعليه، أول من دخل إفريقية[3] غازيا في زمن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) عمرو بن العاصي، وكان قد فتح مصر سنة 20هـ (640-641م) وأرسل منها عقبة بن نافع إلى إفريقية ففتحهما. وعليه، توجه عمرو بن

---

[1] د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لوس لمياء الفاروقي، ترجمة د. رياض نور الرياض، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان المعهد العالمي للفكر الإسلامي الرياض السعودية، الطبعة الأولى، 1998، ص. 293.

[2]عبيد بوداود الأمن الفكري ودور المؤسسات المغرب العربي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بين الأهداف والصعوبات، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف2010 . ،ص. 106.

[3] استعمل العرب في بداية مصطلح إفريقية للدلالة على البلاد التي تلي مصر غربا وفي بداية الفتح لم تتعد هذه البلاد ليبيا وتونس حاليا. المرجع السابق. ص. 105.

العاص بنفسه إلى برقة[1] سنة 21 هـ/ 641م[2] فحاصرهم ودخلها عنوة (وهم بربر لواثة)[3] وهنا خيرهم بين الجزية وبين أخذ أبنائهم رهائن[4]، ثم وجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار كما يذكر البلاذي في كتابة فتوح البلدان ما بين برقة وزويلة للمسلمين وبعث خطابا يخبر الخليفة عمر بذلك ويذكر**" إن مابين برقة وزويلة سلم كلهم وحسنه طاعتهم"**[5] وفي سنة (22هـ/ 642-643م)[6] أو (23هـ/ 643-644)[7]، وصل عمرو بن العاص إلى طرابلس وحاصرها مدة شهر فإقتحمها ويذكر إبن عذاري في كتابه بيان المغرب أن أهل طرابلس أثناء حصارهم إستعانوا بقبيلة نفوسه من البربر وكانوا كل من أهل طرابلس وقبيلة نفوسه تدين بدين النصرانية وعندما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عمر يقول له **" إن الله فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية[8] إلا تسعة أيام. فإن رأي أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتقدها الله على يديه فعل"**[9]. ومنه، أجابه الخليفة عمر بن الخطاب قائلا:**" إنها ليست إفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"**[10]. والذي يمكن استخلاصه من كل هذه الروايات أن المعلومات التي توفرت عن إفريقية للخليفة عمر لم يشجعه آنذاك على مد حركة الفتح الإسلامي غرب مثلث، برقة، زويلة، طرابلس[11] . لكن جميع المعلومات عن إفريقية لم يتوقف، حيث يذكر إبن عبد الحكيم (فتوح إفريقيا):**" فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل، كما كانوا**

---

[1] سميت عند الرومان بنطابلس.

[2] نجد اختلاف في السنوات. راجع إبن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس، الجزء الأول،تحقيق ومراجعة ج سكولان ،إليفي بروفنسال ،دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة الثالثة،1983ص. 8. والبلاذري ،فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال ،بيروت لبنان الطبعة الاولي 1983ص. 26.

[3] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر شركة الامل للطباعة والنشر القاهرة الجيزة ، ص. 34.

[4] عامل من عوامل اعتناق البربر للإسلام ،سنتطرق له في العوامل العسكرية .

[5] البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص.264، 265.

[6] ابن عذاري المراكشي البيان، الجزء الأول، ص. 8. البلاذري، فتوح البلدان، ص. 266.

[7] البكري،ابي عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي ،القاهرة مصر،ص. 8.

[8] يقصد بإفريقية المدينة وليس الإقليم (العاصمة) سبيطلة مقر جرجير

[9] البلاذري فتوح للبلدان، ص. 266، إبن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ، ص. 40.

[10] إبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص. 40، البلاذري فتوح البلدان، الجزء الأول، ص. 266. ويرى البلاذري وصف إفريقية بالغادرة لأن أهلها كانوا يغدرون بملك الروم كثيرا ووصف بمغدورة لأن ملك الأندلس كان قد صالحهم ثم غدر بهم. ومنه، نستنتج أن الخليفة عمر قد أحيط علما بأحوال إفريقية السياسية عندما استشارة عمرو بن العاص في أمر فتحها. د. بن عميرة محمد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 35.

[11] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 36.

يفعلون في أيام عمرو، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون"[1]. ومن خلال هذه الحملات الاستكشافية أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزو إفريقية وذلك سنة 25 هـ (645- 646م)[2].

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3] (غزوة سبيطلة سنة 28هـ وفتح مناطق عديدة من إفريقية)

تذكر المصادر أن عبد الله بن سعد عندما ولى مصر " كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون كثيرا من الانفس والاموال"[4]، وبسبب الغنائم الكثيرة إستأذن عبد الله ين سعد الخليفة عثمان في غزو إفريقية فواقفه على المضي إلى الإمام فتحرك نحوها على رأس عشرون ألف مقاتل[5]. بعدما ترك عقبة بن نافع ينوب عنه في مصر وساروا إلى طرابلس ودخلوها عنوة وتقدم إبن أبي سرح نحو قابس فحاصرها ثم تخلى عنها بمشورة من أصحابه وواصل طريقه إلى موضع يسمى "قمونية"، وهنا جرت المفاوضات بينه وبين جرجير[6] مفادها إعتناق الإسلام أو دفع الجزية، فرفض "جرجير"، وأرسل إبن إبي سرح سرايا ففتح قصور ققصة وطنجة وقرطاجة ووقع في أسره أمير قبيلة " مغراوة" وسائر زناتة وزماربن صقلاب(صولات) وأرسل إلى الجزيرة العربية، حيث أسلم[7] هناك على يد عثمان بن عفان وتتفق جل المصادر أن إبن سرح غادر إفريقية بناءا على معاهدة إبرمت بينه وبين الروم[8] إفريقية مقابل مبلغ مالي وكان خطأه أنه لم يولي عليها أحدا. وهنا فصل

---

[1] ابن عبد الحكم، ص. 42، ويقصد بجرائد الحملات استكشافية أي سرايا.
[2] إبن عذاري المراكشي، البيان، ج. 1، ص. 09.
[3] هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخ عثمان بن عفان من الرضاعة حسن إسلامه بعد أن إرتد، شارك في فتح مصر إلى جانب عمرو بن العاص.
[4] إبن عذاري مراكشي، البيان، الجزء الأول، ص. 9.
[5] إبن عبد الحكم فتوح،ص. 44. المالكي رياض نفوس ص. 10، إبن عذاري مراكشي البيان، ص. 9. الجزء الأول، إبن خلدون العبر، الجزء السادس، ص. 215.
[6] "جرجير" كان ملكه يمتد من طرابلس إلى طنجة وقد إستخلفة "هرقل" على ملك إفريقية، إلا أن البطريق "جرجير" إنفصل عن ملك "هرقل" وضرب العملة بإسمه (وإتخذ) عاصمة ملكه سبيطلة.
[7] ابن خلدون العبر، الجزء السادس، ص. 215، 216.وهو عامل من عوامل إعتناق البربر للاسلام(عوامل الذاتية السياسية) .
[8] الذي تؤكد حكم إفريقية بعد مقتل "جرجير" هو جبابة أو جبادية (جناديوس)

عبد الله بن سعد إبن أبي سرح العودة إلى مصر وقد ناقش بعض المؤرخين[1] المحدثين أسباب عودته تمثلت:

1) أن معركة سبيطلة لم تفتح كل أقاليم إفريقية.
2) وجود مظاهر المعارضة على سياسة الخليفة عثمان. بداية الفتنة في المشرق أي عدم وجود استقرار سياسي يخول الاهتمام بفتح بلاد البربر
3) الخوف من هجوم معاكس للروم من جهة البحر لبلاد المغرب مع قلة عدد المسلمين هنالك.

ج- حملة معاوية[2] بن حديج على إفريقية:

تسجل بعض المصادر قيام معاوية بن حديج بحملة على المغرب سنة 34 هـ (654-655م) وكانت أول غزواتة قبل إشتعال الفتنة في المشرق وعندما تولى القيادة كان عارفا بشؤون إفريقية وطبيعة أرضها بسبب خبرته مع أبي سرح وسهل له الكثير في بلاد المغرب أن لإبن حديج ثلاث[3] غزوات، وهنا توقف الفتح الإسلامي بسبب اللإستقرار السياسي في مركز الخلافة والصراع بين الأمويين والعلويين، حيث إنتهت بإستشهاد الخليفة عثمان بن عفان، وتولى الخلافة من بعده علي بن أبي طالب الذي إستشهد هو الآخر حتى آل الحكم إلى الأمويين بزعامة معاوية بن أبي سفيان. ومنه، عين الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان على إفريقية معاوية بن حديج الكندي سنة (45هـ/ 665م) وأمره بمواصلة[4] الفتح وسار إبن حديج بقواته عبر برقة وطرابلس، حيث إنضم إلى حملة عقبة في برقة، وقام معاوية بن حديج بفتح بنزرت وبعث رويفع بن ثابث الأنصاري لفتح جزيرة جربة ففتحها عنوة سنة (47هـ/667م) وهذا من أجل حماية سواحل البلاد من الغارات الروم مما سهل على المسلمين مراقبة

[1] حسين مؤنس فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية ص. 99. عبد الحميد حبيب حمودة، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي منذ الفتح الاسلامي وحتي قيام الدولة الفاطمية،الطبعة الاولي ،دار النشر للثقافة القاهرة مصر 2007ص. 43.
[2] معاوية بن حديج: كان من الصحابة شارك مع عبد الله بن سعد إبن أبي سرح في فتح إفريقية والنوبة
[3] قام معاوية بن حديج بثلاث غزوات أولها سنة 34 هـ، والثانية 40هـ (660-661م)، والثالثة 50هـ(670-671م)، ابن عبد الحكم ، ص. 60. البيان إبن عذاري المراكشي، البيان، ج. 1، ص. 14، 15.
[4] بعث الخليفة مع معاوية بن حديج عبد المالك بن مروان ويحي بن الحكم وعبد الله بن زبير وعبد الله بن عمر إبن عذاري، نفس المصدر السابق، ص. 15.

تحركات الروم في البحر مراقبة صارمة[1]، ومن أبرز أعمال معاوية بن حديج حفر الآبار في باب تونس المعروفة بآبار[2]حديج وكذا تشييد مساكن ناحية القرن[3] كما لم ينسى معاوية بن حديج نشر الإسلام بين البربر[4] كما ينسب بعض المؤرخين فتح "جلولاء" إلى معاوية بن حديج[5].

2) مرحلة الفتح المنظم:

أ) الفترة الأولى (50-64هـ):

- ولاية عقبة بن نافع (50-55هـ) وتأسيس مدينة القيروان:

لقد قام عقبة بن نافع بحملة في صحراء طرابلس وإفريقية متزامنة مع حملة معاوية بن حديج في المناطق الساحلية.

ودان: خرج عقبة بن معاوية بن حدبج (46هـ/ 666م) إلى ودان ففتحها وفرض غرامة على ملكها.

جرمة: زحف عقبة من ودان إلى جرمة وهي مدينة فران وأرسل يدعوهم إلى الإسلام.

كوار: واصل عقبة زحفه جنوبا على قصور فزان حتى إنتهى عند كوار[6] أو خوار ومنها إنصرف عقبة إلى زويلة ومنها إلى عسكرة فوصلها بعد غياب دام خمسة أشهر. ومنه، توجه غربا إلى إفريقية وإفتتح في طريقه قصور مزاتة وغدامس وقفصة ثم وصل فيما بعد إلى المكان الذي سيعرف فيما بعد بالقيروان. وهنا لزم التوقف لمناقشة إسترتتيجية عقبة، (حيث انه وبحكم مشاركة عقبة في حملات عبد الله بن سعد، إذ أنه قاد بنفسه الجيش إلى واحة غدامس كما سلف الذكر، الأمر الذي أدى بعقبة لمعرفة المغرب، وتمخض عنها رسم خطة مدروسة ومحكمة لما عين على

---

[1] عبد العزيز الثعالبي،تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الي نهاية دولة الاغالبة ،جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس ،تقديم حمادي الساحلي ،دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الاولي ،بيروت لبنان ،1990 ص. 42.

[2] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 47.

[3] "القرن" جبل عالي في جنوب الغربي من القيروان ويعرف حاليا بجبل "الباطن"، نفس المرجع السابق، ص. 47.

[4] الناصري ،الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج.1 ، ص. 39.

[5] إبن عذاري، الجزء الأول، ص. 17.

[6] إختلف المؤرخون العرب حول التسمية فمنهم من يدعم "كوار" وآخرون خوار وعند البكري "جاوان". راجع إبن عبد الحكم .

رأس الحملات العسكرية، حيث إختار وسط البلاد) فقد كان عقبة يعرف المغرب، حيث شارك في حملات عبد الله بن سعد وقاد بنفسه الجيش إلى واحة غدامس كما سلف الذكر لذا لما عين على رأس الحملات العسكرية، كانت لديه خطة مدروسة ومحكمة[1] فإختار وسط البلاد وأسس مدينة القيروان[2] سنة 53 هـ/ 652م بعد ذلك لم يتجه شمالا[3] بل إتجه شرقا (منطقة الهضاب المرتفعة) التي تشبه تضاريسها ما تعود عليها عرب شبه الجزيرة، بيد أنه لم يكتب لعقبة أن ينهي تطبيق خطته العسكرية الإستراتيجية إذ أعفي من منصبه وعين بدلا منه "أبو المهاجر دينار" ورغم توصية مسلمة برفق في عزل عقبة إلا أن "أبو المهاجر دينار" أساء[4] معاملة عقبة أثناء عزله عزله وتتفق أغلب هذه المصادر وقوع تغيير عقبة بـ"أبي مهاجر دينار" سنة 55 هـ/ 675م.

ـ ولاية أبي مهاجر دينار (55هـ/62هـ):

لقد ركزت المصادر في حديثها عن تاريخ "أبي مهاجر دينار" على علاقته بعقبة دون أن تسهب في ذكر منجزاته في فترة سبعة(07) سنوات التي قضاها على رأس ولاية إفريقية. ومنه، عندما علم الخليفة "معاوية" بما حل بـ"عقبة" كتب إلى أبي مهاجر دينار أمره بإخلاء سبيل عقبة وركزت جل المصادر على الدعوة التي دعاها عقبة على "أبي مهاجر دينار". ومنه، بمجرد فك أسر عقبة مضى إلى قصر الماء إحدى مناطق "القيروان" صلى ثم دعا:" **اللهم لا تمتني حتى أتمكن من أبي مهاجر دينار"**[5]، **دينار"**[5]، وهنا سار "أبي مهاجر دينار" على رأس جيش من أهل الشام ومصر[1] إلى

[1] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي دار البيضاء،الطبعة الثانية2009 ص. 122.
[2] كلمة "قيروان" مشتقة من اللغة الفارسية "كروان" بمعنى القافلة، وعربت على هذا الشكل أو لعلها محط الجيش، حيث أنه عندما نزل بها عقبة ركز رمحه قائلا:" هذا قيروانكم ". ونجد معاني أخرى موضع إجتماع الناس والجيش، العسكر، القافلة من الجماعة. د. عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 55. راجع ايضا حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 154،153.
[3] شمالا وجدت المدن البيزنطية الحصينة والتي سيستعمل العرب الفاتحون اسلوب الحصار العسكري
[4] يرى حسين مؤنس أن "مسلمة" هو من أمر "أبو مهاجر دينار" بالإساءة لعقبة بسبب منافسة السياسية. راجع فتح العرب للمغرب، ص. 151 أما عبد العزيز الثعالبي فيذكر حيرته، ص. 47.
[5] إبن عبد الحكم، ص. 197.

قرطاجة ورفض النزول بالقيروان وأسس مدينة تيكروان[2]، ثم إتجه بعد ذلك إلى الجهات الغربية (المغرب الأوسط)، وهنا إتخذ مركز ميلة للعمليات العسكرية، ثم تقدم إلى تلمسان، حيث حفر عدد من الآبار للتسرب والسقي وما تزال تسمى إلى اليوم عيون "إبن المهاجر"[3]، وكان من أمراء البربر أمير يدعى "كسيلة"[4] فأسلم بعد أن إنهزم أمام "أبي مهاجر دينار" وكان يدين هو وقبيلته بدين النصرانية مواطنهم المغرب الأقصى، وأقام تحالف مع الروم ورغم كثرة عدة جيش البربر والروم إلا أن "أبي مهاجر دينار" هزمهم في معركة قرب تلمسان. لزم الإشارة إلى علاقة "أبي مهاجر" بـ "كسيلة"، إذ يذكر إبن خلدون " وأسلم على يده كسيلة الأروبي". وعليه، يجب ذكر الأسباب[5] السياسية لإتخاذ "أبي مهاجر دينار" سياسة اللين بدل سياسة العنف التي إتخذها سلفه عقبة:

1) بعد نظره وسعة أفقه السياسي
2) بسبب إنتمائه لطبقة الموالي
3) تفضيله كسب صديق بدل عدو[6]، وتجب الإشارة أن دور "أبي مهاجر دينار" كان ذو أهمية في إستمالة البربر للإسلام لكن المصادر العربية والإخباريون الرواة لم يكفوه حقه من الإنجازات الهامة التي قام بها، ويرجع الباحثون[7]

---

[1] **هنا تسكت المصادر والدراسات عن كيف تعامل الفاتحون مع سكان المغرب ولسانهم عربي ولسان القوم بربري. ومنه، نتسائل كيف كان يتفاهم الفاتحون مع العرب زمن الحملات العسكرية لا تفيدنا المصادر والإخباريون العرب عن شيئ من ذلك وهنا يذكر العربي دحو في كتابه مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، ص. 56:" إلى وجود واسطة متمثلة في عرب الشام وفلسطين وكانوا قد إندمجو بالروم وتعلموا لغتهم وإما أفراد من أقباط مصر وكان هؤلاء يحسنون اللسان اليوناني ولا يفوتنا أن العرب أبقوا منهم في دواوين مصر وإضافة إلى ذلك فإن مصالح الادارة العربية في بلاد الكنانة إستعملت رسميا اللغة اليونانية في زمن الفتح إلى آخر أيام عبد الملك بن مروان. وهنا نستخلص أن الفاتحين إصطحبوا منهم أفرادا في جيوشهم المرسلة الى إفريقية وإتخذوا منهم تراجمة تسهيلا للمخابرة مع البربر".**

[2] تأسيس مدينة "تيكروان" يمكن مقارنته بما فعله مولاه "مسلمة بن مخلد الأنصاري" في الفيسطاط بمصر عندما أمر بالزيادة في مسجد الجامع وهدم ما كان بناه "عمرو بن العاص" سنة 53 هـ وأمر ببناء منارة المسجد وهو من أحدث المنار بالمساجد والجوامع، وهنا نستخلص أن هناك حساسيات بين القائدين عمرو ومسلمة. ومنه، هذه الحساسيات إنعكست على مقربتهم عقبة بالنسبة لعمرو وإلى مهاجر بالنسبة لمسلمة. راجع د. بن عميرة محمد، ص. 85.

[3] مبارك الميلي، مرجع سبق ذكره، ص. 397.

[4] هو "كسيلة بن لزم المغربي" من قبيلة أوربة (البرانس). مواطنها اساسا المغرب الاقصي فاس تحديدا

[5] موسى لقبال عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين.وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي ،دار هومةللطباعة و النشر والتوزيع ،الجزائر ،2002 ص.44.

[6] لقد تعدد في إفريقية الخصوم على الفاتحين العرب وهم الروم البيزنطيون الإفرنج وهم بقايا الرومان. الأفارقة والبربر. عبد الله العروي، ص. 25.

[7]حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 157، عبد الحميد بن حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 69.

الأسباب إلى إنشغال الرواة بعقبة وتتبع أخباره وكذا دور الفهريين من أقارب عقبة الذي كان لهم مركز ممتاز في كل من مصر، المغرب، الأندلس، وكان منهم كذلك الرواة والإخباريون لهذا نجد أن ذكر "أبو مهاجر دينار" في المصادر يقل ويركزون تركيزا كليا على إنجازات عقبة.

وأمضى "أبو مهاجر دينار" على رأس ولاية إفريقية مدة سبعة (07) سنوات. ومن ثم، عاد عقبة إلى إفريقية ليتولى أمرها في عهد الخليفة بن معاوية سنة 62 هـ (681-683م).

ـ ولاية عقبة بن نافع الثانية (60-64 هـ/ 679- 682م) وقيادته لحملته المشهورة التي أوصلته إلى طنجة وبلاد سوس وإستشهاده في معركة نهودة 63هـ[1]:

إن عودة عقبة بن نافع على رأس ولاية إفريقية يكتنفها الغموض، حيث أنه لما عزل عقبة بن نافع عن إفريقية سنة (55هـ/ 674م) رحل إلى مركز الخلافة في دمشق وإلتقى بالخليفة معاوية بن أبي سفيان وقال له "فتحت البلاد ودانت لي وبنيت المساجد وإتخذت المنازل وأسكنت الناس، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"[2]. ومنه اعتذر له معاوية ووعده بأن يرده إلى منصبه، ولكن رغم وعد معاوية إلا أن الموقف ظل على حاله إلى أن تولى "يزيد بن معاوية" الخلافة وعلم بشكوى عقبة فأعاده واليا عليها[3] وصرح له قائلا ونقصد "يزيد بن معاوية " " أدركها قبل أن تهلك وتفسد"[4]، ويقصد "القيروان" ورد عقبة إليها، وعزل "مسلمة" عنها وأقره بمصر وذلك سنة (62هـ/ 681-682م)[5]. ولما عاد إلى إفريقية سار إلى "القيروان" في عشرة آلاف فارس وعزل "أبي المهاجر دينار" فأوثقه بقيد من حديد[6] وأمر عقبة

---

[1] هذه المسألة وإنتظار عقبة سبعة سنوات لعودته إلى ولاية إفريقية، رغم أن معاوية وعده.يكتنفها الغموض والمصادر لا تحلها

[2] إبن عذاري، ج. الأول، المصدر سبق ذكره، ص. 22، 23

[3] إبن عبد الحكم، ص. 197، إبن اعذاري، ج. الأول، ص. 23.

[4] إبن عذاري، المصدر سبق ذكره، ج.1، ص. 23.

[5] المالكي ،رياض النفوس، حققه بشير البكوش ،راجعه محمد العروسي المطوي ج. الأول، دار الغرب الاسلامي ص.22. راجع أيضا إبن عذاري، ج. الأول ص.23.

[6] إبن عبد الحكم، ص. 198. راجع أيضا المالكي رياض النفوس، ج. الأول، ص. 22، إبن عذاري، الجزء الأول، ص. 23.

بإعادة تعمير القيروان وهو يدعو دعوته التي ركزت عليها جل المصادر:**"يارب إملأها علما وفقها وإجعلها عزا لدينك وذلا على من كفر بك".** وعليه، ركز جل الباحثين أن عقبة سلك سياسة مغايرة تماما لـ"أبي المهاجر دينار" ويمكن التطرق إليها في فصل الثاني من هذا البحث العوامل إعتناق البربر للإسلام.

والجدير بالذكر أن عقبة خرج لإستكمال فتح المغرب فترك على القيروان "زهير بن قيس البلوي" وزحف عقبة إلى باغاية[1] وتمكن من هزيمة البربر والروم وغنم أموالهم[2]، ثم واصل الفتح إلى بلاد الزاب ويجب التوقف هنا لأن إستلاء المسلمون على إقليم الزاب وسيطرتهم على وادي المسيلة يعد نقطة تحول حاسمة في سير الفتوحات في إفريقية، فإلى الآن كانت الحرب دائرة بين البيزنطيين والعرب في حين كان البربر جزء فقط من الصراع، فلما دخل العرب هذا الإقليم "البربري"[3] من أقاليم الداخل (الجبال) وهنا إتضحت معالم التحالف بين البربر والروم، رغم أنه معروف تاريخيا أن العلاقة بين الروم والبربر سلبية، فالروم يعتصمون بالسواحل والقلاع، وتساندهم قلة من البربر المترومين. وعليه، فالتحالف الذي جرى بين البربر والروم يمكن أن ترجعه إلى الإساءة التي أساءها عقبة إلى أمير قبيلة "أوريه كسيلة" رغم إسلامه،ضاربا عرض الحائط الحديث الشريف "إرحمو عزيز قوم ذل وعالم ضاع بين الجهال" وهنا إنتقل عقبة من الزاب إلى تاهرت[4] ونشب قتال عنيف بين الجبهتين، جبهة عقبة وجبهة التحالف الروم-البربر، ورغم كثرة هذا الأخير إلا أن عقبة إنتصر عليهم وإتجه نحو المغرب الأقصى فاتحا بذلك السوس الأدنى[5]

---

[1] باغاية: نجدها قرب جبال الأوراس.
[2] إبن عذاري البيان، ج. الأول، ص. 24.
[3] قسم " عبد الله العروي" في كتابة مجمل تاريخ المغرب ثلاث مستويات لبلاد البربر(المغرب) وهو تقسيم أفقي مغرب مفتوح وهو مغرب الخاضع الذي إحتفظت به روما ورثه الوندال والبيزنطيون وتورمن به البربر، المغرب الوسط وهو مغرب المماليك البربرية المستقلة التي حافظت على استقلالها ومغرب الصحراء، وهو معقل المغاربة المعارضون للرومان والوندال والبيزنطيون وبتالي منطقة نزوح بربر الشمال، ص.98. وهو نفس الشيئ الذي أقره د/ هشام الصفيدي في مقاله نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر، الأصالة أن هناك ثلاثية بيئية السهل، الجبل والصحراء، ص. 167.
[4] المالكي رياض النفوس الجزء الأول، ص. 24. راجع إبن عذاري، الجزء الأول، ص.25. الناصري، الجزء الأول، ص.38.
[5] يوجد السوس الأدنى في مغرب الأقصى طنجة (تارودانت)

والأقصى[1] ثم سلك طريق العودة[2] إفريقية فاتحا في طريقة بلاد دكالة إلى هسكورة[3] (أي من درعة إلى بلاد صنهاجة ثم بلاد هسكورة). وهنا نعود إلى قضية عقبة وكسيلة، حيث تذكر المصادر أن عقبة إنتقم من "أبي مهاجر دينار" بسبب قضية سوء عزله، وقد سبق الإشارة إليها، وبذلك إنتقم "عقبة" من "كسيلة" لا لشيئ إلا لأن كسيلة كان صديقا لـ"أبي مهاجر دينار" مطبقا قاعدة " صديق عدوي عدوي" ونسي أن كسيلة حديث العهد بالإسلام، وأنه من المؤلفة قلوبهم[4] الذي عاملهم الرسول (ص) من قبل معاملة خاصة[5] ليعتنقوا الإسلام، ويشير المؤرخون إلى أن "عقبة" أهان "كسيلة" وأمره بسلخ الأغنام مع السالخين، الأمر الذي جعل "كسيلة" يظهر السوء لـ"عقبة" ويتوعده سرا[6] بالثأر لكرامته. ومن ثم، نصح "أبي مهاجر دينار" عقبة بإستمالة كسيلة كسيلة بدل معاداته فأبى "عقبة" أن يأخذ بنصيحة "أبي مهاجر دينار" . ومنه لزم طرح السؤال لماذا أهان "عقبة" "كسيلة، حيث أن هذا الأخير لم تكن له علاقة بقصته وقضيته مع "أبي مهاجر دينار"، ولماذا لم يستجب عقبة لنصيحة "أبي المهاجر"؟ في الواقع أن عقبة من القادة الذين يقسون على رؤساء أعدائهم ليكونوا عبرة لأمثالهم فلا يقدم هؤولاء على محاربة المسلمين، وقد كان "خالد بن الوليد" يطبق نفس المبدأ في حربه مع الفرس والروم. فنجح خالد وفشل عقبة، لأن الفرس والروم لم يكونوا قبائل تعتز بالكرامة الشخصية وتؤمن بأخذ الثأر[7]،اما البربر فشعب يعتز بكرامته وهي من خصوصيات البربر إذ سوف نركز عليها في الفصل الثالث وتذكر المصادر أن

---

[1] تجدر الإشارة إلى أنه يعتبر السوس الأقصى موطن الصنهاجة. راجع ابن خلدون العبر، الجزء السادس، ص. 217.

[2] إبن عذاري، الجزء الأول، ص.27. 28.

[3] تذكر المصادر أنه "عقبة" بلغ المحيط الاطلسي، حيث دخل فيه حتى بلغ الماء بطن القرسي، وهنا رفع يديه إلى السماء قائلا "يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك". البيان إبن عذاري، الجزء الأول، ص. 28. وينفرد إبن عذاري أن عقبة ترك في مصامدة فقهاء منهم" شاكرصاحب الرباط" . ص.27.سنتطرق إليه في فصل العوامل العسكرية(الرباط)

[4] د. موسى لقبال، مرجع سبق ذكره، ص. 44.

[5] المؤلفة قلوبهم تعطي لهم الزكاة وهم اكابر قبائل العرب الذي، عاملهم الرسول الله رغم كفارهم معاملة خاصة لهدف استمالة قومهم مثل "أبا سفيان" زعيم قريش و"الأقرع بن حابس التميمي" ومع زعيم "كندة ".وكسيلة لا يختلف عنهم في وضعيتهم .

[6] فقد كان كلما سلخ شاه مسح يده بلحيته وجعل مما يمر به يسأله، ماذا يفعل فيجيبوهم "هذا جيد للشعر" فمر عليه شيخ من العرب وأخبرهم أن كسيلة يتوعدهم

[7] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص.72.

"كسيلة"فر من قيده الحديدي ولا تذكر في أي موضع ولا كيف تّم ذلك ، وهنا تزعم المقاومة ضد "عقبة". وجاءته فرصته لثأر لنفسه وكرامته.

وبالتالي، يستخلص من المصادر التاريخية أن أسلوب عقبة في نشر الإسلام متمثل فيما يلي: يعرض عل القبائل البربرية الإسلام، إن قبلوه ترك فيهم من يعلمهم[1] الإسلام وربما بنى لهم مسجدا وإن رفضوه قاتلهم حتى يهزمهم أو يفرو أمامه أو حتى يتحصنوا في قلاع عند ذلك يغادرهم بعدما يأخذ منهم ما وقعت عليه يداه من غنائم رغبة منه في نشر الدين الإسلامي على أوسع نطاق ممكن في أوساط القبائل التي كان لديها إستعداد لتقبله بسهولة.

وعليه، وكما سبق الذكر إستطاع "كسيلة" أن يفر وأقام تحالف مع الروم، أما عقبة فلما إنتهى إلى ثغر إفريقية وهي طبنة على بعد ثمانية أيام من القيروان وأذن لما معه من أصحابه بالإنصراف إليها (أي القيروان) ولم يبقى معه سوى عدد قليل من الناس، فتوجه بهم إلى تهودة[2] فلما وصل إليها لاحظ الروم قلة عدد من كان معه، وهنا سعوا إلى كسب القبائل البربرية والإستعانة بها في تحقيق تحالف معها ضد العرب الفاتحين. بحكم الحساسية التي تولدت بين "عقبة" و"كسيلة" فكان لابد للروم أن تستغلها احسن إستغلال[3]. وهنا يستخلص أن "كسيلة" بعد فراره من صفوف "عقبة" وهذا بعد الإهانة التي ألحقها به ولجوئه بعد ذلك إلى مدينة تهودة، حيث لقى ترحيبا ومساعدة من الروم فولاه عليها للإستعانة به ضد الخطر المحدق بهم. ونستخلص هنا أن الروم الذين كانوا يراقبون عن كثب تحركات المسلمين سارعوا بتزويد "كسيلة" بمعلومات عن قلة عددهم وسارع هو بدوره الي جمع جموع الموالين له من البربر.

---

[1] على سبيل المثال: ترك في قبيلة مصامدة صاحبه "شاكر" حتى سمي موضع في مغرب الأوسط أثناء رحلة عودة عقبة بموضع "شاكر" هذا الأخير مهمته تعليم تعاليم الإسلام والقرآن. وقيل أن معظمهم أسلموا طوعا على يديه أي شاكر. راجع ابن عذاري ، البيان، الجزء الأول، ص. 42.

[2] إبن عذاري، البيان، الجزء الأول، ص.28. العبر، الجزء 6، ص. 298. راجع أيضا الرقيق القيرواني،تاريخ إفريقية والمغرب،تقديم تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ،دار الفرحاني للنشر والتوزيع ،الطبعة الاولي 1994 ص. 47.

[3] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 101.

وخرج الجميع لمواجهة "عقبة"[1] وكانت نتيجة معركة تهودة سنة 63هـ ، بإستشهاد "عقبة" و" أبي المهاجر دينار" ومن معهم من المسلمين[2].

ومنه فإنه رغبة "عقبة" في أحرز نصر سريع وشامل للإسلام في بلاد المغرب تحريرا له من التبعية، دفعه إلى إستعمال الشدة والعنف مع السكان في أكثر من مكان، فكثر الأعداء والمتربصون والمترومين. في إنزال ضربة قاضية بالمسلمين ولم ينجوا من المسلمين في المعركة إلا عدد قليل[3]. أما النتيجة التي جاءت بعد هزيمة تهودة فتمثلت في الجلاء الأول عن مدينة القيروان، حيث أنه إثر سماع "زهير بن قيس البلوي"[4] أراد المرابطة في القيروان إلا أن حنش بن عبد الله الصنفائي[5] خالفه الرأي وفي الأخير إتفقوا على إخلاء القيروان وذهاب إلى برقة[6]، أما كسيلة فقد زحف إلى القيروان وإستولى عليها ولم يبقى فيها إلا كبار السن والنساء والأطفال وكل مثقل بالعيال(وهم مسلمون)، وأرسلوا "كسيلة" يطلبون منه الأمان، فأمنهم ودخل القيروان وأصبح "كسيلة" الحاكم[7] الفعلي لإفريقية لمدة خمسة سنوات. ويرجع معظم الباحثين والمؤرخين أسباب بقاء "كسيلة" في الحكم بالقيروان كل هذه المدة (64-69هـ) إلى الظروف[8] السياسية الصعبة المحيطة بدار الخلافة الأموية في دمشق، ولم ولم يستتب الأمر إلى عند ولاية عبد المالك بن مروان (65-86هـ)، حيث أن أمر إفريقية كان يشغل ذهن الخليفة بسبب مشاركته في الحملات العسكرية في عهد

---

1 د. بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص.109.

2 تذكر المصادر أن عدد المسلمين في معركة تهودة كان قلة زهاء ثلاثة مئة من كبار الصحابة والتابعين، إبن خلدون، العبر، الجزء السادس، ص. 269. إبن عذاري البيان، الجزء الأول، ص. 29.

3 من بين الناجين "محمد بن أوس الأنصاري" و "يزيد بن خلف العبسي. راجع السلاوي الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى، الجزء الأول، ص. 38.

4 عند إخلاء القيروان عاد "زهير بن قيس البلوي " إلى برقة مرابطا مراقبا لتغييرات سياسة

5 عند إخلاء القيروان عاد جيش بن عبد الله الصنفائي إلى مصر

6 لم يذكر "إبن خلدون" الخلاف بين "زهير" و "حنش" حول الجلاء عن القيروان وذكر فقط "مغادرة القيروان"، أما "زهير بن قيس" الذي إرتحل بالمسلمين ونزل ببرقة، حيث لحق بقصره وأقام بها مرابطا. راجع إبن خلدون،العبرج6، ص. 299.

7 المالكي رياض النفوس، الجزء الأول، ص. 28. راجع أيضا إبن عذاري البيان، الجزء الأول، ص. 31.

8 وجد فراغ سياسي في إفريقية بسبب تخبط الخلافة الأموية في مشاكل سياسية وقبلية إثر وفاة "يزيد بن معاوية" وتنازل إبنه "معاوية بن يزيد بن معاوية" (معاويةII) عن خلافة لفائدة "مروان بن الحكم" هذا الأخير إختلت موازين السياسة في أقاليم الدولة، حيث أنه في المدينة المنورة أعلن "عبد الله بن زبير" نفسه خليفة على الحجاز ومصر في نفس الوقت الذي إشتدت فيه شوكة الخوارج والشيعة. راجع عبد الحميد بن حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 78-79. راجع أيضا إبن خلدون، المرجع السابق، ص. 299:" وجود فتنة "الضحاك بن قيس" مع المروانية بمرج راهط وحروب آل زبير.وبتالي الاوضاع لم تكن مستقرة بمركز الخلافة لهذا لم يكن هناك تركيز علي بلاد المغرب

"معاوية بن حديج" . وعليه، إتخذ قرارا سياسيا بتعيين "زهير بن قيس البلوي" حاكما على ولاية إفريقية.

ب) الفترة الثانية (69-90هـ)

- حملة "زهير بن قيس البلوي" وإسترجاع القيروان سنة 69هـ وهزيمة "كسيلة" ومقتله في موقعة ممس:

إختار الخليفة الجديد " عبد المالك بن مروان" "زهير بن قيس" على رأس حملة إلى إفريقية بهدف إسترجاع القيروان وصرح قائلا **"لا يصلح للطلب بدم عقبة...إلا من هو مثله دينا وعقلا"**[1]. وبالتالي، خرج "زهير بن قيس" من برقة سنة 69 هـ إثر أوامر الخليفة لغزو إفريقية وإسترداد القيروان وتطوع عدد كبير من المجاهدين من أهل الشام وقبائل العرب[2]. و لما علم "كسيلة" بمجئ العرب إليها في حملة عسكرية حشد للقاءه جيشا ضخما[3] من البربر والروم أضعاف[4] تعداد جيش زهير ولما وصل زهير إلى إفريقية لم يدخل القيروان وعسكر على باب سالم[5] أو بقرية قرقشانة. وهنا إلتقى الطرفان خارج القيروان بمكان يدعى ممس[6]، ويجمع المؤرخون على أن معركة "ممس" بين الفريقين كانت شديدة[7] وأنه قتل الكثير في صفوف الفريقين لكن النصر كان حليف زهير وأصحابه وأسفر عن هزيمة ساحقة للبربر ومقتل زعيمهم "كسيلة". وهنا طارد جيش زهير من بني من البربر إلى مزرعة مرماجنة[8] وإتبعوهم

[1] إبن عذاري البيان، الجزء الأول، ص. 31. راجع أيضا المالكي رياض النفوس، الجزء الأول، ص.29.
[2] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص. 38. راجع أيضا إبن عذاري البيان، ص. 31،. أيضا المالكي رياض النفوس، ص. 29.
[3] يذكر المصدر التاريخي أن "كسيلة" جمع البرانس وسائر البربر أي توحدت جموع البربر ضد حملة زهير. راجع إبن خلدون، المصدر السابق الذكر، ص. 299.
[4] إبن عذاري البيان، الجزء الأول، ص. 32.
[5] الرقيق القيرواني، الرحع السابق الذكر، ص. 51.
[6] المالكي رياض النفوس، المرجع السالف الذكر، ص. 30. أيضا عذاري البيان، المرجع السابق الذكر، ص. 32. وتجدر الإشارة إلى أن "كسيلة" شاور رجاله في أمر الخروج من القيروان إلى موضع ممس، بحجة وجود مسلمين بالقيروان لهم عليه عهود فلا يستطيع الغدر بهم وفي نفس الوقت لا يثق بهم وبحيادهم في حال نشوب قتال
قتال بينه وبين "زهير ".
[7] د. بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 120.
[8] إبن خلدون، المصدر السابق، ص. 299، 300.

على ما وراء نهر ملوية من المغرب الأقصى أو من طنجة [1]، ويذكر إبن خلدون عن هزيمة "ممس" سنة 69هـ (689م) "فقد ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وخضعت شوكتهم وإضمحل أمر الفرنجة فلم يعد، وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفا شديدا فلجأوا إلى القلاع والحصون"[2]، أما الناصري فيذكر "...وفي هذه الواقعة (يقصد معركة ممس) ذل البربر من زهير فلجأوا إلى القلاع وكسر شوكة أوربة أستقر جمهورهم بالمغرب الأقصى..."[3]، ومع ملاحظة أن معظم مصادر تتفق على النتيجة للهزيمة التي تلقاها "كسيلة" على يد "زهير" فهزموا البربر وقتلوا "كسيلة" وإسترجعوا القيروان وقرطاجة وإفريقية، وفر بقية الروم إلى صقلية والأندلس، **"وإفترقت رياسة البربر في شعوبهم..."**[4]. ومن ثم، يستخلص أن هزيمة "ممس" قضت على التحالف[5]. وعندما إنتصر زهير على "كسيلة" قرر العودة إلى المشرق وعدم المكوث[6] في القيروان وعندما طلب منه العدول عن رأيه صرح قائلا زهير" **إني قدمت إلى الجهاد وأخاف أن تميل بي الدنيا فأهلك ولست أرضى بملكها ورغد عيشها"**[7]. وهنا صادف وصوله إلى برقة قيام الروم بغارة عليها عندما بلغهم في القسطنطينية خروج "زهير" منها متجها بحملته ضد "كسيلة" فإغتنموا فرصة خلو برقة من المراقبين عنها وخرجوا إليها بأسطول ضخما من جزيرة صقلية **"فهاجموا برقة وقتلوا عدد كبير من سكانها وأصابوا منها سبيا ومن الأموال شيئا عظيما"**[8] ووافق هذا الأمر عودة "زهير" إليها بعد إنتهاء مهمته وإسترجاع القيروان من "كسيلة". وعليه، إشتبك الروم مع زهير وأصحابه فإستشهد زهير[9] ولم ينجوا منهم

---

[1] إبن عذاري البيان، المصدر السابق، ص. 32. إبن خلدون، المصدر السابق، ص. 300. راجع ايضا المالكي رياض نفوس، المصدر السابق، ص. 30.
[2] أبن خلدون، المصدر السابق، ص. 218.
[3] الناصري، الأسقصا في أخبار المغرب الأقصى، ص. 42.
[4] إبن خلدون، المصدر السابق الذكر، ص. 07.
[5] حسين مؤنس، المرجع سابق الذكر، فتح العرب للمغرب، ص. 224.
[6] تكتنف أسباب عودة زهير إلى المشرق اللبس والغموض، فبلاد المغرب كانت حتى أيام حسان بن نعمان دار حرب وسلام ومرابطة، فما الذي جعل زهير يقرر العودة إلى المشرف، من المحتمل أن زهير وجد مهمته قد إنتهت بإسترداد القيروان. راجع حسن مؤنس، ص. 227.
[7] الرقيق القيرواني، المصدر السابق الذكر، ص. 52 . راجع أيضا إبن عذاري، المصدر السابق الذكر، ص. 32.
[8] الرقيق القيرواني، ص. 58.
[9] تشير أغلب المصادر التاريخية أن سنة إسترجاع القيروان من "كسيلة" وعودة "زهير" إلى برقة وإستشهاده هي نفس السنة (69هـ/ 688-689م)

أحد، وعاد الروم بما غنموه إلى قسطنطينية[1] وتعرف قبور زهير وأصحابه بقبور الشهداء، ولما بلغ الخليفة "عبد الملك مروان" نبأ (خبر) إستشهاد "زهير وأصحابه" قرر تأمين السواحل بقوات كافية للنيل من حصون الروم وقوتهم. وقد شبة المالكي[2] المصيبة بزهير وأصحابه بالمصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه.

- حملة حسان بن نعمان وتخريب قرطاجة سنة 74 هـ:

أ- دور حسان بن نعمان في فتح المغرب:

يعتبر حسان بن نعمان[3] من قادة المشهورين في بلاد الشام كان مقربا من خلفاء بني أمية بتمتع بثقة كبيرة في الأوساط السياسية في دمشق حيث كان يلقب بـ"الشيخ الأمين"[4]. وبالتالي، فإنه حتى هذا الوقت كان زعماء الفتح من أهل الحجاز أو أهل مصر إذ ان أمر إفريقية كان يستهوي ولاة مصر[5] أساسا بحكم قرب المسافة وإمتدادها، حيث ان الخلفاء في دمشق يوافقون فقط على ما يعلمه هؤولاء الولاة ولكن منذ تولي حسان بن نعمان أمر إفريقية وهذا بعد تعيينه من طرف الخليفة "عبد الملك بن مروان" أصبح إهتمام الخليفة بإفريقية إهتماما مباشرا[6]، وهنا يذكر الدكتور بن عميرة محمد[7] أن المصادر إختلفت في تحديد تاريخ خروج "حسان" من مصر ويرجح سنة 74 هـ بحكم أنها أقرب إلى الصواب مادام إرسال "حسان" إلى المغرب تم بعد مقتل "عبد الله بن الزبير" الذي كان سنة 73 هـ/ 692 م. وأن الخليفة "عبد الملك بن مروان" إهتم مباشرة بإفريقية وعين "حسان" على رأس الحملة إلى إفريقية بعد خمس سنوات من مقتل "زهير بن قيس" ببرقة.

---

[1] إبن عذاري، المصدر السابق، ص. 32. راجع أيضا الناصري، الأسقصا في أخبار المغرب الأقصى، ص. 42.
[2] المالكي، المصدر السابق، ص. 31.
[3] هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر بن الأزد. راجع د. موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص. 58.
[4] إبن عذاري البيان، ص. 31.
[5] فيما يخص منصب "والي مصر" فإن إبن خلدون يرى أن حسان بن نعمان كان يشغل منصب والي مصر فبعث الخليفة يأمره أن يخرج إلى الجهاد في إفريقية . راجع إبن خلدون، المرجع السابق الذكر، ص. 109. أما بعض المصادر التارخية الأخرى فتذكر أن والي مصر آنذاك هو أخو الخليفة "غبد العزيز بن مروان. راجع إبن عبد الحكم فتوح إفريقية ومصر، ص. 269، راجع أيضا إبن عذاري، المصدر السابق الذكر، ص. 22.
[6] د. موسى لقبال، المرجع السابق، ص. 58.
[7] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 127.

وعليه، رحل "حسان" إلى مصر وتحت إمرته جيش تعداده أربعون ألفا[1] . ويشير إبن الأثير إلى ضخامة هذا الجيش بقوله **"فلم يدخل إفريقية جيش مثله"**[2] وقد إنضم في إفريقية عدد آخر من المسلمين البربر يقودهم "هلال بن شرون اللواتي"[3] وهذا بدليل على أن المسلمين كسبوا أعوانا جدد من أهل البلاد[4]. وتمثلت إستراتيجية حسان العسكرية في إقامة مواجهتين منفردتين الأولى تركز على الروم والثانية تركز على أهل البلاد السكان الأصليون (البربر)، حيث يستخلص أن في هزائم العرب في حملاتهم تمثلت أمام التحالف المنعقد بين الروم والبربر[5]، وعندما وصل "حسان" إلى إفريقية كان لوصول الحملة صدى كبير فدخل القيروان قاعدة إفريقية الإسلامية دون أن تصادق أية مقاومة. وهنا قرر تطبيق إسترتيجية المشار إليها سالفا، حيث ذكرت المصادر أنه عندما نزل بالقيروان سأل أهلها **"عن أعظم الملوك بها قدرا"**[6]. فقيل له **"صاحب قرطاجنة[7] دار ملكها وهي مدينة كبيرة لم تفتح بعد ولم يتمكن عقبة منها". منها"**. وهنا قصد "حسان" قرطاجنة فحاصرها ودخلها عنوة ويشير إلى ذلك إبن خلدون وأكد أنه **" إفتتحها عنوة وذهب من كان بقي بها من الإفرنجة إلى صقلية إلى الأندلس"**[8]. وفي هذا الصدد تذكر مصادر أخرى أن أثناء الحصار قلت المؤونة لأهل قرطاجنة من الروم والبربرالنصارى، فطلبوا الأمان من "حسان" فأجابهم. وبالتالي، أخلو المدينة ليلا إلا من ضعفائهم وفروا في السفن إما إلى جزيرة صقلية أو إلى جزر

---

[1] إبن عذاري، المصدر الآنف الذكر، ص. 34.

[2] إبن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، الجزء الرابع، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ص. 31.

[3] إبن عبد الحكم، المرجع السابق الذكر، ص. 300. راجع أيضا عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 82 . في حين يذكر د. موسى لقبال في مرجعه إسم "تروان"، راجع د. موسى لقبال، المرجع الآنف الذكر، ص. 59.

[4] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 238.

[5] الهزائم المشار إليها أعلاه تمثلت في هزيمة "عقبة" في معركة تهودة (تحالف كسيلة مع الروم)

[6] إبن عذاري البيان، المرجع السابق الذكر، ص. 34. المالكي، المرجع السابق الذكر، ص. 31. وهنا يلاحظ أن إبن عذاري يدخل في تناقض عندما ذكر أن "عقبة" زحف إليها وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى سنة 62 هـ، وهنا يستنتج د. بن عميرة محمد في مرجعه " أن المسلمين لم يقوموا بعمليات جدية ضدها ولم يتمكنوا منها حتى ذلك الوقت". راجع د. بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 128.

[7] تعتبر قرطاجنة عاصمة وقاعدة الروم وأعظم مدن إفريقية البيزنطينية على البحر الرومي (البحر المتوسط) ولا تبعد عن القيروان بأكثر من مئة (100) ميل بينما لا تتجاوز المسافة بينها وبين تونس 12 ميل. وتجدر الإشارة إلى أن إبن عذاري ذهب إلى القول أن تسمية قرطاجنة "المتعلقة إلى وجود المسارح والتي تشبه السارح في روما على الهواء الطلق". راجع إبن عذاري، المصدر سبق ذكره، ص. 23.

[8] إبن خلدون، المصدر سبق ذكره، ص. 218.

البليار بساحل الأندلس[1]. وبعد ذلك بلغ "حسان" أن الروم والبربر إجتمعوا في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فقصدهما وإشتبك معهم. ومن ثم، إنقسم الحلف فلجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجة أما البربر فلجأوا إلى مدينة بونة[2]. وأرسل "حسان" بعد ذلك سرايا إلى كل منطقة اضطراب فمهد الأقاليم وقضى على آثار المقاومة. وبينما هو منهمك في تتبع الفارين من البربر والروم. بلغه أن سكان فحص تونس وضواحي قرطاجنة من البدو دخلوا المدينة (قرطاجنة) بعد أن تأكدوا من نبأ سقوطها وفرار حاكمها البيزنطي. فأسرع إليهم وحاصرهم حصارا شديدا ودخلها عنوة[3]. وفي هذا الصدد تشير المصادر أن "حسان" أمر سكان الضواحي[4] بتخريب حصون المدينة[5]، ويرجع الباحثون سبب التخريب إلى منع التحصن بها من جديد وتشكيل قوة قادرة على خلق الصعوبات له (أي لحسان) وللمسلمين مستقبلا[6]، وهنا عاد حسان إلى القيروان وتجمع أغلب المصادر أن السبب كان بدافع الراحة (أي ليستريح أفراد جيش المسلمين وتندمل جروحهم) وبذلك يعاد تنظيم صفوفهم من جديد إستعدادا لجولة قادمة وكانت هذه المرة ضد بربر البتر[7] في منطقة الأوراس[8].

---

[1] د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 60.
[2] المالكي، المصدر السابق الذكر، ص. 32. راجع أيضا إبن عذاري، سبق ذكره، ص.35. إبن الأثير الكامل، المصدرالسابق الذكر، ص. 135.
[3] إبن عذاري، المصدر السابق الذكر، ص. 35.
[4] يطرح د. بن عميرة محمد في كتابه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص. 129 تساؤل عن هوية سكان الضواحي: "...ما هوية من حوالي قرطاجة هؤولاء الذين أرسل إليهم "حسان" وأوكل لهم مهمة تخريبها؟ وهل تختلف عن هوية من دخلوها؟ يضيف قائلا وإذا كان الجواب بنعم فهل يمكن القول إنهم من البربر. غير متأثرين بحضارة الروم وغير متعاطفين معهم؟ ومن ثم التسليم بوجود البربر جنبا إلى جنب مع الروم داخل المدينة فلابد من التسليم بوجودهم خارجها.
[5] د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 61.
[6] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي، ص. 129.
[7] يذكر الدكتور موسى لقبال في مرجعه "أن العرب كانوا يظنون أن المقاومة البربرية أخمدت تماما بعد معركة ممس ضد كسيلة وأن إحتلال قرطاجنة وتشريد الروم وحلفائهم البربر نصارى سيجعل أرض المغرب هادئة خالصة للمسلمين حتى جاءت أحداث كهينة لتبرهن على خطأ هذا التقدير ذلك أن المقاومة قد إنتهت بنسبة لبربر البرانس والذين أثرت عليهم هزيمة ممس تأثير مباشرا أما فرع بربر البثر (البدو) فلم تنتهي مقاومتهم بعد.
[8] لمزيد من التفصيل حول مملكة الأوراس راجع مثال فاضل لخضر مملكة الأوراس بين نهاية الإحتلال الوندال وبداية الفتح الإسلامي، عصور مجلة عصور، جوان- ديسمبر 2011، عدد 17، ص. 197، 223.

ب) المواجهة بين حسان بن النعمان والكاهنة:

عند عودة حسان إلى القيروان ليعالج بها أصحابه من جروح مواجهتهم الروم والبربر بصطفورة وبنزرت كما سلف الذكر، راح حسان يجمع المعلومات عن أكبر قوة في المنطقة فسأل أهل القيروان عمن يكون قد بقي من ملوك إفريقية يمكن أن يهدد وجود المسلمين فأشاروا أهل القيروان إلى إمرأة[1] تقطن منطقة الأوراس وأنها ملكة البربر[2] وجميع من في إفريقيا يخافون بأسها، ويقصد بطبيعة الحال الروم والبربر، حيث رجح "إبن خلدون" وجود دورا للكاهنة في مقتل عقبة بن نافع، إذ يتهمها بأنها حرضت بربر تهودة[3]. غير أن الدكتور "بن عميرة"[4] يفند كلام "إبن خلدون" ويذهب ويذهب إلى القول أن" كلام إبن خلدون غير مقنع في هذه النقطة، لأنه لو كان الأمر كذلك لجعل المسلمون مواجهتها من أولوياتهم، ولكان زهير بن قيس قصدها مباشرة بعد قضائه على كسيلة وملاحقة أصحابه إلى نهر ملوية مرورا بالأوراس ولن يعود مسرعا إلى الشرق" كما سبق ذكره. وعليه، تجمع أغلب المصادر على أن "حسان" بعدما جمع المعلومات عنها في القيروان إنطلق بجيشه متجها إلى الأوراس، و هكذا علمت "الكاهنة" بمسيرة حملة "حسان" خرجت من الأوراس وذهبت إلى باغاية وهي مدينة حصينة على سفح جبل الأوراس وأخرجت منها الروم وهدمتها ظنا منها أن حسان يريد أن يتحصن بها[5]. وعليه، يستنتج حسين مؤنس أن مقاومة الكاهنة[6] هي مقاومة بربرية صرفه لا تعرف حرب الحصون ولا معركة خلف الأسوار وإما أسلوبها هو المواجهة على ساحة المعارك. وبالتالي، بلغ حسان خبر ما قامت به الكاهنة فواصل طريقة وادي مسكيانة عند نهر نيني، وهنا إلتحقت به الكاهنة ومهما

---

[1] هذه المرأة تلقب بـ "الكاهنة" وأغلب الظن أن العرب هم من لقبوها بذلك اللقب بسبب ما إشتهرت به السحر والشعوذة والتنبؤ بالغيب أما إسمها الحقيقي فقد إختلفت المصادر التاريخية في ضبطه. فيقر إبن حلدون أن إسمها هو " دهيا بنت ماتيه بن تيفان"، حيث كان لها ولدان إحداهما يسمى "قويدر" والآخر " يمين" واحد بربري والآخر يوناني.

[2] يقصد هنا بالبربر جميع فروع البربر من برانس وبتر ومعروف أن "كاهنة" كانت على رأس قبيلة "جراوة" وهي فرع من قبيلة "زناتة البترية". وهنا يستخلص الدكتور بن عميرة محمد أنه " ...يسهل التسليم أيضا بفكرة إنضمام بعض فروع البرانس إلى البربر الذين إجتمعوا حول الكاهنة بعد مقتل كسيلة وهذا ما مكنها السيطرة على جل إفريقية..." . راجع بن عميرة محمد، المرجع السالق الذكر، ص 139. راجع أيضا إبن الحكم، المصدر الآنف الذكر، ص. 76.

[3] إبن خلدون،العبر ، ص. 18.

[4] بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 139.

[5] إبن عذاري، المصدر سبق ذكره، ص. 35، 36. راجع أيضا المالكي، المصدر سبق ذكره، ص. 32.

[6] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 246، 247.

يكن النهر[1] أو الوادي الذي نزل عليه الطرفان، فإن المصادر تتفق أن "حسان" وجيشه كانوا يشربون من أعلاه وكانت الكاهنة وجيشها يشربون من أسفله وإلتحم الطرفان في معركة شديدة وقد إنتهت بهزيمة حسان وجنده[2] فقتل من رجاله عدد كبير وأسر ثمانون (80) رجلا وعرف مكان المعركة بوادي العذارى[3] وهنا طاردت الكاهنة "حسان" بعد هزيمته[4] إلى حدود قابس ولما إنتهت المطاردة كتب "حسان" إلى إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يخبره بالهزيمة التي لحقت بجيشه ولما وصل الجيش المنهزم إلى برقة بلغ "حسان" جواب الخليفة يأمره بالبقاء، حيث هو، وعليه أقام "حسان" ببرقة بناءا على أوامر الخليفة وأسس هنالك منازل ومعسكرات لجنده وأصبح مجموعها يلقب بـ " قصور حسان". وكانت مدن برقة ولوبية ومراقبة أجدابيه تابعة لنفوذه[5] (وهي عامل من عوامل اعتناق البربر للاسلام تحديدا العوامل الاستراتجية)وتتفق معظم المصادر[6] أن مدة مكوث "حسان" في برقة خمس سنوات يراقب فيها الأحداث وينتظر معلومات[7] من "خالد بن زيد القيسي"[8] الذي كان أسيرا

---

[1] وادي مسكيانة، تذكر في الر قيق القيرواني، ص. 56. إبن عذاري، المرجع السابق الذكر، ص. 36. إبن خلدون، المرجع الآنف الذكر، ص. 218. أما وادي مكناسة فنجد إبن الأثير يذكره في كتابه الكامل في التاريخ، الجزء الرابع، ص. 136.

[2] قد تعود اسباب هزيمة "حسان" أمام الكاهنة أسباب منها أن المسلمين كانوا مجهدون من أثار حملة قرطاجنة وكذا سوء تقدير جيش "حسان" للبربر وقوتهم وعدم معرفتهم ببربر الأوراس. راجع محمد علي الدبوز، الجزء الثاني، ص. 85.

[3] المالكي، المصدر سبق الذكر، ص. 33. إبن عذاري، المصدر السبق الذكر، ص. 37. الرقيق القيرواني، المصدر السابق الذكر، ص. 57.

[4] يذكر إبن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب " حسان بعد الهزيمة إستخلف على إفريقية إبا صالح". غير أن الدكتور بن عميرة محمد إنتقد إبن الحكم وأكد أنه " من الصعب تصديق ما ذكره إبن الحكم...فما دامت ملاحقة "حسان" تمت إلى ما بعد عمل قابس فكيف يمكن تصور قائد يستخلف إنسانا على منطقة هزم فيها وطرد منها؟". وهو الأمر الذي يلاحظ أنه غير منطقي. وبالتالي، فإنه يتوجب غربلة المصادر التاريخية لأنها في أغلب الأحيان قد تقع في تناقض بسبب البعد التاريخي الواقع بين وقوع الحادثة المتمثل في الفتح الإسلامي وبداية تدوين الواقعة، إذ يلاحظ أن بداية تحرير المصادر التاريخية للفتوحات الإسلامية تم بعد قرن .

[5] د. موسى لقبال، المرجع سبق ذكره، ص. 64.

[6] الرقيق القيرواني، المرجع السابق الذكر، ص. 36. إبن عذاري، المصدر سبق الذكر، ص. 36. أيضا إبن خلدون، المرجع السابق الذكر، ص. 219. إبن الأثير، المرجع الآنف الذكر، ص. 136. أما فيما يخص المالكي فيحدد فترة مكوث حسان ببرقة بثلاث (03) سنوات. راجع المالكي، سبق ذكره، ص. 33.

[7] تتفق جل المصادر أن الكاهنة أحسنت إلى اسرى المسلمين وبعد ذلك أطلقت سراحهم جميعا إلا واحد وهو خالد بن يزيد القيسي الذي تبنته على الطريقة البربرية فأصبح وسيلة "حسان" لجلب المعلومات بحكم تواجده إلى جانب الكاهنة. وهنا يطرح السؤال لماذا أحسنت الكاهنة إلى أسرى المسلمين؟ يبدو أنها أدخلت في حسابها إحتمال إنتقام البربر المسلمين (وكان الإسلام قد تغلغل إلى صفوفهم) إذ هي أساءت معاملتهم كما يبدو أن الإحسان إلى الأسرى كان من تقاليد البربر العريقة مثلهم مثل العرب وهذا ما يفسر تشابه في عاداتهم وتقاليدهم؟

[8] بدأ خالد بن يزيد القيسي بإفادة حسان بمعلومات كتبها في "خبزة قد أنضجها" راجع إبن عذاري، المرجع السابق الذكر، ص. 37. وارسلها حسان قائلا:" إن البربر متفرقون، لإنظام لهم ولا رأي عندهم. فاطوي المراحل" أي أسرع في مداهنتهم. راجع إبن عذاري، المرجع السابق الذكر، ص. 37.

لدى الكاهنة ثم بعد ذلك تبنته إبنا لها على الطريقة البربرية. اما في مركز الشرق(دمشق مركز الخلافة الاموية) فقد تمكن الخليفة عبد الملك من التغلب على الحركات المناوئة للأمويين في العراق والحجاز ومنه التفرغ الكامل للمغرب حيث أمد حسان بالجنود والأموال وأمره بالذهاب إلى إفريقية وقتل الكاهنة. هذه الأخيرة وكما تم الذكر سالفا كانت ملكة إفريقية بعد هزيمة حسان ولاحظت أن العرب أبطؤوا عنها[1] وبلغها أثناءها أن حسان مقيم بنواحي برقة في قصوره مشهورة بإسمه وهنا صرحت **"أن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نطلب منها المزارع والمراعي، فما نرى لكم إلا خراب إفريقية حتى ييأسوا منها ويقل طمعهم فيها"**[2].

ويشرح الدكتور موسى لقبال في كتابه المغرب الإسلامي[3] "أن سلوك الكاهنة يسمى (سياسة الأرض المخربة) في إفريقية لأن العرب حسب زعمها وإعتقادها يطلبون من إفريقية المدن والحصون والأموال، أما البربر فلا يتعلقون بغير المزارع والمراعي وهنا فرقت رجالها للقيام بتلك المهمة فخربوا البلاد وهذا ما يصطلح عليه "الخراب الأول لإفريقية"[4]. وتتفق المصادر أن منطقة إفريقية كانت **"ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة الشجر والمدائن منتظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرا، ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن حصونا. من أقاليم إفريقية والمغرب، مسيرة ألفي (2000) ميل في مثله"** . ولقد كانت نتائج هذه السياسة سلبية على البربر والكاهنة، حيث ضرب اقتصادهم القومي في الصميم[5]، وكذا تذمر البربر أنفسهم مما قامت به الكاهنة من تخريب مزارعهم. وبالتالي، خروج ثلاثة مئة (300) رجل يستغيثون بـ"حسان" فيما نزل بهم[6]. وفي نفس الوقت وصلت الإمدادات من دمشق ومنه الإذن لـ"حسان" بإستعادة إفريقية، وهكذا فمع إجتماع المبررات،

---

[1] الرقيق القيرواني، مصدر سبق ذكره، ص. 61.
[2] الرقيق القيرواني، المصدر سبق الذكر، ص. 61.
[3] د. موسى لقبال، المرجع سبق ذكره، ص. 65.
[4] إبن الأثير، السابق الذكر، ص. 341. أيضا المالكي، ص. 35.
[5] إبن عذاري، المرجع السابق الذكر، ص. 36. موسى لقبال، مرجع السابق، ض 62.
[6] المالكي، السالف الذكر، ص. 35. وهنا نضيف **ان سوء تقدير الكاهنة بتخريب افريقية ادي الي تفريق وحدة مقاومتها ،فتفرق البربر وضعفت شوكتهم حيث ان قوتهم كانت في وحدتهم وإضطروا الي الاستنجاد بالعدو انذك (العرب)ومنه اعتناق الاسلام حسب الصفقة الميرمة مع حسان(تخليصهم من اوامر تخريب مزارع افريقية عامل من العوامل الاقتصادية)سنتطرق اليه لاحقا في الفصل الثاني**

وإستكمال الإستعدادات يبدأ العمل المادي لإسترجاع القاعدة الإسلامية. وإخضاع بربر البتر[1].

وتذكر المصادر أن الكاهنة تنبئت بمقتلها وإنهزامها فصرحت لخالد بن بزيد **"إني إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أنا مقتولة، فأوصيك بأخويك هذين خيرا"**[2]، فنقل خالد ما ذكرته الكاهنة. وهنا أخذ لإبنيهما الأمان وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر فولى عليهم الأكبر من أبنائها.(بمعني استراتجية ترك السلطة بيد السكان الاصليون) وهو عامل من عوامل إعتناق البربر للإسلام.

وهنا زحف حسان للقاء الكاهنة ووجدت معركة بينهما أسفرت عن هزيمة ساحقة للبربر وأدت إلى مقتل الكاهنة[3] وطلبت قوات البربر الأمان من حسان فوافق مقابل انضمام إثني عشرة ألف (12 ألف) من البربر للعمل في سلك الجندية[4] ويذكر إبن خلدون[5] أن حسان بعدما هزم الكاهنة إقتحم جبل الأوراس عنوة. وهنا تذكر المصادر أن عملية تجنيد البربر في جيش المسلمين قد أدت إلى إعتناقهم الإسلام(عامل من العوامل العسكرية) وقد إسند "حسان" قيادة الجيش إلى كل واحد من أبناء الكاهنة بعد أن دخلوا في الإسلام قيادة ستة آلاف فارس من البربر وقد صحح الدكتور بن عميرة محمد في كتابه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[6]، نص الرقيق القيرواني **"كان مع حسان جماعة من البربر البتر ولى عليهم الأكبر من إبني الكاهنة، بعدما أمنهما، وقبل وقوع المعركة مع أمهما، أما بعد هزيمة هذه الأخيرة وقتلها فقد إستأمن إليه البربر ولم يقبل أمانهما إلا بشروط، هي أن يعطوه من جميع قبائلهم إثني عشرألفا" أو إثني عشر ألف فارس ينضمون إلى صفوفه**

---

[1] د. موسى لقبال، المرجع السابق، ص. 66.
[2] المالكي، السابق الذكر، ص. 35. إبن عبد الحكم، الآنف الذكر، ص.78.
[3] سمي مكان مقتل الكاهنة "ببئر الكاهنة" وقبل مقتلها رفضت إقتراح خالد بن يزيد بالتخلي عن البلاد لعدوها فرفضت بحجة أن الملك لا يفر من الموت، وخرجت الكاهنة ناثرة شعرها في القتال.
[4] يعتبرها هشام جعيط، في كتابه ،تأسيس الغرب الاسلامي،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت لبنان الطبعةالاولي 2004 (مؤسسة الجيش في إفريقية وسيلة جبارة لتحقيق أسلمة البربر)، ص. 72.
[5] إبن خلدون، المصدر السابق الذكر، ص. 18.
[6] بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 151.

ويجاهدون معه، فوافقوه على ذلك وأسلموا على يديه(يقصد حسان) ، ووضع تحت تصرف كل واحد من ابني الكاهنة، بعد إسلامهما ستة آلاف من هؤلاء وأخرجهم مع العرب، يجولون في إفريقية للقتال الروم ومن كفر من البربر". ومن هذا الوقت أصبحت مهمة نشر الإسلام في المغرب ليست مقصورة على العرب فقط وإنما أصبحت فيها عناصر قومية أخرى[1].

وتذكر المصادر[2] أن حسان بعد أن إطمأن على إستقرار الأحوال في إفريقية وبعد إسلام البربر رجع إلى القيروان في رمضان سنة 82هـ، فبني فيها مسجدها الجامع أي جدده، ودون الدواوين[3]، ووضع الخراج على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم، على النصرانية من البربر ومعظمهم برانس وأقام هنا حتى عزل[4]. ومن بين أكبر إنجازات حسان بناء مدينة تونس[5] سنة 84هـ - 703م ، لتكون مدينة بحرية مكملة لمدينة القيروان البرية التي أسسها عقبة في إفريقية كما سلف الذكر. ويعتبر بناء هذه المدينة دليلا على إستقرار حركة الفتوحات الإسلامية في إفريقية (من عوامل إعتناق البربر للإسلام وسيذكر في العوامل الإستراتيجية).

---

1 تجدر الإشارة إلى أنه يقصد بعناصر قومية عنصر البربر. راجع د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 67.

2 إبن عذاري، المرجع سبق ذكره، ص. 38. أيضا الرقيق القيرواني، المرجع السابق الذكر، ص. 64. أيضا أبن الحكم الفتوح، ص. 271.

3 تجب الإشارة إلى أن حسان دون وجعل لكل وظيفة من الوظائف ديوان مستقل مثل ديوان الصدقات ولى عليه "حنش بن عبد الله الصنعاني"، ديوان الجند كان يضم إثني عشرة ألفا من البربر الذين إنضموا إلى سلك الجندية. ومن هنا، بدأت أهمية إنشاء ديوان الجند لتدوين أسماء المقاتلين وأنسابهم ورتب حسان الأعطيات للبربر على أن تصور لهم من بيت المال وكذا ديوان الخراج. راجع عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 96، 97.

4 لقد تمثلت أسباب عزل "حسان بن نعمان" في أنه عندما رجع هذا الأخير إلى المشرق قدم للخليفة عبد الملك بن مروان وأخبره بإنجازاته في إفريقية ووضع بين يديه الأموال والغنائم فجازاه الخليفة أن عينة من جديد والي إفريقية في منطقة برقة التي كان على رأسها (تليد) غلام عبد العزيز بن مروان، ولما سمع هذا الأخير (والي مصر) نبأ تعيين حسان والي لإفريقية وبرقة بحجة أنه أخ الخليفة وعين بدل منه موسى بن نصر خلفا حسان، ويذهب موسى لقبال إلى القول بعد ما إستنتجه من كتاب الإمامة وسياسة لإبن قتيبة "أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يكره موسى بن نصير (لأنه موصوم عنه بفساد الذمة والإختلاس) لكن هذه الكراهية خفت حدتها عندما بلغه إنجازات موسى في إفريقية. ومما لاشك فيه أن الخليفة عبد الملك بن مروان أراد إعادة حسان على رأس ولاية إفريقية، حيث أنه بعد وفاة أخيه عبد العزيز عين الخليفة إبنه على رأس ولاية مصر ولكن وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان بعد حادثة عزل حسان بمدة وجيزة أدت إلى إخلاء الجو السياسي لموسى بن نصير. وبهذه الظروف تمت تولية موسى بن نصير ولاية إفريقية، ص. 69.

5 عامل من عوامل إعتناق البربر للاسلام (عامل استراتيجي)بتأسيس مدن ذات اشعاع ديني مثل القيروان تونس فاس تلمسان.

ـ ولاية موسى بن نصير سنة 85 هـ وإستكماله لفتح بلاد البربر(المغرب الاقصي:

تتحدث المصادر أنه عندما تم تولي موسى بن نصر ولاية إفريقية، أن قسما كبيرا من الجيش ساءه أمر عزل حسان وإعتبر أمر ولاية موسى مؤامرة، ولكي لا يوقظ الفتنة قاما والي مصر بمضاعفة رواتب الجيش[1] وقد بدأ بسن سياسة جديدة في إفريقية. وتتضح خطته من خلال خطبته[2]، حيث تذكر المصادر[3] أن البربر قد طمعوا في البلاد بعد رحيل حسان وإختلفوا فيما بينهم على إفريقية والمغرب[4] وهذا ما دفع بـ"موسى أبن نصير" على التفكير في إتباع تكتيك جديد يقوم على مهاجمة العدو الأدنى قبل الأقصى، لكي لا يترك وراءه بقايا مقاومة او احلاف تتجمع بعده وتضرب الاستقرار الاسلامي في المنطقة بلاد البربر وهذا الإنتقاذ وجهه موسى بن نصير لحسان في خطبته لكن "حسان" وكما سلف الذكر قضى على عناصر المقاومة البيزنطينية في قرطاجنة. وعليه، يستنتج أن له الفضل في تطبيق هذه الإستراتيجية العسكرية. ومنه توجه موسى بن نصير إلى قلعة "زعوان" ونواحيها وبينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل[5] وبجانبها قبائل البربر يغيرون على سرح المسلمين. فوجه فوجه إليها موسى خمسة مئة (500) فارس، إذ قاموا بفتحها وبلغ فيها سيبهم فيها عشرة آلاف، ويعتبر أول سبي دخل القيروان في ولايته[6]. وقد تضاعفت الغنائم عندما عندما أرسل موسى بن نصير إبناه "عبد الله" و "مروان" إلى نواحي إفريقية وتتفق أغلب المصادر على تقدير خمس مجموع ما سبى فيها بستين ألف رأس. ويذكر إبن عذاري أن موسى **"فتح هوارة وزناتة وكتامة وكانت كتامة قد قدمت على موسى،**

---

[1] يشار هنا ان الجيش كان مكون من البربر اساسا 12الف الذي اخذهم حسان وبتالي مضاعفة الاجر لهم هو من الاغراءات المادية لاعتناق الاسلام(عوامل اقتصادية)

[2] عقب وصول موسى بن نصير أدلى بتصريح التالي: "أن كل ما كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى ويترك عدوا منه أدنى وينتهز منه الفرصة. ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وايم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسامين بعضها أو جمعها أو يحكم الله وهو خير الحاكمين". راجع إبن قتيبة الدينوري،الامامة والسياسة،علق عليه خليل منصور،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1997ج2 ص. 288. غير أنه يجب الذكر إلى أن هناك بعض المصادر تتطلب التعامل الحذر مع نص إبن قتيبة ذلك أن كتابه المتمثل في الإمامة والسياسة يستند على حفيد له يسمى معارك الأنصاري وهو من أحفاد موسى بن نصير.وبتالي هنا تفقد بعض الموضوعية.

[3] إبن الأثير، المصدر السابق الذكر، ص. 252. أيضا إبن خلدون، المصدر السابق، ص. 220.

[4] د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 40.

[5] إبن عذاري، المصدر السابق الذكر، ص. 40.

[6] أبن عذاري، نفس المصدر السابق، ص. 40 .

فولى عليهم رجلا منهم، وأخذهم منهم الرهائن"[1]. ويشير إبن قتيبة[2] أن ليس موسى من أغار على قبائل بربر هوارة وزناتة، وإنما أحد رجالات جيشه وهو "عياش بن أخيل" وهنا مهما إختلف القائد فإن النتيجة تمثلت في سبى خمسة آلاف رأس وأسر رئيسهم "طامون" وعقد الصلح مع الجميع وتولية رجل من كتامة على قبيلته بعد أخذ الرهائن منهم. أما قبيلة صنهاجة[3] فقد سار موسى إليها وفاجئهم بهجومه وتحصل في هذه الغارة على مقدار كبير[4] من السبئ مما حبب إلى جيشه المسير إلى المغرب الأقصى. ومنه، تمثل أول نشاط عسكري لـ"موسى بن نصير" فيما وراء نهر ملوية، كان ضد منازل قبيلة أوربة ومنطقة سجوما (نجدها حاليا قرب مدينة فاس) وهنا تمكن أبناء[5] عقبة من الثأر لأبيهم سنة 83 هـ (702-703م)، حيث يذكر إبن قتيبة[6] **"قام موسى بحملة على سجوما وما حولها في عشرة آلاف رجل سنة 83 هـ ولما عبر نهر ملوية وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا. وأعدو للحرب فاقتتلوا ثم هزمهم وقتل ملكهم [7] وبلغ سبيهم مئتي ألف رأس فيهم بنات كسيلة وبنات ملوكهم ثم إنصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب إلى عبد العزيز، بفتح بعد بفتح. وملأت سباياه الأجناد** "ومنه بعث إلى عياض وعثمان وإلى عبيدة ابناء عقبة فقال:[8] **"ضعوا أسيافكم في قتلة أبيكم عقبة"** فقتل منهم عياض ستة مئة رجل من خيارهم وكبارهم فأرسل إليه موسى أن أمسك وإنصرف موسى قافلا إلى القيروان وذلك سنة 84 هـ".

---

[1] إبن عذاري، المصدر السابق الذكر، ص. 41. وتجدر الإشارة إلى أن قضية أخذ الرهائن تعتبرعامل من عوامل إعتناق البربر للإسلام، حيث أن الهدف من أخذ الرهائن هو ضمان إستمرار ولاء القبيلة للفاتحين، راجع موسي لقبال ،المرجع سابق الذكر ص. 87.

[2] إبن قتيبة، المصدر السابق الذكر، ص. 229.

[3] ينفرد إبن قتيبية عن ذكر الغارة التي قام بها "موسى" على الصنهاجة بناءا على معلومات زوده بها جواسيسه. راجع إبن قتيبة، المصدر السابق الذكر، ص. 231. ايضا بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص160

[4] يذكر إبن قتيبة، المصدر السابق الذكر، ص. 223. "فبلغ سبيهم يومئذ مئة ألف رأس. ومن الإبل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب ما لا يحصى".

[5] يلاحظ أن "موسى بن نصير" عزل كل المقربين من حسان وإستبدلهم بمقربيه وهم أبناءه "عبد الله" "مروان"، "عبد العزيز" و"عبد المالك" وكذا أبناء عقبة بن نافع وهم "عياض"، "عثمان" و"أبا عبيدة" و"موسى" ومن قادة جيشه "زرعة بن أبي مدرك" و"عياش بن أخيل" و"المغيرة بن أبي بردة" وهذا التقليد في عزل مقربين سلفه وتغييرهم سنها إلى "مهاجر دينار" عندما أساء عزل عقبة كما سلف الذكر سابقا.

[6] إبن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص. 232، 233.

[7] يذكر إبن قتيبة ان اسم ملكهم هو كسيلة بن لمزم قد اختلطت عليه الأسماء وظن أن إسم "كسيلة" لقب ملك في قبائل البربر وليس إسم شخص. راجع بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 122.

[8] هنا نتسائل ان كانت قبيلة اوربة علي الاسلام بحكم اننا تركناها مسلمة فلماذا أعادوا دخولها عنوة موسي مع ابناء عقبة هل بهدف الانتقام لعقبة ؟؟؟ تسكت المصادر عن إسلام قبيلة اوربة

وهنا يذكر مصدر واحد وهو إبن قتيبية معلومات عن إنجازات موسى بن نصير في القيروان بعد العودة إليها سنة 84 هـ، حيث أسس دار صناعة السفن بتونس وكذا إرسال عدة حملات برية وبحرية ومنها غزوة الأشراف التي قادها إبنه عبد الله إلى صقلية سنة 85 هـ (704-705م) وكذا غزوة بعث على رأسها "زرعة بن أبي مدرك" إلى قبائل البربر وهذا بعد وفاة الخليفة "عبد الملك إبن مروان" وتولى إبنه "الوليد" عرش الخلافة الأموية سنة 86 هـ (705-706م). وعليه، يلقي "زرعة" حرب منهم ورغبوا في الصلح وطلبوا الأمان فكان لهم ذلك وواصل موسى سياسة أخذ الرهائن التي سلف الذكر عنها. وزيادة على ذلك فإن معظم المصادر تشير إلى أن "موسى بن نصير" قبل عودته إلى القيروان خرج من إفريقية ملاحقا البربر الذين فرو منه فتبعهم حتى بلغ السوس الأدنى ولما إقترب من طنجة[1] وبها بربر من البتر والبرانس، فأرسل عدة سرايا لعدة قبائل من البربر وسبى منهم الكثير فطلبوا الصلح. وعليه، أعطاهم الآمان وولى عليهم واليا عادلا أحسن فيهم السيرة، ثم ولى عليهم بعده مولاه "طارق بن زياد"[2] كما حرص على ترسيخ قواعد الإسلام بالمنشآت، فشيد المساجد ومنها مسجد "أغمات هيلانة"[3]. وهنا حرص "موسى" على تأمين الساحل الشمالي للمغرب من خطر الروم فوضع حامية للرباط[4] مكونة من ألف وسبعمائة تحت قيادة إبنه مروان[5]. وبعد أن أخضع موسى طنجة وما حولها عاد على القيروان. وبالتالي، يلاحظ أن نشاط موسى في الغرب الأقصى إتسم بالسعة والشمولية أي من شمال الي أقصى جنوب البلاد،(أي من منطقة السوس الأقصى إلى أقصى شمالها حيث طنجة وسبتة)، فأخضع سكان الصحراء وسكان الجبال معا[6] ولم تمتنع سوى

[1]تعتبر المصادر أن "موسى بن نصير" هو أول من نزل من مسلمين بها. راجع عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق الذكر، ص. 106.

[2] ترك "طارق بن زياد" عليهم 27 رجلا من العرب و12 ألف فارس وهي العدة التي جعلها عليهم "حسان بن النعمان" وكانوا قد دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم وأمر العرب السبعة والعشرين أن يعلموا البربر القرآن وأن يفهوهم في الدين. ومنه، يستخلص أن جيش كثيف جلهم من البربر جعل منهم من يعلمهم القرآن والفرائض. راجع بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. ص.16.

[3] عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق الذكر، ص. 107.

[4] تعتبر الرباط عامل من العوامل العامة لإعتناق البربر للإسلام .وهي من العوامل العسكرية

[5] لم يحتمل مروان مشاق الرباط ومسؤولية المرابطين ورهائن البربر، فإنسحب إلى القيروان وخلفه طارق بن زياد كما سبق ذكره أعلاه. راجع د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 88.

[6] د. موسى لقبال، نفس المرجع السابق ، ص. 88.

مدينة سبتة الحصينة بسبب مقاومة حاكمها[1] إعتمادا على مساندة القوط في إسبانيا[2]، حيث كان يؤدي الطاعة إلى ملك الأندلس القوطي لذريق، فراسل طارق يليان وإستجاب هذا الأخير لدفع الجزية بحكم أنه كان مسيحيا. وهنا أقره موسى على حكم سبتة.

علاوة على ذلك، تذكر المصادر أن عند عودة "موسى" إلى القيروان أرسل في طريقه بشير بن صفوان[3] إلى قلعة مجانة سنة 84هـ (703-704م) على ثلاثة أيام من القيروان فأخذها بعد أن سبي وغنم الغنائم الكثيرة وأصبحت تسمى منذ ذلك الوقت (قلعة بشير). **وعليه تجب الإشارة والتوقف عند نقطة ومسألة الإعداد السبي التي ذكرت كثيرا في المصادر. ومن ثم، يحللها الدكتور بن عميرة محمد[4] بشأن المبالغة في أرقام[5] السبي في عهد "موسى بن نصير" بمئات الآلاف، حيث يذكر أنها بمثابة رد فعل لمؤيدي تعيينه على رأس ولاية إفريقية أي كأنهم يقولون في مصادر أن كثرة السبايا دليل على كفاءته القيادية. وبالتالي، فهو أحق بهذه المسؤولية. وهذه الحساسيات في تدويل تاريخ بلاد المغرب الاسلامي مشهورة فقد ابتدأت بين عقبة وابي مهاجر وتكررت بين حسان وموسي.**

وبالتالي، تضخم عدد الرهائن في طنجة وكثرة المرابطين وإنتشار الإسلام بين البربر ضاق المجال بجيش "طارق" وأصبح من الضروري دفع هذه الجموع إلى ميدان جديد توجهتها تلك العوامل بإختيار طارق إلى شبه جزيرة "إيبيريا" وذاك سنة 92هـ (710-711م) قصد الشروع في فتحها وهذه العملية العسكرية التي تأخذنا إلى

---

[1] يلقب حاكم سبتة "يليان". راجع د. عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق الذكر،ص. 107.

[2] يظهر أن موسى حاول فتح مدينة سبتة لكن إستعصت عليه لحصانتها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها الذي كان رغم ولائه للبزنطيين شديد الصلة بإسبانيا، وهنا تراجع عنها وكلف نائبه مولاه "طارق" هذا الأخير لم تنجح خططه الحربية مال إلى المفاوضات مع حاكمها. راجع د. موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 89.

[3] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص. 70.

[4] د. بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 165.

[5] مهما يكن فإن المصادر العربية التي عالجت موضوع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم يكن من عادتها تقديم إحصائيات عن إعداد السبي إلا نادر، أما في عهد "موسى بن نصير" فقد قدمت أرقام، يتجلى أنه مبالغ فيها فمثلا ستون (60) ألفا في حملة سوس الأقصى و100 ألف في حملة "مروان بن نصير" بين موسى إلى السوس الأقصى . 110 ألف في حملة قلعة زعوان وهذه العينة على سبيل مثال وليس الحصر .

إقليم آخر وقارة أخرى إنما تدل على المهمة الأولى من مهام الجيش الإسلامي. وهي فتح بلاد المغرب قد إكتملت[1] ودليل ما رواه إبن خلدون[2] نقلا عن إبن أبي زيد القيرواني **"أن البربر إرتدوا عن الإسلام، إثنتي عشرة مرة، من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر الإسلام بينهم أجاز موسى معه كثيرا من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد، فاستقروا هناك فحينئذ إستقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة"**[3].

الخلاصة الفصل الاول :

ومن خلال الفصل الاول نستخلص النقاط التالية :

1) قد وضع عقبة في ولايته الاولي أساس الفتح العربي بتأسيس القيروان وجاء بعده حسان فرفع البنيان وأحكم بناء الاركان وجاء موسي فوضع السقف وحفظ هذا الصرح [4]من عوامل الضعف

2) وجود أخطاء سياسية وقع فيها الخلفاء خاصة في عهد بني أمية فمثلا خطأ معاوية بن ابي سفيان بإضافة المغرب الي ولاية مصر (وهنا جاءت فترة جور ولاة وعمال مصر حيث أعتبرت أرض البربر أرض غنائم وخزان عبيد لا أرض دعوة وهذا ما يفسر طول [5]مدة الفتح الاسلامي ويرجعها المؤرخون إلي:

---

[1] بن عميرة محمد، المرجع السابق الذكر، ص. 166.

[2] إبن خلدون، العبر، ص. 110.

[3] تجدر الإشارة إلى أنه لا يقصد بالردة بمعناها الديني، وإنما يقصد بها الثورة السياسية والإشتراك في الفتن وإثارة الاضطراب ضد القادة والولاة. راجع موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 90

[4] مبارك بن محمد الميلي ،نفس المرجع سابق الذكر ،ص34 إذ نستخلص ان مهمة الولاة كانت نوعا ما متكاملة بإستثناء بعض الحساسيات بين عقبة وابي مهاجر ،وبين حسان وموسي

[5] لاحظ المؤرخون سهولة قصر المدة في المشرق حيث تطلب الامر 4سنوات لفتح العراق و7سنوات لضم كل البلاد الايرانية و7سنوات لضم كل من سوريا وفلسطين و3سنوات لكل من مصر والاندلس علي حدي أما بلاد البربر فتطلب الامر من (647م -710م)(27هـ -97هـ)أي لزم الامر أكثر من 53سنة للحصول علي نتيجة غير اكيدة راجع جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل راجعه مصطفى أبو الضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1991، ص. 30 و يرجع عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1997، ص. 30 و31 أن سرعة إنتشار الإسلام في المشرق العربي إلى الاسباب التالية :
- كانت فارس وبيزنطية في طور الإنحطاط يوم قدمت إليها جيوش العربية
- إزدواجية تكوين "الأمة" بوجود الوحدتين الدينية والقبلية المكونة للجيش العربي في حين جيوش البيزنطيين مكونين من المرتزقة لا دافع لهم في الحروب سوي الاجور
- ظهور الفتح العربي الاسلامي في المناطق التي إحتلها الفرس والبيزنطيين على أنه تحرير للشعوب، حيث أبدى العرب تساهلا كبيرا يتناقض من التصرفات التعسفية الإستعبادية لدى حكام الفرس

ــ الازمات التي مرت بها الخلافة في الشرق

ــ صعوبة تضاريس بلاد البربر ومنه صعوبة المواصلات خاصة منها الجبال وقد أوضحها هشام الصفدي[1] في مقالة نحو وعي أفضل تاريخ الجزائر **"بيئة ثلاثية الأطراف تتألف من سهل. الجيل والصحراء ولكل منها شروط خاصة"**

ــ تعدد الخصوم[2] (الروم البيزنطيون ،الافرنج ،الافارقة ،البربر)وكل جماعة تقاوم الفتح بأسلوبها الخاص مما عقد العمليات العسكرية .

ونتيجة لما سلف ذكره، فإنه تم الإنتهاء من الفصل الأول من الدراسة حيث تطرقنا فيه إلى ظروف ومراحل الفتح الإسلامي في بلاد البربر واستخلصنا من خلال دراسة هذا الفصل طول مدته، كثرة وتّشعب احداث وكذا إبراز التناقض الذي يشوب المصادر التاريخية. غير أن هذه الدراسة لا تكفي لمعالجة موضوع المذكرة بصفة عامة إذ يستلزم البحث عن العوامل التي سهلت أو بالأحرى ساعدت لإعتناق البربر للإسلام، حيث انه ليس بمجرد انتهاء العمليات العسكرية أسلم البربر انما الاسلمة كانت بطيئة خاصة قبائل البربر المتحصنة في الجبال والصحراء وهو ما سيتم التطرق إليه في حينه من خلال الفصل الثاني ،وكذا الفصل الثالث حيث سنتطرق الي العوامل الخارجية والعوامل الذاتية المساهمة في أسلمة البربر .

والروم.التي كانت مناطق نفوذهم أوسع بكثير من بلاد البربر حيث كان نفوذ الروم (البيزنطيون)محدود كما سلف الذكر سابقه

[1] هشام الصفدي، الأصالة، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر الأصالة، عدد 08، ماي-جوان 1972، ص. 167.

[2] الروم هم أصحاب السلطة السياسية والادارية ،الافرنج هم كبار الملاكين(السلطة الاقتصادية)الافارقة هم سكان المدن المتنصرون (مزدوجو اللغة لاتيني بربري او لاتيني بونيقي)البربر (سكان الارياف) جورج مارسيه، مرجع سبق ذكره، ص. 126.

الفصل الثاني: العوامل الخارجية لإعتناق البربر الإسلام

I- العوامل التاريخية الخارجية

- تأثير الحضارة قرطاجية
- اليهودية عند البربر

II- العوامل السياسية الخارجية

- ضعف سلطة بيزنطا
- مذهب الخوارج

III- العوامل العسكرية

- الحملات العسكرية للجيش الفاتح
- نظام الرهائن والتطوع في الجيش
- دور الرباط في أسلمة البربر

IV- العوامل الإقتصادية الخارجية

- المسائل الجبائية والإغراءات المادية
- الطرق التجارية في جوف الصحراء

V- العوامل الإستراتيجية.

- محاور المدن الإسلامية الأصلية (مرتبطة بالمشرق).

1- القيروان

2- تونس

3- ناكور.

VI- العوامل الإجتماعية الخارجية

- الرقي الإجتماعي (نظام الولاء والموالى)

VII- العوامل الدينية

- دور دعاة المشرق

الفصل الثاني: العوامل الخارجية لإعتناق البربر الإسلام

لقد تعددت عوامل إعتناق البربر للإسلام بتعدد المراجع وتعدد بذلك إيديولوجيات مؤلفيها، ومعنى ذلك أننا في الحقيقة أمام مستوى بنيوي[1](مركب) هو محصلة تطور متناقض تعددت فيه عناصر داخلية وخارجية، وأسلمة بلاد البربر يعتريها اللبس والغموض، وذلك نتيجة قلة المصادر إذ أن معظمها يتطرق إلى الجانب العسكري دون سواه، حيث يلاحظ تكرر جملة **" وأسلم البربر وحسن إسلامهم"** أو **"أصبحت بلاد البربر للمسلمين"** دون التعرض إلى كيفية إعتناقهم للإسلام، وبتالي فإن مؤلفوا المصادر العربية وإطلاق لقب الإخباريين العرب في محله بحكم أنهم سردوا لنا الأحداث دون تحليلها مع وجود تناقض بينهم بحكم بعد الفترة بين الأحداث والتدوين[2] الأمر الذي يستلزم معه جمع العوامل الخارجية مع تحليلها ونقدها، وأيضا لا يجب أخذ العوامل التي تطرق لها المؤرخ الاستعماري[3] لأنها نظرة في أغلبها عنصرية وإنما نقذها وصقلها. وهكذا فإنه يمكن تقسيم العوامل الخارجية على النحو الآتي.

I)- **العوامل تاريخية** الخارجية

إن دراسة تاريخ البربر يتداخل تداخلا وثيقا مع دراسة الحضارات التي تواكب تطور الشخصية الامازيغية عبر القرون ،فلا ينفك الباحث في التاريخ البربر ان يدرك

---

[1] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 152.

[2]إن الصعوبات المنهجية التي تحول دون دراسة موضوع اعتناق البربر للإسلام دراسة موضوعية هي نقطتين أساسيتان الأولي أن المرحلة التي نحن بصدد دراستها هي مرحلة تعود الي القرن الاول الهجري (7م) وهي مرحلة لم تكن الكتابة التاريخية قد تبلورت لدي العرب المسلمين وما وصلنا من وقائع لمؤرخين متأخرين بالقرون ونذكر علي سبيل المثال من الأقدم الي الأحدث (عبد الرحمن بن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب والأندلس 257هـ ،احمد بن يحيي بن جابر البلاذري،فتوح البلدان279هـ ،المالكي رياض النفوس453هـ ،ابن الاثير عز الدين ،الكامل في التاريخ630هـ،عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص اخبار المغرب750هـ ،ابن عذاري المراكشي البيان 780هـ ،ابن خلدون العبر 808هـ) ومنه نلاحظ بعد الفترة وهذا ما يفسر بعض التناقض الذي وقعت فيه هذه المصادر (عببد بوداود ،الامن الفكري ص104)هذه النقطة الاولي اما النقطة الثانية فاين ووجهة نظر البربر مما يحدث علي أرضهم وبتالي انعدمت وجهة نظرهم

[3] عبد الله العروي،المرجع السابق الذكر ص152

صلات التأثر والتأثير التي طبعت ورسخت في الشخصية البربرية وهذا من جراء المعايشة الطويلة لمختلف الحضارات التي وصلت الي أرضه مستعمرتا هذا ما جعل الانسان الامازيغي واسع الافق خبير بالديانات ومذاهبها الفلسفية ، إن مادة بحثنا تستوجب علينا أن نعمق دراستنا لنستوعب مسألة إعتناق البربر للاسلام فكان لزاما علينا ان نعطف الماضي علي الحاضر ومنه الفترة التي نود دراستها هي العصر الوسيط. ومن ثم يتوجب علينا لإستعاب وفهم الأحداث أن نقوم بربط هذه الأخيرة بالحقبات التي سبقتها. وبالتالي، المتتبع لمسألة التأريخ في العصر الوسيط لا يسعه إلا العودة الي جذور القضية والتطرق الي الديانات السابقة وتأثير الحضارات فيها[1] وذلك بتحليلها كالآتي:

ـــ تأثير الحضارة قرطاجية:

إن المعتقد البربري مرتبط ومتكامل مع وجود الحضارة القرطاجية[2] في شمال إفريقية وقد استمر نفود الفينيقيين بشمال إفريقية نحو ألف عام[3] وتعتبر هذه الحقبة حقبة مهمة جدا في تاريخ بلاد البربر[4]. وعليه، فإنه سيتم إلقاء نظرة على التاريخ القديم لتحديد بعض معالم المغرب في العصر الوسيط الأول، حيث ذهب "غوتيه"[5] إلى القول أن **"قرطاجة القديمة قد ساهمت في إعداد البربر لإعتناق الديانة الإسلامية"، ويلاحظ أن سبب ذلك يرجع إلى الإستعداد الشرقي لبلاد المغرب، حيث أن قرطاجة دمرت من طرف الرومان في حرب البونيقية التالثة[6]، وأن البربر قد**

---

[1] غوتيه ،ماضي شمال إفريقية، ترجمة هاشم الحسيني مؤسسة تواليت، ص. 33.
[2] الحضارة القرطاجينية 880-146 ق.م متشعبة من الحضارة الفينيقية الآتية من الشرق وكلمة فينيقية أصلها يوناني (فنيكس) ولها معنيان النخيل واللون الأحمر، وذلك لإستعمال الفينيقيين هذا اللون في ملابسهم ورسم النخيل على نقودهم، ولقد تم إتصال الفينيقيين بشمال إفريقية عن طريق التجارة. وبالتالي، يعتبر المؤرخون أن الفينيقيين هم أول من أسسوا شركات تجارية عالمية خاصة في حوض المتوسط.
أما فيما يخص تأسيس قرطاجنة فنجد الرواة حسب الشاعر اللاتيني "فيرجل" ففي سنة 814 وقبل 880 ق.م خرجت الأميرة "جونو" أرملة "أسرباس" رئيس كهنة مدينة صور الفينيقية الهاربة من ظلم أخيها "بيغماليون". وهنا إستقر بها المقام بشمال إفريقيا تحديدا الساحل تونس وإشترت من ملك بربري "أيارباس" قطعة أرض وشرعت في تأسيس المدينة المسماة "كرت جونو" التي أصبحت تعرف فيما بعد بقرطاجنة وكذا يرجعها أصل الكلمة إلى اللفظ الفينيقي "كرت هدشت" التي تعني القرية الحديثة. راجع عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 69، 70.
[3] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 21.
[4] غوتيه، نفس المرحع السابق، ص. 29.
[5] غوتيه، نفس المرجع السابق، ص. 76.
[6] الحرب البونيقية هي حرب دارت بين روما وقرطاجنة ومفهوم البونيقيين وهم الفينيقيون في شمال افريقيا وانقسمت الحروب البونيقية الي ثلاث حروب في مجملها :الحرب البونيقية الاولي(536-306ق م اما الثانية ام الحرب البونيقية الثالثة فقسمت الي ثلاث حملات:الحملة الاولي 264-241ق م(استلاء روما علي صقلية وجزر البحر المتوسط)الحملة الثانية (219-202ق مخسرت فيها قرطاجة جميع

احتضنت تحت الرماد طابعه البوني"[1]، أي أن الأثر المادي لقرطاجة دمر من طرف الرومان لكن الإنعكاسات الثقافية والدينية ضلت متواجدة. ويلفت "غوتيه" حجته في ذلك إلى ان هناك بقع أخرى من حوض المتوسط تحديدا في ضفة أوروبا عرفت النفوذ الفينيقي و بعد ذلك فتحت من طرف العرب، إذ يذكر[2] **"ففي الحوض الغربي للبحر المتوسط نقطتان إستتب فيهما الإسلام أعنى الأندلس وصقلية، وهما البلدان الوحيدان اللذان حل بهما الفينيقيون والقرطاجيون قبل الفتح الإسلامي"**. ومن ثم، يستخلص من كلام غوتيه أن إعتناق البربر للإسلام راجع إلى إستعداد النفسي[3]، هذا الأخير راجع إلى عامل تاريخي الذي إنكشف عنده الغبار عندما جاء الفتح العربي الاسلامي ووجدت القابلية للإعتناق الدين الجديد لدى فئة البربر. وعليه، أثر قرطاجة الثقافي بقي إذ أن إرادة الهدم لا تكفي لمحو الشعوب ويبدو من غير المعقول مبدئيا أن يكون أثر قرطاجة قد زال نهائيا بعد الإحتلال الروماني[4]، حيث يذكر "أغسال"[5] (GSELL) **"هذا القطر الذي تقاتل عليه الشرق والغرب، والذي ترك به كل طابعه، والذي إختلط فيه الرومان والبيزنطنيون ليغرسوا به المسيحية أصبح منذ الفتح الإسلامي كله شرقيا"** ومع أن الكثير من المؤرخين الغربيين (أغسال، غوتيه) كانوا يشجعون نظرية تأثير الفينقيين في البربر وبقي التأثير إلى أن جاء العرب الفاتحين وتجلى هذا التأثير في إعتناق جل البربر الإسلام. وهنا لزم الذكر ان مبارك بن محمد الميلي رفض نظرية الغربيين،أي نظرية التأثير الحضاري للفينيقيين على البربر، حيث يذكر[6] **"فمع إعترافنا بمحافظة البربر على ما أخذوه عن قرطاجنة لا نعتقد أن البربر صاروا فينيقيين: ليست بينهم وبين العرب فوارق شديدة في مناحى حياتهم،**

مستعمراتهافي اسبانيا وجزر البحر المتوسط) والحملة الثالثة 149-146ق م القضاء نهائيا علي قرطاجة بهذف الحد من نفوذ الملك البربري ماسينيسا راجع عبد الرحمن الجيلالي نفس المرجع السابق ص73

[1] غوتيه، نفس المرحع السابق، ص. 75. تجدر الإشارة إلى أن البوني تعتبر اللغة البونيقية التي تعتبر مزيج من اللغة الفينيقية واللغة اللوبية. وتجب الملاحظة أن اللغة اللوبية هي لغة البربر الخاصة بهم. راجع عثمان عكاك، موجز تاريخ الجزائرالعام، ص. 32.

[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 78.

[3] تجب الإشارة إلى أن الدراسة من حيث الناحية الأتنولوجية ، علم الأعراق البشرية يبحث في أصول الشعوب المختلفة، ويدرس ثقافتها دراسة تحليلية مقارنة أيضا وهو مصطلح صياغة أدم. إف. كولا لسنة 1793م.

[4] لقد تم تدمير مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م بعد الحرب البونية التالثة وكانت حرب إبادة قرطاجة أردتها روما كرصاصة رحمة، ويذكر غوتيه نقلا عن غيزل "لقد دمرت روما قرطاجة لتحول دون إستلاء مسينيسا عليها وتجعل منها عاصمة لها".

[5] S.Gsell, Monuments antique de l’algérie, Tome 1, albert fontemoing, édition, 1910, p. 143.

[6] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص. 42.

فهم وأن أخذوا حظا وافرا من حياة البونيقيين - قد صبغوه بالصبغة البربرية وإبتعدوا به أصله- إذ فالفينيقيين ليست لهم يد فيما كان للعرب من تأثير على البربر"، ويلاحظ أن وجهة نظرته تتجلى في أن العرب هم الذين كانوا أسباب هذا الإنقلاب (الإعتناق) من غير مساعدة خارجية[1]، بحكم أنهم لم يأتوا إلى هذا الوطن لغرض سياسي أو تجاري أو إستعماري. وإنما أتو لنشر الديانة الاسلامية .اذ ان البربر لم يتقبلو الاسلام إلا بعد ان تبين لهم أنه الدين الاسمي والاقرب الي العقل والقلب [2]

كم يلاحظ في هذا الصدد ان مبارك بن محمد الميلي ينكر التأثير من ناحية اللغة، حيث يتفق مع "أغسال" "Gsell" إذ يذهب إلى القول أن بقاء الفينيقية بألسنة البربر سهل عليهم تعلم العربية. وهنا يطرح تساءل، ألا يوجد علاقة[3] بين الدين واللغة. ومن ثم، تأثر البربر باللغة الفينيقية، إذ يظهر أن التأثير سيُسهل إعتناق البربر للإسلام ، وهذا من ناحية التأثير النفسي واللغوي للحضارة القرطاجية.

أما من الناحية الدينية فقد وجد القرطاجيون الأوائل عند البربر إلها محليا هو "إله آمون"[4] وهو إله عل شكل كبش كما سيأتي ذكره في عنصر المعتقد البربري(الفصل الثالث)، ويذهب "ألفردبال"إلى القول نقلا عن "هنري باسيه" **"كان أمون هو الإله الكبير عند البربرفي عصر قرطاجة الأولى، بل يبدو أنه الوحيد الذي يظهر أنه الإله الكبير، والوحيد الذي لم يكن مجرد رمز، ومجرد تمثيل سحري لقوة**

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق الذكر، ص. 42.

[2]رابح لونيسي ،دعاة البربرية في مواجهة السلطة ،دار المعرفة ،الجزائر ص11

[3] تجدر الإشارة إلى أن الديان مهما إختلفت أنواعها فهي مجموعة القواعد الضابطة لسلوك الفرد مع نفسه ومع الجماعة، ومن حيث هي كذلك تتطلب بالضرورة الإستعمال اللغوي في الدعوة لها وفي ممارسة طقوسها، حيث أن لو لم يكن القرآن الكريم منزل باللغة العربية لإندثرت هذه الأخيرة. وبالتالي، القرأن هو حافظ للغة العربية، أي أن اللغة التي تمارس بها الطقوس لابد أن تكون باقية ما تبقى هذا الدين. وبالتالي، إرتبطت اللغة العربية إرتباطا قويا بالإسلام لأنها مفتاح فهم العقيدة الدينية. راجع أحمد بن النعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر،منشورات دحلب،حسين داي،الجزائر،1991 ص.29.

[4] ألفرد بال، الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي من الفتح العربي حتي اليوم ،ترجمة عبد الرحمن البدوي ،دار الغرب الاسلامي ،لبنان بيروت الطبعة الثالثة ،1987 ص. 58. كما يذكر محمد العربي عقون ،الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2008 ص217 "...ان المسألة اصبحت معقدة فإله آمون اصبح مطابق لاله آمون رع ويعني كلمة امون AMN أو IMN المشتقة من كلمة AMéN وهو الماءو الشمس اما IMEN فهي الروح ومنه هذه العناصر الثلاث مقدسة الماء الشمس والروح عناصر الحياة شكلت الاه الاكبر لدي البربر "

غير واضحة، ويدين بهذه الخاصية لكونه لم يكن بربريا محضا، بل يبدو وأنه كان إلها مركبا تكون من كبش قديم يمثل قوة القطعان البربرية وقوة الإله الشمسي الكبير آمون – رع".

وبالتالي، يستخلص أن هناك عملية تأثر وتأثير بين المعتقد البربري والحضارة القرطاجية (الفينيقية) وبما أن البربر منذ فجر التاريخ مستقرين ورحلا (فرعية البرانس والبتر) يعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات، فإن دياناتهم ديانة زراع ورعاة قبل كل شيئ، وكانت دعواتهم "متجهة" أساسا إلى وفرة الحقول والمحاصيل وتكاثر القطعان والمواشي، وقد إعتمد التصور الديني لدى البربر رغم تأثير الحضارات المتعاقبة على أرضه على وجود قوة كامنة[1] تغذي الأودية والأنهار (سميت عند الانتروبولوجيين الأرواح)، وهذا بحكم أن مناخ منطقة شمال إفريقيا متذبذب من ناحية الأمطار وبهذا إبتكر البربر طقوسا سحرية ودينية وأيضا إقليمية خاصة بكل منطقة بحكم أن الطابع الجغرافي[2] لمنطقة البربر هي مناطق منفصلة ومنعزلة تولدت عنها النزعة الانفصالية القبلية كان نتيجتها حتما نوع من الانعزالية الدينية[3]، ولكن ما يهمنا هنا أن رغم هذا التنوع في المعتقدات الدينية لكل قبيلة فقد تم الإتفاق في التصورات والوسائل[4]. وأخيرا فإن الإتصال بين الديانة البربرية والديانة القرطاجية لم يقع إلغاء واحد لأخرى، بل حدثت فقط إستعارات متبادلة وتأثير من الصعب تحديدها[5]، حيث يذكر ألفرد بال **"لقد ظفر البربر من القرطاجيين وكانوا فيما**

[1] تجب الإشارة إلى أن القوة الكامنة تكمن في الأرواح أو الجن الذي كان مكرسا في العقلية المغربية (البربر). حيث مازالت بعض العادات المتجدرة في القدم موجودة في أيامنا وعلى سبيل المثال عند تغيير اسنان الطفل ترمي القديمة بإتجاه الشمس راجع شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقية، ص.66. ومحمد العربي عقون ص123

[2] يذكر "شارل أندري جوليان" أن **"تضاريس بلاد البربر أثرت بخاصيتين جوهرتين على مصير البلاد تأثير حاسما في أكثر الأحيان، فتجزؤ البلاد إلى أقسام مستقلة الواحد عن الآخر لم تكن خطرا على الوحدة السياسية خلال العصور. بل أنه ساعد في بلاد القبائل أو الأوراس مثلا على تكوين مجموعات بشرية لها خصائصها الذاتية. البربر المحافضين والبربر المستعربون"**راجع شارل أندري جوليان، المرجع السابق الذكر، ص. 09.

[3] الإنعزالية الدينية حسب مفهوم ألفردبال هو الإيمان بقوى محلية أو قبلية أي لكل قبيلة "إله" خاص بها وقد بقيت هذه العادة المتجدرة في المعتقد البربري إلى يوم إعتناق البربر للإسلام وقد صبغت بصبغة إسلامية إي التحول إلى تقديس الأولياء الصالحين، حيث نرى ونلاحظ حاليا أن لكل ولاية أو منطقة والي خاص بها.

[4] تجب الإشارة إلى أن الدين والسحر إرتبطا لدى البربر إرتباطا وثيقا يصعب الفصل بينهما في تلك الفترة.

[5] ألفرد بال، المرجع السابق، ص. 87.

يبدوا أوفر حظا في التأثير في ديانة البربر من غيرهم بأفكار أقل غموضا فيما يتعلق بتصور الإله من الأفكار التي لديهم عنه، وذلك نتيجة مشاركتهم لهؤلاء الأجانب الأكثر منهم حضارة في عبادتهم للآلهة الكبرى آنذاك، لقد استطاعوا بذلك أن يرتفعوا إلى فكرة ألوهية محددة بعض التحديد في طبيعتها وصفاتها بعد أن كانوا لا يتصورون في إلههم القديم الكبش آمون غير قوة غامضة سحرية".

ومن ثم، يستنتج أن الديانة تطورت لدى البربر على غرار باقي الحضارات القديمة، فمن الطوطمية إلى الوثنية إلى الصنمية فالماجوسية[1] إلى تأثير بالحضارات القديمة خاصة الفينيقية (القرطاجية) وتطور إلى تحديد الإلوهية بدل الأرواح الكامنة المخيفة، إذ عرف البربر مشاعر لم يعرفها الإغريق لمشيئة الرب **(التوحيد)**[2] وكانوا جميعا أي البربر في المدن أو القرى قد أخذوا عن قرطاجة عبادة بعل[3] الذي صبغوه بصبغة بربرية[4] آمون ووضعوه في مرتبة الاولي بين طائفة صغار الالهة[5] وهي خطوة في طريق **التوحيد**(اعتناق اليهودية،المسيحية تم اعتناق الاسلام أي التوحيد

---

[1] بحكم الهالة الشمسية الموجودة لدى "آمون" (كبش ذو هالة شمسية). انظر الملاحق(ملحق رقم 06).

[2] جوهر الدين وروحه أنه يوجد ولا يفرق والدين الإسلامي هو دين "التوحيد" بإطلاق التوحيد على مستوى العقيدة (إله واحد). راجع محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة،قضايا الفكر العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنلن،الطبعة التانية ،2004 ص. 117.

[3] لقد كان الإله الأكبر لقرطاج كان بعل حامون ويمثل الإله الأعظم، مالك القوى السماوية الأقدر ونجد بجانبه ألهة دونية مساعدة له وكمثال تانيت بينيغل (أي وجه بعل)وهي الة الخصوبة حيث ان اسم تانيت يعني بالبربرية الوحم ، وقد يكون بعل امون نفسه مزيج بربري فينيقي. راجع شارل أندري جوليان، المرجع سبق ذكره، ص. 98.

[4] إن غايات العقيدة ومظاهرها تخضع لمؤثرات المكان والزمان معا، فعندما انقلبت الديانة الفينيقية إلى إفريقية طرأت عليها تغيرات حتمية. شارل أندري جوليان، نفس المرجع السابق، ص. 98 . وكذا الفرد بال ص.80 وعقون محمد العربي الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ،ص.216- 217

[5] يذكر عقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في شمال الإفريقي القديم، ص. 228 "...**يوجد لدى قدماء البربر حشد من صغار الألهة وهي الآلهة المسماة الماورية (Dii Mauriو Mauri) وكلمة المارورية معناها المحلي أو الأهلي الغير قابل للإندماج** "راجع أيضا بهذا الصدد
R. Basset, R. Basset, *La religiondes bérbéres,* Revue de l'hhistoire des religions, Ernest leroux, Paris, 1910, p. 225.

المطلق لرب العالمين)ومنه نستخلص ان وجود اليهودية و المسيحية تدل علي الاستعداد لعبادة اله واحد (التوحيد المطلق الذي وجد في الاسلام).

- اليهودية عند البربر:

قبل التطرق إلى المسيحية في الفصل الثالث لزم الإشارة أن المجال الديني لدى البربر قبيل الفتح الإسلامي كان نوعا ما مزيجا[1]، حيث أن اليهودية[2] كانت متواجدة في البوادي[3] وبعض المدن أما الديانة المحلية والتي تطرقنا إليها سابقا كانت منتشرة أيضا لدى قبائل البربر. ومنه فقبائل البربر كانت لهم فسيفساء في المجال الديني (الوثنية اليهودية الخاص بهم، المسيحية).

ونذكر أن إعتناق البربر اليهودية او المسيحية كان نوع من الإنعتاق من السلطة الرومانية، حيث أن اليهودية وجدت قبل المسيحية على بلاد البربر أي قبل 64م[4]، حيث إضطهد اليهود من طرف الإمبراطور[5] الذي إعتبر نفسه قديسا وله هالة من الآلهة أو حتى إعتبر نفسه هو الآلهة نفسها فجاءت اليهودية بتوحيد الذي إعتبر نوع من التهديد للسلطة المركزية الرومانية، فاضطهد اليهود من طرف "طيطوش" "Tutus" (40-81ق.م) إذن أنه سنة 70م حطم وخرب القدس وأعتبر التحطيم الأول للقدس في عهد الإمبراطورية البابلية، أما سنة 135م في عهد الإمبراطور "أدريان" "

---

[1] عبد الحميد حاجيات، الجزائر من الفتح الإسلامي إلى تأسيس الدولة الرستمية، مجلة الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني، عدد. 3، ص. 43.

[2] تذكر المصادر أن مجئ اليهود إلى شمال إفريقيا منذ سنة 588 ق.م أي الوقت الذي إستولى فيه الملك البابلي "بختنصر" (Nebuchadnezzar) على البيت المقدس وتخريبه ونهبه. ومنه، شرد اليهود فخرجوا مضطهدين لاجئين إلى أبناء عمومتهم الكنعانيين (الفينيقيين ومستعمراتهم)، وإشتهر هذا التشريد اليهودي بإسم جلاء بابل تم جاء الجلاء الثاني عندما حاول اليهود الخروج عن طاعة الرومان فقضى عليهم الإمبراطور "طيطوش بن فسباسيان" سنة 70م وشتت شملهم في العالم وخرب البيت المقدس الخراب الثاني فلجأ اليهود إلى شمال إفريقيا وتوالت الهجرات . راجع عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص. 73.

[3] كما هو معروف أن قبيلة الكاهنة جراوة كانت تدين باليهودية وجراوة هم أبناء جراو بن الديرت بن جانا (زانا) ومواطنهم إفريقية والمغرب الأوسط تم نزحوا أثناء الفتح إلى المغرب الأقصى وإندمجوا ضمن قبيلة يطوفت من أحياء غمارة راجع بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية ص158-168

[4] M. Sadok Belochi, *La Conversion des bérbér à l'islam,* Maison tunisienne, 1981, p. 44.

[5] السلطة الرومانية تعادل الزعامة السياسية والزعامة الدينية. راجع عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم ،دار الحداثة للطباعة والنشر الطبعة الاولي 1982ص. 45.

d’Hadrien"[1]. وجدت ثورة جديدة مناهضة لحكم وسلطة الإمبراطورية الرومانية وكان من آثارها تهجير اليهود عبر كامل تراب سلطة الإمبراطورية الرومانية بما فيها إفريقية. وبالتالي، وجد تأثير اليهود المهاجرين مع السكان الأصليين (البربر هؤلاء جزء منهم إعتنق اليهودية[2] وهذا من أجل مناهضة سلطة روما الإستعبادية. وعليه، يستخلص أن البربر عرفوا التوحيد الأول المطلق عن طريق إعتناق اليهودية، لكنها يهودية خاصة بهم ودليل إختلاف العقائد ما بين موسوية يهود جربة تونس ويهود صفرو بالمغرب الاقصي، كما أن عقيدة الكاهنة بعد التحليل لم تكن يهودية خالصة، بل هي خليط من الوثنية الصمنية اليهودية أي خليط بين المعتقد البربري والديانة اليهودية وجانب من المؤرخين [3] يذكرون أن قبيلة جراوة ونفوسه[4] ومديونة[5] كلها تدين بدين اليهودية إلى عهد دولة الأدارسة.

II- العوامل السياسية:

تتمثل العوامل السياسية في ضعف سلطة بيزنطا وكذا حركة الخوارج، وهو الأمر الذي سيتم شرحه على النحو الآتي

ـ ضعف سلطة بيزنطا:

---

[1] M. Sadok Belochi, *op.cit,* p. 45.

[2] يذكر إبن خلدون، المصدر سبق ذكره، ص. 165: "...وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانو بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند إستفحال ملكهم لعرب الشام وسلطانه يومئذ منهم كما كان جراوة أهل جبل الأوراس قبيلة الكاهنة يقاتلون العرب لأول الفتح كما كان نفوسة من بربر إفريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياتة وبنو فازاز من بربر المغرب الأقصى تم محا إدريس الأول الناجم بالمغرب من بني الحسن بن الحسن جميع ما كان بنواحيه من بقايا الأديان". راجع إبن خلدون، العبر، ج.6، ص. 165.

[3] ذكر الناصري في كتابه الأستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ص. 123:" ذكر بعض المؤرخين أن البعض من البربر كانوا قد دانوا بدين اليهودية وأخذوه من بني إسرائيل عند إستفحال ملكهم لغرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة وكما كانت نفوسة من بربر إفريقية وقندلاوة ومديونة وبهلول وغياتة وبنوفازاز من بربر المغرب الأقصى حتى محا إدريس الأكبر جميع ما كان بنواحيه من بقايا الأديان والملل".

[4] يقصد بـ "نفوسة" أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر مواطنهم طرابلس وهناك جبل معروف باسمهم يسكنه اليوم بقاياهم ، راجع.بوزياني الدراجي،القبائل الامازيغية ص. 284.

[5] مديونة هم من "جذم بنوفاتن" (فاتن بن تمصيت إبن ضري مواطنهم بين فاس وصفروي إذ كانوا مجاورين لمغيلة القبائل الأمازيغية)، راجع .بوزياني الدراجي،القبائل الامازيغية ص.119،118.

يذكر معظم المؤرخين الغربيين[1] أن الفتح الإسلامي هو قطيعة مع الماضي. فيذكر غوتيه[2] أن " **تاريخ المغرب ليس عبارة عن تاريخ منتظم مستمر بل شديد التقطع إلى حد يتغير فيه شكل البلد برمته بين الحين وآخر**"، حيث يأسف هؤلاء لإخفاق روما، ويذهلون لنجاح الإسلام، ومعظمهم يهمشون دور البربر والإنتقال من حضارة روما إلى الحضارة العربية الإسلامية مصيبة في حد ذاتها. وبالتالي، يرون قطيعة تاريخية بين حضارتين وكأنها قفزة نوعية في حين أنه حينما تم إستعراض الأحداث في بلاد البربر لم نلاحظ تلك القطيعة التي طالما رددها المؤرخون الغربيون بل يلاحظ تغييرا بطيئا[3]. ومنه، لم ينتقل البربر من حضارة العظيمة إلى الإنحطاط وإنما إنتقلوا من مجتمع منحط إلى مجتمع ذو قيم سامية أي من الحضارة الرومانية المسيحية[4] الهرمة التي تجاوزت أمد حياتها إلى حضارة إسلامية فتية قوية، ونجد غوستاف لوبان[5] يدعم الطرح الذي ذكر "**أن الزمن الذي ظهر فيه العرب من العوامل التمهدية التي ساعدت على إظهار قوتهم. ولعامل الزمن التمهيدي أهمية كبيرة في حياة الأشخاص والأمم**"حيث أن الفتح الاسلامي أمر عادي من الوجهة التاريخية[6]. لا يعجب منه أو يستنكره إلا من له مقصد خفي، ومنه دعى العرب الناس إلى عبادة إله الواحد، هذا كل ما فعلوه، ولم يحس البربر أن الدعوة جديدة عليهم خاصة منهم المسيحيون[7]، حيث يعتمد الإسلام مبدأ "لا إكراه في الدين"[8] على الأقل فيما يتعلق

---

[1] غسال،Gsell المرجع السابق الذكر، ص 600 .أيضا ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص.189، كذلك غوتيه، المرجع سبق ذكره، ص96

[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص.07.

[3] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 131.

[4] يذكر أرنولد توماس في، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ترجم إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين، إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1971، ص. 352. ص.145. أن :" على أنه مهما يكن إتساع الكنيسة المسيحية فقد تلقت من إضطهادات الوندال ضربة لم تقف منها أبدا. فقد ظل الوندال الآريون (مذهب الأريوس) قرابة قرن من الزمن يضطهدون الأورتدكس إضطهادا عنيفا لاهودة فيه، فلما سحق "بليزاريوس" "Belsarius" قوة الوندال سنة 534م وأعاد شنال إفريقيا إلى الدولة الرومانية لم يتبقى في مجمع قرطاحنة إلا 217 أسقفا لإستئناف إدارة الكنيسة المسيحية، وبعد أن تعرضوا لإضطهاد مرير وطويل الأمد، إستسلموا له مكرهين، ولم يكن بد من أن ينقص عدد المخلصين للدين نقصا كبيرا".

[5] غوستان لوبان، مرجع سبق ذكره ، ص. 714، 715.

[6] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص.131

[7] يذكر توماس أرلوند في كتابه الدعوة على الإسلام، ص. 142.:"إن بقاء الكنيسة المسيحية بعد الفتح العربي أكثر من ثمانية قرون لشاهد على روح التسامح التي إستطاعت وحدها أن تجعل مثل هذا البقاء ممكنا".

[8] قال تعالى:" **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "، سورة البقرة، الآية 256.

بأهل الكتاب (الديانات السماوية). فإن قادة الفتح قد ترددوا في الحكم على عقيدة البربر الذين كما سلف الذكر كانوا يعتنقون نوعا من التوحيد لقد كانت المسألة منذ البداية سياسية أكثر منها دينية أي كيف سيحكم العرب البربر(وقد لاحظنا هذا خاصة في فترة الدولة الاموية)، وهذا ما يفسر لنا ربما عنف المقاومة في البداية (المواجهة الأولى) وسهولة الإعتناق في النهاية (معرفة الإسلام والخصوم ومقاصدهم)[1]. وبالتالي، يستلزم معرفة الأوضاع السياسية الإمبراطورية البيزنطية وريثة روما لمعرفة اسباب اندثارها ، لقد كانت بيزنطا منهكة من الحروب حتى بداية القرن السابع (07) ميلادي والسبب إنطلاقة الإسلام التوسعية التي قوضت الدولة البيزنطية و أوقفت توجهها التوسعي في ولايتها الشرقية[2] فرغم نجاح الإمبراطورية البيزنطية في الحفاظ على نجاحها لكنها بقيت مع ذلك مهددة مما سيجعلها لفترة طويلة تتحمل الضغط العربي الذي أرهقها، ونتيجة لذلك، فقد فقدت بيزنطا الثقة بالقوة الهجومية التي كانت تتمتع بها نتيجة إنتصارات العرب في الشرق فإستعانة بتحصينات رسمية في بلاد البربر لصد الغارات المفاجئة، إذ أنه تم إستنتاج ذلك عندما تطرقنا للحملات العسكرية للفتح الإسلامي وإستعمال القادة العرب لإستراتيجية الحصار في حصون بيزنطا، أما البربر فكانت المواجهة في المعارك مباشرة ولهذا فقد أقامت بيزنطا في كل مكان مخابئ وأحاطوا مدنهم بالأسوار. ومن ثم، فإنه يمكن القول أنه كانت هناك قطيعة بين سكان بيزنطا وسكان الأصليون (البربر)، الأمر الذي زاد من عدم إستقرار الأوضاع لاسيما نظام الجنود وإتاوات الموظفين[3]، علاوة على ذلك فإن المنازعات السياسية في إفريقية بين

تجدر الإشارة إلى أن إنحلال الكنيسة في بطئ شديد لدليل على التسامح الذي لابد أن تكون قد عوملت به هذه الكنيسة، فقد وجد بعد الفتح الإسلامي بثلاثة مئة (300) سنة تقريبا ما يقارب من أربعين (40) أسقفية كانت لا تزال باقية هناك وفي سنة 1053م حزت البابا "ليون التاسع" على أنه لم يبقى إلا خمسة أساقفة يمثلون الكنيسة الإفريقية التي كانت من قبل تتمتع بشهرة وإزدهار. راجع توماس أرلوند، المرجع السابق الذكر، ص. 143.

[1] نلاحظ ان البربر عندما فقهوا الإسلام وعرفوه حق المعرفة سيثورون علي العرب وسلطة المركزية في الشرق وعلي جور ولاة بني امية سياسيا لا دينيا وهذا لان الاسلام برئ من تصرفاتهم و هؤلاء لا يمثلونه

[2] هشام جعيط، مرجع سبق ذكره ، ص.13.

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 132 :" حيث أن الحكومة البيزنطية ترتكز في سيادتها على نهب المال وقد كان مبلغ ما تنفقه السلطة على هؤلاء الموظفين 10299737 من الفرنكات. وهذا غير ما يرسل إلى الإمبراطور نفسه من الأموال وما يجمع من القمح ...وللحكومة جند ممتزج من الأهالي والبيزنطيون وفيهم المأجور وكلهم تحت تصرف رئاسة القائد العام المدعو أكسارك".

البيزنطيين[1] أنفسهم ساعدت مهمة الفتح الاسلامي. والملاحظ أنه عندما وفاة "هرقل"، كان الوالي البيزنطي على إفريقية هو البطريق "جرجير"[2] وقد أعلن استقلاله وأقام حركة إنفصالية عن الإمبراطورية البيزنطية مباشرة بعد موت "هرقل" وأعلن نفسه إمبراطورا وجعل عاصمته "سبيطلة" "Sufetula " (في الجنوب الغربي من مدينة القيروان الحاليا) بينما بعثت القسطنطينية إلى قرطاجة واليا آخرا إستقر بها.

ويلاحظ أن حدود[3] بيزنطا في بلاد البربر كانت محدودة ولم تتوسع ذلك التوسع الموجود في ذهن المؤرخين الغربيين، أما الدولة المركزية في المشرق فقد كانت فتية توسعت الخلافة بجهاتها الاربعة بسرعة نادرة، إذ كان المركز (دمشق) يعيش على حساب الأطراف[4] (المغرب والأقاليم المفتوحة في الشرق). وعليه، ظهر المغرب بالنسبة للمشرق على أنه الأرض المباركة للجهاد المقدس[5] (وهذا على الأقل في بدايات الفتح مرحلة السرايا التي سبق ذكرها في الفصل الاول، فشخصية "عقبة بن نافع" ويليه "زهير بن قيس" التي أتسمت بالورع والتقشف وفق المصادر التاريخية، حيث رفض الإقامة في بلاد البربر قائلا:" **إني ما قدمت إلا للجهاد، وأخاف أن تميل بي الدنيا فاهلك، ولست ارضي بملكها ورغد عيشها"**[6].

والجدير بالذكر أنه عندما تحولت السلطة من حكم الخلفاء الراشدين إلى حكم الدولة المركزية (الدولة الأموية في دمشق) وتوسعت الخلافة في مدة وجيزة إلى سوريا، العراق، إيران، مصر والمغرب، إذ أنها لم تستطع أن تنظم نفسها بشكل جيد، وقد كانت الخزينة تمول مما يدفعه غير المسلمين من جزية وخراج وعندما تعثرت الفتوحات وقلت الغنائم كان طبيعيا أن تعرف دولة الخلافة أزمات مالية تتلوها أخرى

[1] ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص. 77.
[2] تجب الإشارة إلى أنه في عام 587م إستطاع "جناريوس" إخماد ثورة البربر فكان بهذا أول حاكم عام عسكري لقب بالبطريق .
[3] لا تتجاوز مملكة البيزنطيين بإفريقية عن أن تكون جزءا صغيرا يبدأ من حدود مصر إلى جبل الأوراس ثم تأخذ في الإقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة، وقد قسمت إلى نوميديا (قسطنطينية) موريطانيا سطيفية (سطيف)، موريطانيا القيصرية (شرشال). ومنه حدود بيزنطا كان محدودا ببلاد البربر
[4] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 141.
[5] جورج مارسيه، مرجع سبق ذكره ص.22.
[6] إبن عذاري، المصدرالسابق الذكر، ص. 32.

سياسية[1]. وهنا أصبح المغرب (بلاد البربر) للمشارقة العرب أرض غنيمة أكثر من أرض جهاد[2]، حيث يلاحظ أن المصادر قد أشارت إلى الثروة الإقتصادية لبلاد البربر حينما تحدثت عن مقاومة الكاهنة وذكرت أن" إفريقية كانت ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة" . وكذا توفر الذهب والفضة[3] بسبب مزارع الزيتون التي كانت قديما تمّون روما والقسطنطينية وقد كانت خزينة الدولة في الدولة الأموية تمول من الخيول والجمال وعبيد المتواجدين بارض البربر[4]. ومنه فالاوضاع السياسة قبيل الفتح الاسلامي ثمثل اساسا بتظهور أوضاع بيزنطا الداخلية المثمثلة اساسا بوجود حركات انفصالية قادها البطريق وضغط مستمر علي حدود ولاياتها في الشرق وكذا فقدانها مساحات واسعة اخدت عند توسع الامبراطورية العربية الاسلامية تم عرجنا إلى أوضاع العرب الداخلية،التي كانت مزدهرة مقارنتا بأوضاع بيزنطا ولزم الآن أن نستعرض علاقة بيزنطا بالعرب في بلاد البربر.

فبعد أن قتل "جرجير" إستولى من بعده على إفريقية "جيناديوس" وذلك بمناصرة البربر[5]. وهنا أراد الإمبراطور "قسطنطين الثاني" المتمركز في القسطنطينية إستعادة سلطانه في إفريقية ومنه دعم وناصر منافس جيناديوس وهو ألوتيرة "Eleuthére " هذا الأخير أبدى إستعداده لعودة إفريقية لحضيرة الإمبراطورية البيزنطية، وهنا كون أو شكل الإمبراطور"قسطنطين الثاني" جيشا بيزنطيا أرسله من صقلية لإستعادة البلاد فإضطر "جناديوس" الإتجاه نحو العرب وطلب النجدة من الخليفة مطبقا شعار "عدو عدوي صديقي". فأسرع العرب بالعودة

---

[1] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 141.
[2] جورج مارسيه، المرجع السابق الذكر، ص. 24.

[3] في عهد عبد الله بن سعد بن أبي سرح نزل على باب مدينة "سبطلة" وحاصرها حتى فتحها. ووجد فيها سبيا كثيرا وأموالا جمة أكثرها ذهبا وفضة ورأي فيها من الأموال مالم يكن في غيرها..فلما سأل الأفارقة عن مصدر تلك الأموال أتاه أحدهم بزيتونة أونواة زيتونة وشرح له أن الروم ليس عندهم زيتون أو أن أهل البحر والجزر ليس لهم زيث. فكانوا يشترونه منهم بهذه الأموال. راجع بن عميرة، المرجع السابق الذكر، ص. 46.
[4] جورج ماسيه، المرجع السابق الذكر، ص. 26.
[5] عبر سيرورة التاريخ البربر كانوا يستعينون بسيطرة أجنبية لإخراج أخرى وبهذا لم يتغير الأمر عند الفتح الاسلامي.ودليل استنجاد البربر بالوندال لتخلص من الرومان .

على إفريقية وجاءت مرحلة حملة "معاوية بن حديج"[1] على إفريقية سنة 45 هـ الذي كان من نتائجه اعتناق الكثير من البربر الإسلام[2]. لكن ورغم هذا الإنتصار لم تستقر الأوضاع وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور حملة "عقبة بن نافع الفهري" (50-55هـ) التي أدخلت إفريقية مرحلة الفتح المنظم، وإستقرار العرب وجعلها (إفريقية) قاعدة عسكرية للحملات وقد تطرقنا اليها في الفصل الاول من البحث.

أما فيما يخص بيزنطا فيلاحظ تزايد المشاكل السياسية، من تفويض سلطانها في بلاد البربر، إذ أن قتل الإمبراطور "قسطنطين الثاني" وإنشغال خليفته "قسطنطين بوجا" "Pogonat" بمحاربة منافسيه في صقلية معتمدا على كل قوات جيشه مما جعله يترك إفريقية خالية من القوات وسهل بذلك مهمة "عقبة"[3]، حيث لم يقابل البيزنطيين في طريقة إلى بلاد فزان إذ لا صدام مع جيوش ولا حصار مدن بل إستسلام قلاع خالية من الحماية وبهذا نتج عن هذا المسير السهل إنشاء قاعدة الإسلام الأولى في إفريقية مدينة القيروان (670م-50هـ)، في حين يذكر عبد الله العروي[4] **"أن خطة عقبة بن نافع تمثلت في عدم الإتجاه شمالا بسبب تواجد المدن بيزنطية الحصينة، بل إتجه شرقا وإخترق منطقة الهضاب المرتفعة التي تشبه تضاريسها ما ألفه عرب الجزيرة ".**

ـ مذهب الخوارج:

لقد ذكرنا سابقا أن نمط عيش البربر ينقسم إلى قسمين رعاة رحل غير مستقرون (البثر) والبرانس (المستقرون الذين يعيشون على الزراعة)، وأن نطاق مواطنهم يختلف، حيث أن بربر البرنس مستقرون في الشمال وقد كانوا أول من

---

[1] يذكر عبد الله العروي "توقفت حركة الفتح أثناء الفتنة الكبرى. فلما إستتب الامر لـ"معاوية" قرر سنة 45هـ/665م أن يغزو المسلمين غزوة إستطلاع وكانت الأوضاع في إفريقيا المنطقة الخاضعة لحكم البيزنطيين قد تدهورت اثناء 18 سنة بسبب الصراعات العقائدية"
[2] جورج مارسيه، المرجع سبق ذكره، ص. 35.
[3] جورج مارسيه، نفس المرجع السابق، ص. 35.
[4] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 122، 123.

إعتنق الإسلام بفعل إحتكاكهم الأول بالفاتحين العرب. وهذا بسبب نمط حياتهم القائم على الإستقرار لأنه إذا كان قد داهمهم أي خطر خارجي سواء (الفينيقي، الرومان، الوندال أو حتى البيزنطيون) فليس أمامهم سوى الخضوع والإستسلام كما ذكر سابقا في العوامل العسكرية. إلا أن بربر البرانس تختلف وضعيتهم بحكم أنهم غير مستقرون. وبالتالي، فالمناطق الداخلية التي إستقر بها البربر كانت أبطئ من الأولى بإعتناق الإسلام. ويعود فضل نشر الإسلام وتوسيع رقعته ببلاد البربر خاصة المناطق الداخلية إلى فقهاء المذهب الخوارج[1] بفعل إختلاطهم وإحتكاكهم بالبربر والمثالية الدينية التي تحلى بها هؤلاء الدعاة الآتون من المشرق والناقمون على الخلافة الأموية، حيث أن العصبية العربية تستيقظ من حين إلى آخر فأدى ذلك إلى إعتناق البربر الإسلام لكن تحت راية الخوارج[2] هذا المذهب المشرقي قدم إسلاما صارما في عدالته، وكان محققا لمطالب الكادحين من اليد العاملة (البروليتاريا)[3].

وفي نفس الصدد ،يلاحظ أنه قد تعرف البربر المتواجدون في الداخل(الهضاب) على الاسلام من خلال مذهب الخوارج بسبب هجرة[4] العرب خاصة منهم الفقهاء اللذين تبنوا المذهب. ومن ثم، يستخلص مما سلف ذكره أن طبيعة الفتوحات الراشدية إختلفت عن طبيعة الفتوحات الأموية، فالأولى كانت تعتمد على مراقبة الخلفاء عن كثب لسير الفتوحات مع التعامل الأخلاقي مع السكان وكذا أخلاقيات المطالبة بالجزية

---

[1] الخوارج: جمع الخارجة وهم اللذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين. راجع الشرهشاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنى، على حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1993، ص. 131.
وتجدر الإشارة إلى أن "الشرهشاني" قد بين أن كل فرق الخوارج تتفق حول مسألة الإمامة بقوله " إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل وإجتناب الجور كان إماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا أن لا يكون في العالم إماما أصلا. إن إحتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا. أو نبطيا أو قرشيا. راجع الشرهشاني، المرجع السابق الذكر، ص. 134.
علاوة لما سبق ذكره يذكر "صابر طعيمة ،دراسات في الفرق ،مكتبة المعارف الرياض ،السعودية ،1983 ص146 "أن هم اللذين ينتقمون على التحكيم، وقد خرجوا عن طاعة علي رضى الله عنه ويرون أن الخلافة تكون شورية النظر منها لعقلاء الأمة، ولا تشترط في نسب أو شخص أو آل البيت. وبالتالي لا يعترفون بالسلطة الشخصية وقد سميو خوارج لخروجهم عن طاعة علي رضي الله عنه ورفض التحكيم".
[2] ألفردبال، مرجع سبق ذكره، ص. 142.
[3] جورج مارسيه، مرجع سبق ذكره، ص. 48.
[4] موسي لقبال، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجوائر، 1984، ص. 31.

مع مراعاة أحوال الناس الإجتماعية. أما الثانية فمرجعيتها الدولة الأموية التي أخذت الحكم بالقوة وجعلته وراثيا على خلاف الشورى الذي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم. وبالتالي، جعل الأمويون العصبية العربية عماد حكمهم، فالنخبة المسيطرة على الدولة الأموية كانت مؤسسة على العنصرية العربية والنعرة الجاهلية[1]، وحتى الجيش الذي سيأتي ذكر دوره الفعال في أسلمة البربر في السنوات الأولى للفتح أي حتى نهاية القرن الأول للهجرة، والذي وفر للبربر وسيلة سهلة للإرتقاء لم يعد يلعب ذلك الدور[2] إثر توقف الفتوحات الإسلامية، حيث أنه لم تذكر المصادر شيئا عن دخول البربر إلى الجيش مع بداية سنة 122هـ ، إذ أصبح هذا العنصر معاديا[3]. فقد نجم عن سياسة الأمويين الأواخر موجة من السخط عمت كافة الولايات الإسلامية ضد الحكم الأموي فبينما إتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق (فرسان وخرسان) عمد الخوارج إلى بث دعاتهم في بلاد المغرب التي كانت آنذاك ميدانا خصبا لتقبل مبادئهم وذلك إما لعدم إعتناقهم بعد الإسلام أو لسطحية تدينهم.

وفي نفس السياق، يلاحظ أن الولاة الذين تم إرسالهم من قبل المركزية الأموية لم يكونوا يمثلون الصورة الحقيقية الإسلام، وهذا بسبب طمعهم وجشعهم وسوء معاملة السكان الأصليون. وحتى لا يتم الإبتعاد عن موضوع الدراسة المتعلقة بإعتناق البربر للإسلام، فإنه يتوجب الإشارة إلى بعض التصرفات التي إتسم بها الولاة والتي أدت إلى نفور البربر وتبنيهم مذهب الخوارج. ولقد أجمع المؤرخون على سوء

---

[1] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 143.
[2] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 73.
[3] مسألة إهانة البربر بوشمهم علي أيديهم من طرف ولاة الدولة الأموية الجائرون هذا ما سيثير حفيظة البربر ويثورون مطالبين باستقلالهم السياسي مع الاحتفاظ بالاسلام كدين حيث يذكر رابح لونيسي ،المرجع سابق الذكر ،ص11"لقد لاحظ البربر ان الاسلام كما وصلهم لا يناقض قيمهم وثقافتهم وتقاليدهم والمتمثلة في عشق الحرية والعدل وعدم التدخل في شؤونهم خاصة انه لا وجود لتناقض بين القيم الاسلامية والثقافة الامازيغية ،خاصة ان الإسلام يعتبر الأعراف والتقاليد مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي شريطة انه لاتناقض مقاصده ومبادئه ". وبالتالي، يستخلص أنهم تاروا سياسيا وليس دينيا.

معاملة عمال العصر الأموي للبربر وإرهاقهم بضرائب الغير متوجب عليهم، إذ إعتبروا بلاد البربر أرض مغانم وحرب حتى بعد إسلام هؤلاء. والملاحظ أن البربرحتي عام 100هـ كانت بعض القبائل مازلت تدينوا بالوثنية أو ان إسلامها كان سطحيا ولم يفقهوا عقائده ، إذ أنهم لم يفرقوا بين الحلال والحرام في الإسلام وكانوا يعتقدون أن الخمر حلال إلي ان أرسل الخليفة "عمر بن عبد العزيز" من يفقهم في دين الإسلام[1]. ومن هنا تبدأ مسألة الردة التي لطالما رددها الغربيون. فالبربر ظنوا أن الإسلام هو الذي يشجع على هذه المطامع حتى أتوا فقهاء المذهب الخوارج الذين قاموا بنشر أفكار هذا المذهب في ظل اعتناق البربر للإسلام. ويستقر أن البربر المسلمون قد وجدوا تناقضا صارخا بين تعاليم الإسلام ومبادئه السامية لما تنطوي عليه من عدل ومساواة وبين سياسة الأمويين الجائرة في حق البربر[2]. وعليه، فإنه يستوجب ذكر بعض الأمثلة التي تمثل سوء تصرفات ولاة الدولة الأموية الذين كانوا يتنافسون في جمع الأموال لضخها في خزينة الدولة ، فعكفوا على إرسال الحملات إلى الجزر المجاورة لبلاد البربر لجلب الأموال وسبي والذهب، إذ تعاقبت الغزوات، فغزى "يزيد بن أبي مسلم" صقلية سنة 101هـ/719م، وبعده "بشير بن صفوان" سنة 109هـ/727م. كما غزا "عبيد الله بن الحبحاب" بلاد السوس وبعث بجنده إلى جزيرة سردينية سنة 117هـ/736م، وفي كل تلك الجيوش كان البربر يشكلون غالبية رجالها فكانوا أداة لخدمة أطماع الولاة كما أرّهق البربر بالمعاملة الغير عادلة من

---

[1] يعتبر عامل من عوامل إعتناق البربر للاسلام (عوامل دينية وهو دور الفقهاء في اسلمة بلاد البربر حيث ارسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة فقهاء ليعلمو البربر الاسلام وينشروه بينهم

[2] بعض الدراسات التاريخية تتهم الولاة وحدهم في سياسته استبدادهم، حيث يبرؤون مركز الخلافة في دمشق فحسين مؤنس في كتابه فتح العرب للمغرب، يذكر ص. 290. :" الأصح أن يقال أن العمال أنفسهم هم اللذين أساؤوا السيرة ومالوا إلى الإستبداد بالناس إسرافا منهم في إرضاء الخلفاء بالإكثار من الهدايا ةالمغالاة فيما يرسل إلى الدولة من المال كل عام". في حين نرجح رأي محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، رسالة دكتوراه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية- 1985، ص. 36:" ولا نشك في أن ولاة المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها. وأن للخلفاء درجواعلى إختيار عمال يتأمرون بأمرهم وإلا بما يفسر عدل وإنصاف إسماعيل بن عبيد لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز بالورع والتقى على إختيار عماله من الأتقياء وكان إسماعيل أحدهم والظلم الذي لحق بالبربر على يد يزيد بن أبي مسلم إنما بأمر من الخليفة يزيد بن عبد الملك". ومن ثم، يستخلص مما سبق ذكره أن الدولة الأموية بإستثناء فترة عمر بن ـ ـ عبد العزيز لم تمثل الإسلام الحق المطابق بما يأمره القرآن وسنة الرسول، ويلاحظ بالرجوع إلى ما سبق ذكره بالنسبة إلى علاقة بني أمية بالإسلام أن هذه العلاقة جلية منذ الدعوة الإسلامية. فقد كانوا من أشد أعدائها لما تشكله الدعوة من خطر على مصالحهم وإمتيازاتهم ولم يدخلوا في الإسلام إلا مكرهين. وبعد أن قويت قويت الدعوة وإشتد ساعدها وفتحت مكة، عندئذ أدرك "بنو أمية" أنه لا مناص من إعتناق الإسلام. وهنا بدأت إستراتيجيتهم الجديدة ضمن الإسلام نفسه. فإندفعوا إلى مراكز الشرطة في سرعة وذكاء. راجع أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، دار الحوار للطباعة والنشر ،سوريا ،الطبعة الاولي 2000ص. 20.

طرف عمال الدولة الأموية بإستثناء فترة "إسماعيل بن عبيد الله" الذي أرسله "عمر بن عبد العزيز" لكن الخلافة الأموية استمرت في ظلمها بعد وفاة هذا الأخير وإستبدل الخليفة "يزيد بن عبد الملك" "إسماعيل بن عبيد الله" بـ "يزيد بن أبي مسلم" سنة 102هـ/720م وإستبد بالبربر وفرض عليهم دفع الجزية رغم إسلامهم، وقد زاد يزيد في إستبداده، حيث أنه خدش كبرياء البربر بإقامة وشم على حرسه من البربر وأدى ذلك إلى شعور البربر بالإهانة وهم قوم يعتزون بكرامتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن السياسة التي إنتهجها "عبيدة بن عبد الرحمن" لم تتغير، حيث تفاقمت الأحوال وإزداد الإستبداد والظلم في حق البربر إبان ولاية "عبيد الله بن الحبحاب" الذي شجع الجنود لسلب البربر وسيبهم في المغرب الأقصى. وعين إبنه "إسماعيل" عاملا على طنجة وعين معه "عمر بن عبد الله المرادى" فأساء هو الآخر للبربر وإعتبرهم **فيئا**[1] وهكذا أساء الولاة الأمويون إلى البربر وإستغلوهم أشد وأشر إستغلال، وتسببوا في إثارة مشاعر الحقد والكراهية عند البربر هذه الوضعية أوجدت مناخا ملائما لانتشار مذهب الخوارج، ولقد ساعدت أحوال بلاد البربر في أواخر القرن الأول من الهجرة وأوائل الثاني بما ذكر سالفا من جور الولاة على نزوح الخوارج المضطهدين[2] في المشرق إلى بلاد البربر، حيث صادفت دعايتهم مرعى خصبا بين القبائل البربرية، ولهذا كان ظهور حركة الخوارج سريعا في بلاد البربر[3]،

---

[1] فيئا: معناه شرعا هو ما أخذه المسلمون بغير قتال من غيرهم بخلاف الغنيمة التي أخذت بالقتال. راجع سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، التاريخ الإسلامي، 2003-2004، ص. 18. ويضيف موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 139 " أن القيئ هو المال الذي يصل إلى المسلمين دون سعيا ولا قتال ويقسم إلى خمسة أقسام تودع أربعة أخماس إلى بيت المال وكانت في عهد الفتوحات تقسم بين الجند وتشترى بها الأسلحة والمعدات، أما الخمس الباقي فيقسم إلى خمسة أجزاء، جزء لرسول الله ينفق على نفسه وقد سقط هذا الجزء بموته صلى الله عليه وسلم، والأجزاء الأربعة لذوي القربى من أهل الرسوب وجزء لليتامى وجزء للمساكين وجزء لإبن السبيل وهذا حسب قوله تعالى في سورة الحشر، الآية 07: ***" مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ" صدق الله العظيم.***

[2] M. Sadok Belochi, *op. cit*, p. 101,102.

لقد تضاربت الأخبار حول الوافدين من المشرق وتاريخ وفودهم فبعض المصادر ترجعها إلى بداية الدعوة في معركة نهروان سنة 38هـ /658م، ويذكر إبن حوقل ابي القاسم ابن حوقل النّصيبي ، صورة الأرض ج1دار صابر للطباعة والنشر :" عبد الله بن وهب الراسي وعبد الله بن أباض لجأ إلى جبل نفوسة منذ وقت إنصرافهم عن الخليفة علي رضي الله عنه بمن سلم معهم من أهل نهروان...وأقاموا هذا الجبل دار الهجرة". كما يذكر أن الراسبي قتل في النهروان.

[3] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 294.

هؤلاء الدعاة إنتشروا في القبائل البربرية وعملوا على نشر الإسلام وتبنى في نفس الوقت مذهب الخوارج. و تعلم اللغة العربية معها وقد ساعد على ذلك سخط الجانبين، فقهاء الخوارج القادمون من المشرق والبربر الناقمون على تصرفات الولاة الإستبدادية. وإلتف البربر حول هؤلاء الدعاة وصح إسلام الكثير منهم، ويذكر حسين مؤنس[1] أن إنتشار الإسلام بين قبائل البربر وتوسيع دائرة الإعتناق لم تكن بسبب سياسة خلفاء الدولة الأموية، بل بالعكس لو إعتمد إعتناق البربر للإسلام على سياسة هؤلاء لتوقف منذ ميلاد الدولة الأموية بسبب أن خلفاء الدولة الأموية لم يكونوا يعيرون إهتماما بحركة الأسلمة. وإنما كانوا يعيرون إهتماما كبيرا بحركة الجباية وملء خزينة الدولة بالذهب والفضة وكذا كثرة الفتن التي ألهتهم عن الإهتمام بنشر الإسلام[2] بين القبائل البربرية. حتى أن منهم كان يرى أن إسلامهم لا يتفق ومصلحة الدولة. فأخذ يفرض الجزية على من أسلم من البربر وهذا ما يتنافى مع تعاليم الإسلام الحنيفة. وبالتالي، تبنى البربر مذهب الخوارج بإعتناقهم الإسلام. نتيجة لذلك، فقد ذهب بـ"ألفرد بال"[3] إلى القول أن" فليس من المبالغة إذن أن نقول أن دعاة الخوارج كانوا خير رسل للإسلام في بلاد المغرب منذ بداية القرن الثاني للهجرة (الثامن ميلادي) لقد جاء هؤلاء المشارقة، المطّاردون من بلادهم ليدعوا البربر إلى الثورة ويسري في قلوبهم إيمان عميق ألهم أعمالهم وأقوالهم، كانوا إنما يدعون بإسم الدين والدين وحده ولاشيئ أكثر من هذا الأمر توافقا مع مزاج البربر مستقل المتدين".

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق الذكر، ص. 294، 295.

[2] أكد غوتيه أن حركة الخوارج كانت السبب في توقف زحف الجيش العربي نحو فرنسا، إذ ذكر غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 151 :" **إن الفاتح العربي قد مني بهزائم متشابهة في أماكن أخرى لكنها لم توقف زحفه، حيث كان مستعدا لجولة أخرى لكن جولاته توقفت هذه المرة، إن المنازعات الدينية بعيد معركة بواتيه التي قضى فيها شارل مارتيل عل الجيش العربي عام 732م قد خصت شعوب المغرب التي إعتنقت الإسلام فإنتفضت عام 740م وأهملت حملات الفتح"**. الا ان غوستاف لوبان يعارضه في طرحه **"ان النصر الذي احرزه شارل مارتل في معركة بواتييه لم يكن مهما بدليل عجز هذا الاخير علي استرداد أي مدينة استولي عليها العرب في عسكريا في فرنسا ،و الدليل بقاء العرب بعد معركة بواتييه قرنين في جنوب فرنسا ،وبدليل محالفة بعض امراء فرنسا العرب ضد شارل مارتل الذي اخذ في نهب بلادهم** "غوستاف لوبان ،حضارة العرب ،ص20

[3] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص.147.

ويجدر الذكر هنا أن مذاهب الخوارج التي إنتشرت في بلاد البربر كان الصفرية[1] والأباظية[2]، وكانت أول ثورة[3] إندلعت ضد تصرفات "عبيد الله بن حبحاب" سنة 122هـ /720م قادها "ميسرة السقاء"[4] من قبيلة مطغرة[5]، ولكي لا يتم الإبتعاد عن موضوع الدراسة، فإنه يجب الإشارة أن أول من قدم إلى بلاد البربر يدعوا إلى الفرقتين الأباضية والصفرية "سلمة بن سعيد" الذي قدم من أرض البصرة ومعه "عكرمة مولى بن عباس"، حيث قام "سلمة" بالدعوة إلى المذهب الإباضي بينما قام "عكرمة" بالدعوة إلى نذهب الصفرية[6]، وقد تفرقتا الفرقتين فدعاة الفرق الإباضية إتجهوا إلى الأقاليم الشرقية من بلاد البربر في حين إتجهت الفرقة الصفرية إلى الجهة الغربية إذ أقبل عليها قبائل بربر المغرب الأقصى كما تم ذكره آنفا، ونتجت عنه ثورة "ميسرة المطغرة".

[1] الصفرية: أصحاب زياد بن الأصفر هم الأكثر إعتدالا من الأزارقة وأكثر تطرفا من الأباضية، حيث أنه تزعم أكثر الفرق تشددا أن صاحب كل ذنب مشترك. راجع الشهرستاني، الملل والنحلل، ص. 160. وبالتالي، فالشرك شركان شرك بطاعة الشيطان وشرك بعبادة الأوثان، والكفر كفران كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة. الشهرستاني، الملل والنحل، ص. 160.

[2] الأباضية : أصحاب عبد الله بن إباض من قبيلة بني تميم قتل بأمر من مروان بن محمد (الخليفة الأموي) في تبالة (اليمن) وهم أكثر إعتدالا يخالفون الصفرية في:" أن مرتكبي الكبائر هم موحدون لا مؤمنون". وبالتالي، لا يكفرونهم وقد إنقسمت الإباظية نفسها إلى الحفصية (أصحاب حفص بن أبي المقدام) الحارثية (أصحاب حارث الإباضي) واليزيدية (أصحاب يزيد بن أنيسة). راجع الشهرستاني، المرجع السابق الذكر، ص.156، 158.

[3] إن إندلاع الثورة ضد حكم ولاة بني أمية المستبدين الطغاة هو مرحلة نهائية لتشبع لمبادئ أفكار مذهب الخوارج. ومنه، فإن هجرة دعاة التيار المذهبي من المشرق منذ هزيمة معركة نهروان سنة 38هـ/ 658م في المشرق إلى القيام بأول ثورة بقيادة مسيرة المطغري سنة 122هـ/720م في بلاد البربر أي على العموم 62 سنة، وهي فترة معقولة بين إعتناق الإسلام (قبائل البربر) ثم الدعوة السرية، ثم التعبئة ، فأخيرا الثورة

[4] ميسرة السقاء : يلقب ميسرة المطغري قتل سنة 122هـ، كان يعمل في السقاية عندما كانت المذاهب تنتشر في المرحلة السرية، تولى قيادة الصفرية في تورثهم على ولاة بني أمية بالمغرب الأقصى تطلع بعد إنتصاراته إلى الخلافة بايعة أصحابه لكن قتلوه بتهمة سوء سيرة القبائل الأمازيعية. راجع بوزياني الدراجي، ص. 124.

[5] مطغرة بطن من بطون ضريسة ينتسبون إلى بني فاتن وهم من قبائل البتر مواطنهم أساس المغرب الأقصى يوجد جبل سمي بإسمهم في جنوب مدينة فاس. راجع بوزياني الدراجي، المرجع السابق الذكر، ص. 126.

[6] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ص. 46. راجع أيضا سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، مذكرة ماجستير 2003 -2004ص. 15.

والجدير بالذكر أنه من نتائج ثورات بربر الخوارج تأسيس "دول إسلامية بربرية"[1] مستقلة عن الخلافة المركزية في الشرق (الدولة الأموية). وبالتالي أن الأمر الأهم هو تبني قبائل "زناتة" مذهب الخوارج[2] إذ بفضله إعتنقت الإسلام. والملاحظ أن منطقة القيروان تأثرت بهذه الأحداث، حيث شهدت ثورة خوارج الصنهاجيين والكتاميين، وهم من البرانس. وبالتالي، فإنه يستخلص أن مذهب الخوارج أدى بشكل عام إلى إعتناق بربر البتر للإسلام، أما فيما يخص بربر البرانس فقد إعتنقوا الإسلام نتيجة تعرفهم على مذهب الصحابة[3] والتابعين[4] ثم إستبدلوه بمذهب بمذهب الخوارج كما سلف ذكره.

أخيرا وليس آخرا، فإنه تجب الإشارة إلى نظرية "غوتيه"[5] نقلا عن "ماسكوراي"[6] التي تبين وجود شبه بين الدوناتية والخارجية (مذهب الخوارج)، والتي والتي تطرق لها بعض المؤرخين الغربيين[7] والقائلة بأن **"مذهب الخوارج يشترك مع الدوناتية في التعبير عن روح الإستقلال عند البربر"** وقد ربط بين مذهب الخوارج في المغرب (بلاد البربر) بشقيه الأباضي المعتدل والصفري المتطرف وبين الدوناتية

---

[1] يذكر عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب (السابق الذكر)، ص. 149:" أن الخوارج وسعوا رقعة الإسلام بفضل حيويتهم وميلهم إلى النقاش والجدال إعتنق المغاربة (البربر) مذهبهم تعبيرا عن نزوعهم الدائم إلى الإستقلال، لكن المذهب الخارجي كان يحمل في طياته بذور الخلاف، حيث كثر بينهم النقد والجدال حول العقائد وصار خلع الخلفاء بل إغتيالهم سنة متوارثة، فلم تستقر أمورهم ولم يكونوا دولة كبيرة وإنما أسسوا دويلات منها دولة البرغواطة على ساحل المغرب الأقصى سنة 127هـ/744م، ودولة بني مدرار في سجلماسة سنة 140هـ/757م، ودولة الرستميين في تاهرت سنة 144هـ/761م".

[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 153.

وتجب الإشارة إلى أن قبائل زناتة هم من قيائل البربر البثر وهم من أبناء زانا أو جانا أو شانا بن يحي ضري ويعرفون بإسم زناتة وتعدادهم كثير لذا عرفهم إبن خلدون بشعوب زناتة لكثرة عددهم وبطونهم (جراوة، بنودمر، بنو وامانوا، بنو يلومي، بنو واسين أما مواطنهم فقد حددها إبن خلدون بشكل عام في المغرب الأوسط. راجع بوزياني دراجي، المرجع السابق الذكر، ص. 154. إلا أن عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب رفض إقتراح غوتيه أن قبائل البدو(زناته) هم الذين تبنو مذهب الخوارج، ص. 149

[3] الصحابة: مفرده صحابي ومعناه الإصطلاح من لقي النبي محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنا به، ومات على الإسلام. راجع سبع قادة، مذكرة الماجستير السالفة الذكر، ص. 08.

[4] التابعين مفرده تابعي وهو ما لقي الصحابي مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم. راجع سبع قادة، نفس مذكرة الماجستير السالفة الذكر، ص. 08.

[5] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 151.

[6] تجب الملاحظة أن نظرية "أميل ماسكراي" وجدت في مقدمة كتاب السيرة لأبي زكريا الذي صدر بالجزائر سنة 1878م. وقد ذكرها غوتيه في كتابه ماضي شمال إفريقبا، ص. 151.

[7] يؤكد "جورج مارسيه، المرجع السابق الذكر، ص. 140:" أن إعتناق البربر للمذهبين وسيلة لا غاية فكلاهما أمد البربر بالحافز الخلقي(الديني) لتبرير ثورتهم على الحكام" . راجع أيضا شارل أندري، المرجع السابق الذكر، ص. 328 :"كانت الدوناتية وسيلة لوضع حد لإنتهازية الكاثوليك ...وكان مذهب الخوارج في المغرب سلاح البربرفي النضال... وتعبيرا عن سخط والحقد على سلطة القائمة".

المعتدلة والسركونسليونية (الدائريون) المتطرفة التي سنتطرق إليها في الفصل الثالث بالتفصيل،إذ وجد تشابه في النقاط التالية :

1- إشتراك الخوارج والدوناتية في العديد من صفات الإلتزام الصارم بأصول العقيدة والإستشهاد في سبيل المذهب، حيث ذهب "غوتيه"[1] إلى القول أن" بوسعنا أن نطلع على مدى التعصب الديني الدوناتي في مبدأ الإنتحار الجماعي المعروف لديهم...أما الخوارج فهم متعطشون بدورهم للإستشهاد".

2- أقر "غوتيه" أن البربر في كلتا الحالتين ثاروا ضد السلطة الإستبدادية[2]، إذ أكد أن **" ثورة الخوارج ثورة بربرية ديمقراطية ذات محتوى سياسي وإجتماعي ذو صبغة دينية، وهكذا كانت الدوناتية"**. وبالتالي، فالعامل الديني في كلتا الحالتين أمر ثانوي مقارنة مع الهدف السياسي والإجتماعي.

1- يستقرء "غوتيه"[3] ويذكر أن الخارجية هي الدوناتية عينها منقولة من الإطار المسيحي إلى الإطار الإسلامي.

وفي نفس الصدد، يلاحظ أن بعض المؤرخون المغاربة[4] إنتقدوا التحليل الذي أقره "غوتيه" الذي يتسم بـ "عنصرية فكرية"[5]، فيذكر "عبد الله عروي"[6] أن إسلام البربرتوسع تحت راية الخوارج أي أنهم إعتنقوا واخذو ما يساعدهم على مقاومة العرب... أو لم تكن حركة الدوناتية تستطيع أن تحقق الهدف نفسه لو لم يقضي عليها تحالف الإمبراطور والكنيسة الكاثوليكية، أي بعبارة أخرى أن حركة الخوارج تعتبر السبب لإعتناق البربر للإسلام، بحيث وجدوا فيها ما يخلصهم من إستبداد الولاة الأمويين. أما الدوناتية فقد فشلت بوجود تحالف ثلاثي الإمبراطور سلطة سياسية، الكنيسة الكاثوليكية (سلطة الدينية) ولا ننسى كبار الملاك (سلطة إقتصادية). أما محمود إسماعيل عبد الرزاق فقد ذهب إلى القول أن **" غوتيه بالغ في نظريته إلى حد**

---

[1] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 152.

[2] تجدر الإشارة إلى أن ثورة بربر الخوارج هي ضد الدخلاء، وليس الدخيل هذه المرة حكم اللاتيين وإنما حكم الخلافة القادم من الشرق. راجع غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 153.

[3] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 153.

[4] علي سبيل المثال لا الحصر عبد القادر جغلول ،هشام جعيط ،عبد الله العروي ،عقون محمد العربي محمود اسماعيل عبد الرزاق وغيرهم

[5] موسى لقبال وغيرهم وعبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 91. ويلاحظ أنه يغلب على تأويلات المؤرخين الغربيين منطق الإستعمار.

[6] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر(مجمل تاريخ المغرب)، ص. 132.

كبير حين ذكر أن مذهب الخوارج إمتداد للدوناتية"، وحجة هذا الجانب من المؤرخين أن حركتان متباعدتان، حيث أن الدوناتية ذات طابع محلي بربري صرف أي أنها مؤسسها بربري وبيئتها بربرية أما مذهب الخوارج فقد نشأ في الشرق الإسلامي، ثم إنتشرت مع الدعاة الفارين من إستبداد السلطة الأموية الأمر الذي ينفي وجود ترابط فكري أما حجج إشتراك الدوناتيين والخوارج في صفات مشتركة كحب الإستقلال والإلتزام الديني فهي **صفات البربر** بصفة عامة في كل العصور[1]. وسنتطرق إليها في الفصل الثالث بالتفصيل (عوامل الذّاتية لإعتناق البربرالإسلام)

III- العوامل العسكرية:

لقد تعددت طرق الأسلمة في العامل العسكري فمنها الحملات العسكرية، نظام الرهائن والتطوع في الجيش .

- الحملات العسكرية:

يرجع بعض المؤرخين خاصة منهم الغربيين، أن إسلام البربر في بعض الأحيان إنما كان نتيجة علمهم مسبقا بأنه لا فائدة من التمادي في مقاومة الجيوش العربية[2]، حيث أنه لا يسلم من سيوفهم[3] إلا من أسلم أو دفع الجزية. فإختاروا الإسلام لما فيه من عز[4] ويرجعون ارتكازهم على هذا العامل بسبب ما ورد على لسان المؤرخين العرب أن مرات ارتدادهم عن الدين بلغت إثني عشرة مرة[5]، فالعامل العسكري يجسده بكل إمتياز "عقبة بن نافع" فهو مبشر بالعقيدة الإسلامية في أرض البربر و للجهاد الإسلامي ويعتبره المؤرخون سواء المشارقة أو الأوروبيون قبل كل شئ جنديا وغازيا[6]، حيث أن تعامله مع القبائل البربرية وجدت بازدواجية فقبائل البربر النصرانية عرضت عليهم ثلاث اختيارات حسبما تم ذكره سابقا الإسلام أولا ثم الجزية ثانية، وفي آخر المطاف خيار القتال، أما القبائل الوثنية التي تمركزت

---

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق الذكر، ص. 56، 57.
[2] أرنو لد توماس، المرجع السابق الذكر، ص. 348.
[3]ذكر المقري أحمد بن محمد التلمساني نفح الطيب من عصن الاندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس ،دار صادر للنشر والطباعة ،1988، الجزء الأول، ص. 11،"فلما رأى بقية البربر نزل بهم إستأمنوا" ويفسر حسين مؤنس هذا القول: أي أنهم خافوا أن ينزل بهم موسى ما أنزل بغيرهم من القبائل من الحرب الشديدة والسبي وما إلى ذلك، فتسارعوا إليه يعلنون إسلامهم حتى يأمنوا على أنفسهم وأموالهم". حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 288 "
[4] مبارك بن محمد ميلي، المرجع السابق الذكر، ص. 37.
[5]ابن خلدون ،العبر ،ج7، نقلا عن أبي زيد القيرواني
[6] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 25.

أكثرها في الصحراء فقد دخلوها عنوة. ولهذا فزعيم العامل العسكري دون منازع هو "عقبة بن نافع" الذي تعددت صوره في الدراسات الشرقية والغربية.

أ- عقبة والدراسات الشرقية:

بدأها الإخباريون العرب الذين أحاطوا بـ"عقبة" أحاطوه بهالة أسطورية وصُور على أنه مؤسس مدينة عز الإسلام[1] (القيروان) بالإنسان المؤيد بروح القدس، وأرجعوا لبنة أساس الفتح[2] له مع إهمال إنجازات الفاتحين الآخرين أمثال "أبي مهاجر دينار" ويرجع السبب أساس إلى سلطة آل الفهريين في الدوائر السياسية والثقافية. وبالتالي، فالموضوعية افتقدت لديهم. رغم ان انجازات ابي مهاجر الدينار لا تقل أهمية عن إنجازات عقبة .و كذا القادة العرب الاخرون المذكورون في الفصل الاول .

ب- عقبة والدراسات الغربية:

معظمها ترجع سبب الأسلمة العنيفة الي عقبة ، فقد ذكر "جورج مارسيه" مثلا بعدما تمكن من سرد أوضاع بيزنطا الغير المستقرة داخليا **أن البربر لم يجدوا سبيلا إلا إعلان إسلامهم أمام قوة الجيش العربي بقيادة عقبة بن نافع** والذي أنهى حملاته بتأسيس "القيروان" سنة 670م[3]، وقد إعتبر "كارل بروكمان"[4] عقبة **"المؤسس الحقيقي للحكم العربي في إفريقية الشمالية"**، ثم يضيف[5] وكان عقبة قد فتح برقة بعد بعد سار عليها بجيوشه من مصر، وفي سنة ا670م وقف بمعاوية البربر إلى أن

---

[1] علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص. 47.

[2] قصي حسين، موسوعة الحضارة العربية العصر الأموي، دار البحار، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص. 405.

[3] جورج مارسيه، المرجع السابق الذكر، ص.31.

[4] كارل بروكمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،نقله الي العربية نبيه أمين فارس ،منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ،بيروت لبنان الطبعة الخامسة ،1968 ص. 127.

[5] كارل بروكمان، نفس المرجع السابق، ص. 127.

قضى على حكم نصارى ثم عزل بعد أن أنشأ مستعمرة **عسكرية**[1] "بالقيروان". ومهما يكن، فإن "عقبة" لم يركز على الجانب العسكري فحسب وإنما الإستراتيجي بتأسيس "القيروان"، وهو الأمر الذي سيتم التعرض له من خلال العوامل الإستراتيجية.

- نظام الرهائن والتطوع في الجيش:

لقد لاحظنا في الفصل الاول إلى أنه قد التحق في السنوات الأولى للفتح الإسلامي (فترة عقبة و أبي مهاجر دينار) عدد من البربر الداخلين حديثا إلى الإسلام في صفوف الجيش العربي[2]الفاتح لكن المصادر لا تفيدنا بمعلومات كفاية بخصوص هذا الشأن، اما فترة "حسان بن نعمان "[3] فقد استخدم هذا الأخير نظام الرهائن ونتج عنه اندماج البربر في الجيش، والمتمثل بأخذ الرهائن من بين أبناء رؤساء القبائل ويعتبر هذا الشرط أحد العوامل الهامة في إعتناق البربر للإسلام، فهؤلاء الرهائن ينشأون في بيئة جديدة[4] (إسلامية) ويحتكون بالمسلمين وعند عودتهم إلى ذّويهم يصبحون نموذجا بما تمنحه لهم الثقافة الإسلامية. وبالتالي، تعتبر مؤسسة الجيش في إفريقية وسيلة جبارة لتحقيق الأسلمة[5]، وهو الأمر الذي نستنتج منه وجود نوع من تناقض الذي أنتجته المؤسسة العسكرية للجيش الفاتح، فقد جند البربر في أعمال الفتوحات بقيادة زعمائهم المحليين القبليين شريطة أن يعتنقوا الإسلام. وعليه الحصول على امتيازات مادية، الأمر الذي أدى هؤلاء أي البربر للتسابق للتطوع في الجيش بالرغم من أنهم كانوا في صدام مع هذا الجيش[6]سابقا ويرجع السبب إلى وهذا بسبب

---

[1] رغم أن الدكتور "علاوة عمارة" قد ذكر أن :" **بروكمان لم يحلل الأحداث ولم ينحاز إلى طرف دون الآخر".** راجع علاوة عمارة، المرجع السابق الذكر، ص. 54. **بيد أن الملاحظ أن المصطلح الذي إستعمله "مستعمرة عسكرية" يوحي أن عوامل الأسلمة أرجعها إلى الجانب العسكري.**

[2] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 72.

[3] كان جيش إفريقية يتكون في الأصل من جنود مصريين أي من عرب مصر، ثم إنفتح مع "حسان" و"موسى" على البربر التي تجندت من بينهم وحداث عسكرية إضافية. راجع هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، 139.

[4] العربي العقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص. 19.

[5] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 20.

[6] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 99:" ...ذلك أن البربر قبائل الرحل لم يدخلوا في المسيحية قبلا. وأن العرب أشركوا قسما كبيرا منهم في الجهاد. أما الحضر فيحافظون على ديانتهم ويقبلون بالجباية في كل بلاد الإسلام وهذا ما حدث في إفريقية، حيث الروم والأفارق والبربر الخارجون عن الإيطار القبلي يدفعون دون شك الخراج والجزية ويخضعون للقانون العام للجباية الإسلامية". وهو الأمر الذي تم التطرق إليه سابقا حينما كانت خزينة الدولة الأموية تعتمد أساسا مواردها على جزية أهل الذمة.

المغريات المادية التي سوف يتم التطرق إليها في العوامل الاقتصادية (أي ان التناقض متمثل في ان البربر تصادموا مع الجيش العربي بالأمس هذا الأخير نفسه سيتسابق البربر لتطوع فيه واجتياز ضفة البحر المتوسط فاتحين بذلك الاندلس). وعليه، فإن فتح الأندلس كان معجلا بإسلام البربر[1]، وهذا بإندماجهم في جيش طارق إبن زياد الذي كان نفسه بربريا مسلم بولادة وسواء أكان إسلام هؤلاء الذين إشتركوا في الفتح عن عقيدة أو لمطامع أخرى، فإن الجو الديني وخطاب الحماسي لطارق وإختلاط جند البربر بالعرب كلها عوامل أدت **إلى تثبيت إسلام البربر** أي الإنتقال من الإسلام السطحي إلى التفقه في الدين، وعلاوة على ذلك هجرة القبائل العربية[2] إلى الأندلس للحرب أو للإقامة. واحتكاكها بالقبائل البربرية أدت إلى الإعتناق الطوعي للإسلام.

- دور الرباط:

إن تعريف الرباط نجده في مادة ربط قول إبن منظور في كتابه قاموس لسان العرب[3] ***"والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوما الثغر رباطا. والرباط: المواظبة على الأمر. قال الفارسي: هو ثان من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل. وقوله عز وجل: "وصابروا ورابطوا"، قيل: معناه حافظوا، وقيل : واظبوا على مواقيت الصلاة. وفي الحديث عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وإنتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، أي الواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل الله، فيكون الرباط مصدر رابطت أي لازمت...وقوله عز وجل:"يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا***

---

[1] حسين مؤنس ،فتح العرب للمغرب ، ص. 292.

[2] لقد كانت المنازعات السياسية على أشدها طول العصر الأموي، فكثر الإضطهاد وتعددت الخصومات، وبهذا وجدت هجرة القبائل العربية العريقة من المضرية والقيسية ومنهم أعرفهم بالدين واللغة، وبما أن المغرب كان الطريق الذي يسلكه هؤولاء إلى الأندلس، فكثر مرورهم بين القبائل البربرية، فأخذت القبائل عنهم الدين واللغة. راجع حسين مؤنس، المرجع السابق الذكر، ص. 292.
وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفترة إتسمت بالإستقرار، حيث إنتهت فترة الحملات العسكرية.وبالتالي، يستخلص أن إعتناق الإسلام في هذه الفترة كانت طواعية.

[3] أبن منضور، لسان العرب، ص. 1561.

ورابطوا"، وجاء في تفسيره: إصبروا على دينكم، وصابروا عدوكم. ورابطوا، أي أقيموا على جهاده بالحرب. قال الله تعالى: "ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" قال: الرباط مرابطة العدو وملازمة الثغر"

وبالتالى، يستخلص أن كلمة "رباط" تعني[1] ملازمة ثغر العدو، والمحافظة على أوقات الصلاة ومن أهم صفات المرابطة الجهاد في سبيل الله خاصة في الثغور، حيث ترابط خيل المقاتلين لحماية أرض المسلمين والآية الكريمة توضح هذا المعنى **"يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وإتقوا الله لعلكم تفلحون"**[2]. ولقد إتخذ المسلمون المرابطة كنوع من أنواع الجهاد بشقيه جهاد العدو، أو جهاد النفس. ومن ثم، فالرباط دوره إزدواجي الجهاد في سبيل الله وكذا لتلقي العلم أيضا، حيث أصبح يدرس في الرباط الفقه، الحديث وأصول الدين. وعليه، فالرباط هو من المنشآت الدينية والعسكرية[3] تقام على السواحل خاصة لمراقبة تحركات الأعداء وراء البحر الذين يكون هدفهم غزو بلاد الإسلام. ويجتمع في الرباط المجاهدين والزهاد والعباد والعلماء وهي بمثابة منشأة إجتماعية[4] بحكم إيواءها لمجموعات كثيرة من الناس، حيث يعيشون حياة جماعية. ومنه، فإنه يستشف أن الرباط لعب دورا هاما شأنه شأن المسجد، بل والمدن الإسلامية نفسها كان نواة لنشر الإسلام بين البربر[5]، حيث أن **أسلمة البربر** كانت على يد دعاة العرب في الرباط[6] وأقدم هذه الرباطات رباط منستير[7] وماسة معظم هذه الرباطات ساحلية الهدف منها حشد البربر (بأسلوب

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038م- 1121م)، دار الغرب الإسلامي، ص. 69.

[2] **سورة آل عمرآن الاية 200** ***قال الله تعالى :" وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (199) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)" صدق الله العظيم***

[3] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي (المرجع السابق الذكر)، ص. 175.

[4] موسى لقبال، تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه، مجلة الجزائر في التاريخ، العدد3 ،ص.32.

[5] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 100.

[6] يذكر "ألفرد بال"، المرجع السابق الذكر، ص. 100:**"منذ القرنين 9-10هـ سيصير من الصعب التمييز بين الرباط والزاوية التي صارت مركزا لإنتشار الإسلام والتصوف والمرابطة"**. كما يذكر العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في أصول والهوية، ص. 20"الزوايا هي وريثة للأربطة القديمة وإختلطت هذه الحركة أحيانا بالتصوف الشعبي".

[7] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص.164 ايضا موسى لقبال، المرجع سبق ذكره، ص. 33.

التطوع) ضد غارات النصارى خاصة منهم الإسبان والبرتغاليين، إلا أن الرباط تطور بمرور الوقت خاصة من منتصف القرن (03) الثالث هجري ليصبح مقاما للتقوى الإسلامية البحث وسيتخذ هذا الطابع أكثر فأكثر كلما يبنى بعيدا عن الثغور[1]. ولفهم تواجد البربر في الصحراء، يتوجب الرجوع إلى التقسيمات التي تطرق لها "عبد الله العّروي"، وهو الأمر الذي تم ذكره آنفا، غير أن الدراسة تفرض التركيز على ما سماه مغرب الصحراء[2] ويقصد تواجد البربر في الصحراء[3]، وعملية إعتناق البربر للإسلام في الصحراء كانت أبطئ بكثير من بربر الجهة الشمالية. وعليه، فإنه

---

[1] ابن عذاري، البيان، ج1،ص42 يستخلص أن شاكرا كان فقيها صاحب "عقبة بن نافع" جاء من شبه الجزيرة العربية. أقام رباط وعلم قبائل "مصامدة" القرآن والإسلام. **"...وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام منهم شاكر صاحب الرباط... ولم يعرف مصامدة غير وقيل أن أكثرهم أسلموا طوعا على يديه"**.
وعليه، يلاحظ وجود تطور في مفهوم الرباط، حيث أن المفهوم الذي كان سائدا في القرن الأول من الهجرة يختلف عن مفهوم الرباط في القرن الثاني من الهجرة ويختلف كما سبق ذكره عن المفهوم في القرن التاسع والعاشر هجري. فيلاحظ أن في القرن الأول هجري الرباط ملازمة ثغر العدو، وهذا ما فعله **"شاكر"** صاحب "عقبة بن نافع" مع بناء تقليدي، ثم مع العهد العباسي في عهد الوالي "هرثمة بن أعين" مبنى بطوابق على الساحل لمراقبة تحركات العدو، علاوة على ذلك وجود حجرات لغرض التعبد، ثم تحول الرباط إلى مقامات إسلامية. ومن ثم، التخلي عن المجال العسكري للتركيز على المجال الروحي الديني. وهو الأمر الذي قام "هشام جعيط" بذكره حينما ذكر أن في القرن التاسع والعاشر يصعب التفريق بين **الرباط والزوايا**. هذه الأخيرة التي ستعيد دورها العسكري مع الحركة الإستعمارية في العصر الحديث.

[2] يذكر "عبد الله العروي" مجمل النظريات التي إضطرت بعض قبائل البربر النزوح إلى الصحراء، حيث يذكر نقلا عن "ستيفان غزيل" **أن روما أرغمت البربر بسياستها التوسعية على أن يتوغلوا في الصحراء فطردوا هؤلاء الأثيوبين الزنوج، حيث تفوق البربر أمام الزنوج، ويرجع السبب لإستعمال الجمل** أما فيما يخص "غوتيه" المعروف بالنظرية العنصرية قلم يعجبه الكلام على إمبرالية روما. **فأدخل على النظرية تعديلات فذكر أن روما أدخلت سياستها التعميرية عدة حيوانات صالحة لخدمة الإنسان ومن بينها الجمل الذي إكتشفه في صحراء سوريا وأخذته إلى بلاد البربر أين تعرفوا عليه فنزحوا إلى الصحراء بمساعدته. ومهما يكن، فإن مسألة نزوح البربر إلى الصحراء ليست مسألة خاصة بوجود الجمل. وليس مسألة خاصة بمناخ وتحول المنطقة إلى الصحراء بعدما كانت خصبة وإنما مسألة تاريخية، فالبربر طردوا وراء السد الأمني (الليمس) في العهد الروماني وعادوا مضطرين إلى البداوة** (قبيلة لمتونة، مسوفة، جدالة). وبالتالي، إتخذوا الصحراء سكنا لهم. راجع عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 109، 111

[3] تجدر الإشارة إلى أن "جورج مارسيه" يوافق هذا الطرح في كتابه بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص. 32.: "**...وعندما شعر (يقصد قبائل البربر) بتهديد قوة أعظم، إضطر للتفرق وإحتمى في الصحراء ...وبقي بعيدا عن المنال**". وهذا بحكم أن شعب البربر محب للإستقلال ولا يحب الخضوع أو الإستسلام. والملاحظ أن هذه الطبيعة السيكولوجية التي يتسم بها البربر أكدها المؤرخين سواء الغربيين أو المشارقة . وهذا يندرج ضمن العوامل الذاتية للبربر النابعة قي **سيكولوجية ونفسية** التي سننتطرق إليها في الفصل الثالث.

تم ترجيح رأي "توماس أرنولد" الذي ذكر أن الدعاة في القرن التاسع الميلادي (09م) شقوا طريقهم بين بربر الصحراء، حيث أنهم لم يوفقوا، فعملية إعتناق بربر الصحراء لم تكن ناجحة إلا بوجود الرباطات الصحراء التي ستتوجه بتأسيس دولة المرابطين. ومن ثم، فإنه يستشف مما سبق ذكره أن أسلمة بربر الصحراء جرت ببطئ، إذ يلاحظ أنه لم يعتنقوا الدين الإسلامي او بالأحري لم يفقهوه إلا بظهور قيام دولة المرابطين.

وفي نفس الصدد، فقد عرف بربر الصحراء بإسم "الملثمين"[1] (لمثونة ومسوفة وجدالة) لاتخاذهم اللثام شعارا لهم. وقد إستقرت هذه القبائل في بادئ الأمر في الشمال، غير أنها منذ القرن الثالث هجري بدأت تهجر مواطنها متجهة نحو الغرب، ثم ما لبثت إلى أن زحفت نحو الجنوب[2] أي في الصحراء إثر الفتح العربي الإسلامي، إذ فرت بعض قبائل الصنهاجية[3] إلى المغرب الأقصى، والملاحظ أن عند فتح العرب هذه المناطق، توغلت هذه القبائل[4] في الجنوب وإستقرت في منطقة أدرار[1] في القرن العاشر (10م) ميلادي.

---

[1] فيما يخص "الملثمون" فإن غوتيه يذكر في مرجعه السابق الذكر، ص. 123، 124:" أن الملثمون يسكونون أعماق الصحراء وهم من البربر وينحدر منهم الطوارق الذي سبق أن ذكرنا أن إسمهم منحدر من "توارك" لتركهم المسيحية... ويطرح غوتيه سؤال من هم هؤولاء الملثمون البربر، هل هم من البرانس أم البتر؟ ويرى هذا المصدر التاريخي أن الملثمون البربر من كلاهم. فالملثمون الغربيون أبناء لموثة أسسوا أسرة المرابطين. وبالتالي، لهم قرابة مع الصنهاجيون. إذن هم من البرانس، أما الملثمون الشرقيون المستوطنين في الهقار ومنهم قبيلة هوارة اللذين قدموا من برقة وطرابلس لهم قرابة بني نفوسة ولواتة. إذن هم من البتر.

[2] يذكر بوزياني الدراجي في كتابه قبائل الأمازيغية نقلا عن هيرودوت، ص. 64، 65:" **أن في واحات الصحراء شعب يدعى القارمونت هؤولاء طردو الأحباش الإثيوبيين، ومعنى الكلمة بالإغريقية الرجال اللذين أحرقتهم الشمس، حيث أن سيماتهم ليست كسيمات الزنوج، ولا يعرف أصل هؤولاء القارمونت فهم من الجنس الأبيض، وهل هم من شعب الهكسوس الذي إحتل مصر 1700ق.م وسلالتهم حسب المؤرخين البربر، أما نزوحهم إلى الجنوب فيرى البعض أن السبب يرجع إلى البعض الآخر أن الفتح الإسلامي كان سبب ذلك قد تمركزوا في الطاسيلي والهقار وبذلك قد يكون أحفاد القارمون هم الطوارق**".

[3] ذكر إبن خلدون، العبر ج6 ص. 201، 242:" هم من قبائل بربر البرانس أصلهم إلى صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور، أما بطونهم بلكانة، أنجفة وشرطة ولمثونة ومسوقة وجدالة. ومندلسة وبنووارت وبنويتين وكان الملك في صنهاجة في طبقتين الطبقة الأولى لملكانة ملوك إفريقية والأندلس، والثانية مسوفة ولمثونة من الملثمين ملوك المغرب المسمون المرابطين...وهؤولاء مواطنهم ببلاد الصحراء...وكان إسلامهم بعد فتح الأندلس وكانوا على دين الماجوسية."

[4] إبن حوقل ، صورة الأرض ج1 ، ص95. راجع أيضا إبن خلدون، المرجع السابق الذكر، ص. 201، 242.

يقصد بالقبائل البربرية بطون قبيلة صنهاجة (لمثونة، مسوفة، وجدالة).

مواطن لمثونة: من وادي نول على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية، وتمتد مضارب هذه القبيلة من الصحراء شرقا حتى الطريق الواصل ما بين غانة وسجلماسة .

وفي نفس الموضوع، يلاحظ أن جهود الولاة بالحملات العسكرية لم تنتهي بمرحلة فتح الأندلس، حيث تذكر المصادر التاريخية أن "عبيد الله بن الحبحاب" أرسل "حبيبا بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري" غازيا إلى بلاد السوس الأقصى، فوصل إلى المناطق الجنوبية للصحراء[2]، حيث بلاد مسوفة ولمثونة الصنهاجية فأخضع القبائل وعاد بعدد وفير من السبي. لكن وجد ثورة الخوارج ضد ولاة الدولة الأموية، حيث إشتهروا بإستبدادهم وظلمهم وعدم تطبيق مبادئ الإسلام السمحة. وعمت الثورة ووصلت حتى القيروان. وبالتالي، جاوزت أطراف الصحراء وقد أسلم جزء من الملتمين في عهد ثوارت الخوارج وكذا عند تأسيس دولة الأدارسة[3]. لكن الأسلمة جاء في عهد المرابطين وهم عباد وأهل صلاة ومصلحين ذوي فعالية وكان هؤلاء من قبيلتي لمثونة وجدالة تحت القيادة الروحية لعبد الله بن ياسين[4] الذي أسس رباطا في جزيرة بالسنغال، حيث مع بداية القرن 11م نواة الإمبراطورية المرابطين. ومنه، لعبت الحركة المرابطية **دورا كبيرا في أسلمة[5] Islamisation** الأرياف والصحراء، وقد أمدت هذه الحركة نظام المرابطين بدافع قوي وخرجت جموع كبيرة منهم من الرباط في جنوب مراكش ليقوموا بحملة إرشاد سلمية في كافة أنحاء بلاد المغرب[6] وتمت عملية أسلمة قبائل الجنوب التي كانت أصلا على دين الوثنية.

IV)العوامل الإقتصادية:

إن الفتح الإسلامي كان حدثا هاما، حيث حول بلاد البربر من مصير تاريخي إلى مصير تاريخي آخر. فقد تحولت جل المفاهيم المتعلقة باللغة، الدين، إذ أن تاريخ

مواطن جدالة: تتمركز في جنوب لمثونة تمتد صحراء تيسر أو أزواد إلى البحر المحيط الأطلسي، ثم تمتد جنوبا نحو بلاد السودان متخذة مدينة أوليك مركزا لها، حيث يكثر الملح الذي تحمله القوافل إلى الشمال، وإلى الجنوب بصفة خاصة.
مواطن مسوفة: تمتد مواطنها في منطقة قاحلة تقع بين سجلماسة في الشمال، وأدعشت في الجنوب.

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988، ص. 32.

[2] إبن عبد الحكم، المصدر سبق ذكره، ص. 217. راجع أيضا إبن عذاري، البيان، ص. 51.

[3] عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق الذكر، ص. 42.

[4] العربي عقون، المرجع السابق الذكر، ص. 20. ولمزيد من المعلومات حول دولة المرابطين راجع عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

[5] العربي عقون، نفس المرجع السابق، ص. 20.

[6] توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام ، ص. 352.

بلاد البربر شديد التقطع تغير فيه شكل البلد برمته[1]. والتالي، فالبربر قارنوا بين مراحل وإستعبدوا من طرف المؤسسات الإحتلال الإستغلالية الإقتصادية والتي يقصد بها الرومان، الوندال، البيزنطيون. وهكذا يتضح أن دراسة المؤسسات خاصة منها الإقتصادية تكتسي أهمية بالغة، ذلك أنها شكلت عامل أساسي للأسلمة. وعليه، نشر تعاليم الدين الإسلامي الذي كان مصدر تشريع نظام الخلافة العربية أنذاك ونتيجة لذلك، فإنه سيتم تقسيم العوامل الإقتصادية إلى فروعنا، الفرع الأول ، فإنه سيخصص إلى إعتناق البربر للإسلام بسبب المسائل الجبائية في العهد الفتوحات الإسلامية، أما الفرع الثاني فسيعالج إعتناق البربر للإسلام بسبب الطرق التجارية في جوف الصحراء.

ـ إعتناق البربر للإسلام بسبب المسائل الجبائية والإغراءات المادية:

إن النظم المالية التي طبقت في إفريقية كانت نوعا ما متشابهة لما طبق في الأقاليم المفتوحة في المشرق. مع بعض الإستثناءات كإشتراط "عمرو بن العاص" على أهل برقة أن يبيعوا في جزيتهم أبناءهم، ويذكر موسى لقبال[2] أن هؤلاء الأبناء لم يكونوا عبيدا ولا مجال لتشبيه الأبناء بالعبيد. هؤلاء كانوا عاملا من من عوامل إعتناق البربر للإسلام، إذ ترعرعوا في بيئة مغايرة لبيئتهم، وما يستخلص أنهم كانوا صغار السن ***"ومن شّب على شئ شاب عليه"***. وبالتالي، البيئة التي نشؤوا فيها هي البيئة الإسلامية. وعند عودتهم يكونون دافعا قويا لإعتناق بقية أسرهم وقبائلهم الإسلام. ومنه، يصبحون دعاة، فنشر الإسلام لا ترعاه مؤسسة دينية تبشيرية كما هو الحال في المسيحية، وإنما عامل الدعوة إلى الإسلام يكون على عاتق الأفراد أكثر من المؤسسات الدينية كالكنيسة. ويبدوا من البديهي بأن عادة بيع الأبناء كانت موجودة بين بربر لواتة[3] وأن "عمرو بن العاص" لم يغيرها[1] ومعاملته السلسة اللينة تفسر إرسال

[1] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 07.اما عبد الله العروي **فيفند هذه النضرية ويذكر ان التغيير كان بطيئ ويذكر "لو كانت نصرانية بلاد البربر القرن السابع ميلادي كنصرانية فرنسا القرن التاسع عشر ،ولو كان اسلامه آنذاك كإسلامه اليوم ،فهنا سيكون التغيير كلي ولكن لا شيئ من كل هذا يوافق الواقع** "نفس المرجع الذكور سابقا، ص. 130.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 140.

[3] موسى لقبال، نفس المرجع السابق، ص. 140 .

الجزية[2] نقدا كل سنة إلى والي مصر دون إرسال جباة. وحينما توطد الفتح الإسلامي كان لابد من إرسال مؤسسات مالية للجباية، فقد أسس "عمر بن الخطاب" عدة دواوين من بينها ديوان الجند[3] وديوان الخراج[4]، والملاحظ أن كل ديوان يكمل الآخر.

وفي نفس السياق، يلاحظ أن هذه المؤسسات إستمرت في عهد خلفاء بني أمية إبتداءا من "معاوية بن أبي سفيان" وهذا لأن الهدف الأساسي منها هو إبقاء على قوة عسكرية ضاربة مستعدة للجهاد ومنه تلعب الدولة دور الوسيط بين الجند والأعطيات.وهنا لزم التطرق الي الإغراءات التي قدمها موسي بن نصير لجنود البربر والعرب وهذا لتفادي الفتنة عند عزل حسان وكان هذا عاملا لتطوع البربر في الجيش ومنه كسب الاعطيات المادية وللتطوع في الجيش العربي لزم شرط إعتناق الاسلام. وبتالي نستخلص دور تكاملي بين مؤسسات الدولة العسكرية والاقتصادية ومن ثم، يعتبر ديوان الخراج مؤسسة مالية معيار النهضة والإزدهار للإمبراطورية الإسلامية العربية لأن الهدف منها تجميع المال من البلاد المفتوحة

---

[1] لقد طبق حسان بن نعمان نفس الطريقة لكن بأسلوب عسكري أكثر منه إقتصادي أي بدل الأبناء ظهر في المصادر مصطلح الرهائن التسمية إختلفت لكن النتيجة تشابهت وهي إعتناق البربر للإسلام. ويذكر حسين مؤنس، المرجع سبق ذكره، ص. 74، 75 :" أن حسان إنتهج سياسة المساواة بين العرب والبربر في الإدارة المالية والعسكرية قد حبب الإسلام إلى نفوس البربر فاعتنقوه على إقتناع بسماحته...تقسيم الأرض إلى خطط معينة وتوزيعها بين البربر وإلى سياسة التسوية مع العرب في الفيئ".

[2] الجزية: مال يؤخذ من أهل الذمة في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين وهي ضريبة رؤوس. راجع موس لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 139. وهذا حسب ***الآية 29 من سورة التوبة. قال تعالى :" قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) " صدق الله العظيم.***
ويذكر محمد ضيف الله بطانية، الحياة الإقتصادية في العصور الأولى للإسلام، دار كندي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ص. 22:" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جزية على من لم يبلغ من الرجال ولا على إمرأة وكذلك لا جزية على مغلوب على عقله وكذلك لا جزية على مملوك لأن لا مال له يعطى الجزية" . وذكر أيضا أن :" الجزية لا تؤخذ من أعمى ولا من مقعد ولا مترهب".
وتجدر الإشارة أن "محمد ضيف الله بطانية" أكد أن أغلبية المؤرخين يؤكدون أن كلمتي "جزية" و"الخراج" لبثتا تطلقان على مفهوم واحد لمدة قرن وربع ويجمع أغلبهم أن "نصار بن سيار" حاكم خراسان كان أول ما فرق بين مدلول جزية ولفظ خراج سنة 121هـ. لمزيد من التفصيل راجع أيضا محمد كامل حسن المحامي، الجزية في الإسلام،ضريبة الرؤوس وضريبة الارض،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان ص. 17.

[3] ديوان الجند: يهتم بإحصاء الجند في الجيش الإسلامي. وبالتالي، توزيع الأعطيات عليهم.

[4] الخراج : وهو مقدار معين من النقد أو من المحاصيل يفرض على الأراضي التي فتحت عنوة. إذ لم تقسم بين الفاتحين وتركت بيد أهلها. راجع موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 139.
وفي نفس الصدد يذكر محمد كامل حسن المحامي، المرجع السابق الذكر، ص. 14 :" لفظ الخراج يطلق على الضرائب التي تفرض على ملاك الأراضي وذلك بنسبة معينة من محصول تلك الأراضي سواء أكان هذا المحصول حبوبا أو تمرا أم فصة، والفصة نوع من البرسيم تتغذى عليه المواشي"

بصفة مستمرة عكس تماما الغنيمة[1] التي تكون مفاجئة ومرتبطة بنجاح الحملات العسكرية. وهنا يذكر هشام جعيط أن نظام الجباية في إفريقية فيه نوع من الضبابية وأثار جدل واسع بين المؤرخين[2]، حيث حدثت صدمات عنيفة ذكرت سالفا وهذا بسبب الأسلمة السريعة[3] لقبائل البربر وتوجت بتبني مذهب الخوارج سالف الذكر، ومما أضفى هذه الضبابية وجود نظام جبائي يختلف في وضعيتين متنافرتين وهما أرض عنوة[4] وأرض صلحا[5]. فالجباية تتنوع حسب الطبقات الإجتماعية فهناك قبائل البربر الممتدة على كل أرض المغرب من برانس وبتر (مستقرون ورحل) فقد فرضت عهود صلح ففي أولى فترات الفتح الإسلامي، تلزمهم بدفع الجزية المتمثلة في أبناءهم كما سلف الذكر. وزادت الجباية خاصة بعد أن إنتهت المقاومة البربرية أي منذ هزيمة الكاهنة رمز المقاومة البربرية وآخرها. وهنا بدأت تعتنق القبائل البربرية الإسلام من برقة إلى طنجة لأسباب جبائية[6] وإقتصادية بالدرجة الأولى، حيث أن حسان بن نعمان مثلا أقر البربر على ما بيدهم من الأرض[7] **وبذلك ظهر للبربر أن العرب لم يسلبهم أراضيهم ولا ميزاتهم المادية.** وبالتالي، أعطيات ديوان الجند أعطى للبربر إمتيازات إقتصادية بسبب إسلامهم وإشتراكهم في الفتوحات التي اتجهت صوب الأندلس وكذا صوب المغرب الأقصى. ومنه، يذكر حسين مؤنس أن إسلام

[1] الغنيمة: جمعها الغنائم وهي أموال الكفار التي يفوز بها المسلمون في دار الحرب على وجه الغلبة وتكون أسرى من المحاربين وسبيا من النساء والأطفال وأموالا منقولة وأراضي وحكمها أن تقسم مناصفة بين المحاربين. راجع موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 139. وأول غنيمة كان على حساب قبيلة نفوسة.

[2] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 91.

[3] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 91 :" أن أسلمة السريعة لقبائل البربر الشرقية، وكذا فيما بعد أسلمة أغلبية البربر أدت إلى بروز مشاكل مالية في قلب الحكم الخلافة العربية(الأموية) أدى إلى الإبتزاز واعتبار البربر أهل الذمة رغم إسلامهم وهذا بهدف توفير إمدادات نقدية لبيت مال المسلمين في مركز الخلافة (دمشق)، حيث أن هذه الظاهرة لم تحدث في البلاد المفتوحة في المشرق العربي. فلم يسلم الفرس ولا النبطيون من أهل السواد ولا القبط في العهد الأموي. ولا حتى في العهد العباسي وبقية الأقلية لحد يومنا هذا تتمتع بإعتناق الديانة المسيحية . " ما يفهم من كلام هشام جعيط ان اسلمة جل البربر السريعة انعكست سلبا علي المجال الاقتصادي في الشرق وبهذا يفسر استبداد الولاة الامويون في حق البربر رغم اسلام هؤلاء .

[4] تختلف الضريبة على البلد المفتوح إذ إستسلم عنوة أو صلحا. ففي حالة إستسلام معناه أن ذلك البلد قاوم جيش المسلمين وقتل وجرح. وبالتالي وجود غنائم. محمد كامل حسن المحامي، المرجع السابق الذكر، ص. 17.

[5] إعتبر حسان بن نعمان أرض المغرب (البربر) مفتوحة صلحا وليس عنوة. محمد شيب الخطاب، المرجع السابق الذكر، ص. 171.
في حين ذكر هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 96:"أن الواقع يظهر أن إفريقية كلها أرض عنوة وهي الفكرة الغالبة. وبالتالي، تعتبر أرض خراج وجزية".

[6] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 97.

[7] حسين مؤنس، المرجع السابق الذكر، ص. 288.

لواتة ونفراوة ونفوسة وهي من القبائل البدو والذين إتخذوا دين الوثنية دينا لهم عداءا لبيزنطا (الروم). وعليه، تاثير المسيحية كان طفيفا لديهم وهذا ما يفسر إسلامهم السريع. ونجد في المصادر التاريخية عمرو بن العاص حين ارسل كتابا لخليفة عمر ويعلمه" **إن ما بين زويلة وبرقة سلم كلهم وحسن طاعتهم. فقد أدى مسلميهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية، وأنه قد وضع على أهل زويلة، ومن بينه وبينها، ما رأى أنهم يطيقونه وأمر عماله جميعا أن يخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من المسلمين العشر، ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم"[1].**

وقد حلل موسى لقبال[2] النص، حيث إستخلص أن المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة بنسبة العشر. أو نصفه ولا تفرض عليهم الجزية ولا يوظف عليهم الخراج، وهذه هي روح الإسلام النقية التي طبقت في الفتوحات الراشدية، ويتفق معه حسين مؤنس[3] أن **سرعة إسلامهم** هو ليس بدافع الإقتناع بالإسلام بقدر ما هو بدافع **إقتصادي** سواء إقتسام الغنيمة بالتساوي بين الفاتحين أو فرار من الجباية (الجزية والخراج وهم من خصائص أهل الذمة) أو بدافع نبذ إستغلال الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع السلطة والملاكين الكبار وهذا ما سنتطرق له في الفصل الثالث.

ـ إعتناق البربر للإسلام بسبب وجودالطرق التجارية في جوف الصحراء:

تجدر الإشارة إلة أن هناك طريقين تجارين[4] إذ إتصل التجار بديار الملثمين وبلاد السودان عن طريق ساحل المحيط وطريق الصحراء وأصبحت القوافل التجارية ترتاد طريق الصحراء خاصة بعد أن أكمل عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري[5] أن يعبر الصحراء وجنوده لأول مرة 127هـ/ 744م، وبذلك

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص. 226. راجع أيضا إبن عبد الحكم، فتوح إفريقية، ص. 36.
[2] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 144.
[3] حسين مؤنس، المرجع السابق الذكر، ص. 288.
[4] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ص. 40.
[5] عبد الرحمن هو مؤسس دولة الفهرين في بلاد المغرب، حيث بايعه أهل تونس وخلع حنظلة بن صفوان صفوان والي الشرعي للدولة الأموية في عهد الخليفة "هشام بن عبد الملك" سنة 127 هـ/ 744م. ومنذ ذلك الحين انقطعت صلة إفريقية بالخلافة الأموية في دمشق وامتدت دولة الفهريين (127هـ/140م) ولقد عبر عبد الرحمن عن أفكاره الجديد بعدم إستغلال بلاد البربر إقتصاديا من خلال رسالة أرسلها إلى أبي جعفر المنصور العباسي نصها " إن إفريقية اليوم إسلامية وقد إنقطع السبي منها" وهنا بدت القطيعة

نشر الإسلام في ربوع صنهاجة جنوبا في جنوب الصحراء، وأقام إنجاز ذو إنعكاسات جمة هو إقامة سلسلة من الآبار[1] تصل بين واحات إفريقيا وأودغشت بصحراء المغرب الأقصى، وبهذا إستطاع فك العزلة التي ميزت هذه المنطقة. ومنه، إستطاع التجار شق طريق الصحراء وأصبحت القوافل التجارية[2] أكثر مرورا عن طريق الصحراء بفضل وجود آبار المياه الجوفية وإنعكست بإنتشار الإسلام في جوف الصحراء (القبائل البربر)، ثم وصول الإسلام على غرب إفريقيا، وبهذا إتصال التجار ساهم بقدر وإن كان ضئيلا في إسلام قبائل البربر الضاربة في الصحراء، رغم أن الإعتناقات كانت فردية أكثر من جماعية. ومنه، فعملية حفر الآبار تذكرنا بالآثار الإسلامية منذ الفتح الإسلامي المتمثلة في عيون أبي مهاجر دينار بتلمسان[3] وحفر آبار حديج بالقرن ونبع الفرس بصحراء فزان هذه آثار المرتبطة بالمياه تدعونا إلى إستخلاص إرادة الفاتحين في الاستقرار بحكم أن الماء هو الحياة لقوله تعالى ***"أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"*** [4]. ومنه، الاحتكاك بالسكان الاصليون (البربر) هذا الإحتكاك سيؤدي إلى إعتناق البربر للإسلام، وهو الأمر الذي يؤدي إلى البحث أو دراسة العوامل الإستراتيجية.

V)العوامل الاستراتيجية:

لقد لاحظنا سالفا من خلال بحثنا أن الحملات الأولى كانت استطلاعية وقد سميت "سرايا" بحكم أن أكبر نجاحاتنا كانت مادية وتمثلت في الغنائم (الذهب، الفضة، والعبيد) ولم تحقق هذه الحملات الهدف الأسمى وهو نشر الدين الإسلامي، إذ

الثانية بين مؤسس نظام الفهرين والخليفة إبي جعفر المنصور العباسي وأدى سقوط الدول إلى صراعات داخلية بين الأخوة عبد الرحمن وإلياس. راجع موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهرين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي، ص. من 103 إلى 123.

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السالف الذكر، ص. 40.

[2] إن خطوط القوافل التجارية المارة بالصحراء تبدأ من أودغشت وأوليك ونهايتها سجلماسة.
سجلماسة: مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بنيت 140هـ/ 757م. راجع إبن حوقل، صورة الأرض، ص. 95.
أوليل: جزيرة في البحر وعلى مقربة من الساحل بها الملاحة المشهورة .
أودغشت: مدينة في الصحراء كانت كبيرة تتحكم في الطرق التجارية بين الشمال والجنوب.

[3] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 49.

[4] سورة الأنبياء، الآية 30.

من المستحيل أن يستطيع سيف أو أية قوة مادية مهما كانت عظمتها على زحزحة يقين مغروس في النفس البشرية ويمكن أن نأخذ البربر كنموذج، إذ أنهم لم يرضخوا ولم يتقبلوا الإسلام إلا بعد أن إستقر العرب ودليل تصريح عقبة نفسه **"...إن إفريقية إذا دخلها أمير، تحزم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها، رجعوا إلى الكفر وإني أرى أتخذ بها مدينة، نجعلها معسكرا وقيروانا تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"**[1]. ومن هنا كان لهجرة العرب[2] وإستقرارهم في بلاد البربر دورا أساسيا قي تثبيت الفتوح ونشر الإسلام وكذا دورا بارزا في بناء المدن وتوسيع نطاق العلاقة بالاهالي أي من هنا وجد إحتكاك العرب المسلمين بإلسكان الأصليون (البربر) يتوجب التعرض إلى دراسة العوامل الإستراتيجية التي رسخت الإسلام في أرض البربر ترسخا وفي النفوس يقينا وتوضيحا وهي المراكز الإشعاعية التي وجدت بظهور المدن هي الأخيرة يرجع تاريخ ظهورها إلى المدن الفينيقية التي تأسست لتكون أساسا مراكز تجارية قبل أن تتطور لتصبح مراكز حضارية بمعنى المدن ولقد ذكر عبد العزيز غوردو[3] عندما استعرض تطور المدن ببلاد البربر أنها لم تأسس نتيجة تطور الريف. وبالتالي، نتيجة حاجيات إقتصادية وإنما جاءت نتيجة تطور عسكري، سياسي وثقافي، حيث يضيف أن الدين الإسلامي "دين حضاري" بحكم أن ثاني ركن في الإسلام هو الصلاة و أفضلها صلاة الجمعة التي تقضي أن تكون جماعية. ومن ثم، يتوجب إقامتها في مساجد كبرى عادة ما تكون في الحواضر. وبالتالي، فإن نشره سيكون صعبا في غياب وجود جماعات حضرية. وهكذا **جاء تأسيس المدن كعامل إستراتيجي** يحمل في طياته طابع المحاور التي ستلعب دورا أساسيا في أسلمه بلاد البربر وقد انقسمت المحاور الإستراتيجية (المدن) إلى محاور إسلامية الأصل التي تدور منذ تأسيسها في فلك الخلافة في المشرق[4] (وعلى مثل القيروان، تونس، مونستير، ناكور...إلخ) ومع طول مدة الفترة التاريخية ولعوامل سياسية بالدرجة

---

[1] إبن عذاري، البيان، ص. 13.
[2] بوخالفة نور الهدى، التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال الملتقى الدولي للتاريخ، 2001 (إستقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية قسنطينة، ص. 51.
[3] عبد العزيز غوردو ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب جدلية التمدين والسلطة، ، تقديم عبد الرحيم تمردي دار ناشري للنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية، الكويت، ص. 59.
[4] عبد العزيز غوردو، نفس المرجع السابق، ص. 61.

الأولى حصلت انقسامات داخل المحور الأصلي[1]، وانبثقت عنه محاور جانبية أسست مدن جديدة (تاهرت، سجلماسة، فاس،...إلخ) ساهمت أيضا في أسلمة البربر بحكم كبر الإطار الجعرافي لقبائل الإسلامية بقدر ما كانت المحاور الجانبية تطمح لتحقيق الإنفصال السياسي حيث سنتطرق الي المحاور الجانبية في الفصل الثالث (العوامل الذاتية). ومنه، يجب دراسة نماذج من المحاور الأصلية المتصلة بالخلافة في المشرق والمحاور الجانبية المنفصلة عن المشرق النابعة من البربر في تحقيق أسلمة بلاد البربر فرغم أنهما متضادتان سياسيا إلا أنهما متوافقتان ثقافيا. إذ أن المحاور الجانبية خرجت من صلب المحور الأصلي من صلب الثقافة الإسلامية. وبالتالي، لعبت المدن دورا هاما لتحقيق هذا التغيير المتمثل في أسلمة بلاد البربر بوضعها أولا مراكز لإحتضان السلطة السياسية وبوصفها ثانيا مؤهلة لتعبير عن الثقافة الجديدة (الإسلامية) وما يلاحظ أن تأسيس المدن قفزة نوعية في تاريخ بلاد البربر فقد سبق التطرق إلى قصة ستة نفر جاؤوا الخليفة عمر بن الخطاب يسألونه عن الإسلام بدعوى أنها وصية أجدادهم فسألهم الخليفة "ألكم مدائن" فأجابوا لا" ومن خلال هذا المضمون يستخلص أن بلاد البربر قل ما كانت تحوي المدن وإن وجد فإنها صيغتها استعمارية قبل أن تكون إستقرارية وها ما سيتم معالجته .

ـ محاور المدن الإسلامية الأصلية: موقعها بلاد البربر لكن تابعة للخلافة في الشرق

1- القيروان:

ـ النواة الأولى لقاعدة القيروان:

يعود الفضل لتأسيس القيروان إلى "معاوية بن حديج" ومعسكره بقواته قرب قرية "الجهتين" بجوار مرتفع القرن[2] أو ممطور في إقليم قمونية. ومن هذا الإقليم أرسل معاوية بن حديج سرايا[3]. وقد وجدت جوانب عمرانية مهدت لقيام القيروان تمثلت:

---

[1] عبد العزيز غوردو، نفس المرجع السابق، ص. 62.

[2] مصطلح القرن أو الممطور مرتفع يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القيروان ويعرف حاليا بإسم جبل الباطن. راجع موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 26.

[3] وجدت أربعة سرايا: سرية بزعامة عبد الله بن زبير إلى منطقة سوسة على ساحل تونس وسرية قادها عبد الملك بن مروان ضد حصن جلولاء ومنطقة بنزرت وسرية بزعامة رويفع (ويفع بن ثابت إلى جزيرة جربة. وسرية إلى جزيرة صقلية بزعامة عبد الله بن قيس الغزاوي فإفتتح سرقوسة كبرى مدن الجزيرة. راجع المالكي، المصدرالسابق الذكر، ص. 19.

- إحتفار معاوية عند معسكر القرن، موضع القيروان، آبار سميت بإسمه.
- بنى عند جبل القرن وحول معسكره مساكن بالطوب أطلق عليها القيروان[1].
- وجدت قبور للصحابي والتابعين بجوار معسكر القرن وأصبحت فيما بعد أضرحة[2].

ومنه، أصبحت قاعدة القيروان[3] التي أسست من طرف "معاوية بن حديج" ذات أهمية بالغة، حيث يذكر إبن الأثير[4] **"فسكن الناس، وأطاعوا وعادوا إلى مصر، ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام حتى دب إليهم أهل العراق".** ويقصد إبن الأثير أن نتائج تأسيس نواة القيروان من طرف "معاوية بن حديج" هو إستقرار البربر وإنقيادهم طواعية للسلطة الأموية حتى فترة الخليفة هشام الذي ظهرت في عصره حركة الخوارج الآتية من المشرق تحديدا العراق.

ـ تأسيس قاعدة القيروان:

لقد رأينا سابقا أن مراحل فتح بلاد البربر مرت في الفترة الأولى بالحملات الإستطلاعية بحكم أن الإستراتيجية[5] أنذاك في فترة "عمرو بن العاص" إلى "معاوية بن حديج" كانت ترتكز على نقطتين أساسيتين:

- التعرف على الإقليم ومسالكه دون التوغل داخله ثم العودة سريعا بحكم تعدد الخصوم.

---

[1] مدينة القيروان التي أسسها "معاوية بن حديج" تختلف عن القيروان التي أسسها عقبة.
[2] من الصحابي الذين إستشهدوا أبو زمعة البلوي الذي إستشهد في حصار جلولاء وكذا فاطمة بنت عبد الله بن عمر حفيدة عمر بن الخطاب التي دفنت في مقبرة سلم بالقيروان.
[3] يبدوا أن الإخباريين العرب لدى إستخدام مصطلح القيروان في معسكر القرن الذي أسسه "معاوية بن حديج" بسبب أنهم كانوا على دراية بالقيروان الذي أسسها "عقبة". وبالتالي، يستخلص أن الذي إستعمل هذا المصطلح لأول مرة هو "عقبة بن نافع الفهري" وليس "معاوية بن حديج" وتوظيف المصطلح في وقت "معاوية" من طرف المصادر يعود لسبب معرفتهم بنتائج تأسيس القيروان وبعد الفترة بين الأحداث وتدوين النتائج لدى الإخباريين.
[4] إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ص. 230.
[5] لقد حلل علاوة عمارة الإستراتيجية المعتمدة من طرف "عقبة" من خلال دراسة والتركيجي في مرجعه "دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي"، ص. 57:" إنتقد كيجي أراء المؤرخين الفرنسيين القائلين بدور الوندال في تحضير الأرضية للفتح الإسلامي من خلال ضرب الكنيسة الكاثوليكية، وإعتبر ذلك من خيالات التاريخ لأن الانتصار الإسلامي يعود الفضل فيه إلى الإستراتجية العسكرية الإسلامية خصوصا بعد بناءه للقيروان وهذا ما أدى بدوره إلى الإستلاء التدرجي على المدن والحصون البيزنطية".

- بعد الإنتهاء من الحملات الإستطلاعية الرجوع إلى برقة أو إلى الفسطاط أو الشام والإكتفاء بأخذ الغنائم التي فازوا بها في القتال.

لكن أول من أقام نواة لمعسكر يجمع شتات الجنود ويكون إستراحة لهم لتجديد سلاحهم وتضميد جروحهم "معاوية بن حديج" وسيكون "عقبة بن نافع" على خطى سلفه ويواصل إنجازه ويؤسس القيروان. وعقبة كان على معرفة بالمنطقة قبل أن يتولها. بحكم الحملات التي قام بها في الطريق الصحراوي[1]. وعندما تولى إفريقية[2] رجع إلى إقليم الهضبة الوسطى في منطقة قمونية وقف على جهود سلفه "معاوية بن جديج" في بناء معسكر القرن، ويذكر "عبد الله العروي"[3] **"إلتحق بجنوب إفريقية سنة 50هـ/670م، ولكي يعطى للوجود ضفة دائمة طبق نصيحة عمر بن الخطاب عند تخطيط الكوفة فإختار وسط البلاد وخط فيها مدينة القيروان تم ذلك على الأرجح سنة 53هـ/652م، لم يتجه شمالا ليحاصر المدن البيزنطية الحصينة بل إتجه شرقا وإخترق منطقة الهضاب المرتفعة التي تشبه تضاريسها ما ألفه عرب الجزيرة".**

وتذكر المصادر[4] أن أصحاب "عقبة" إقترحوا أن تكون القاعدة الجديدة قريبة من الساحل وبما ن "عقبة" كان خبير بالمنطقة رفض الإقتراح لأن هناك خطر الروم المتفوقين بحريا وكذلك رفض إقتراح أن تكون القاعدة في جوف الصحراء خشية تحركات قبائل البربر وإستقر الأمر على منطقة الوسط أي بين الساحل والداخل، وأن تكون قريبة من السبخة بهدف تمكين إبل المسلمين من الرعي. وهنا إتفق أغلب المؤرخين العرب أن موضع القيروان كان عبارة عن غابات بها حيوانات. وبالتالي، أرض بكر لم تكن ذات تجهيزات. غير أن المالكي[5] ذكر أن**" كان في موضع القيروان حصن للروم فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان"**. وعليه، يتوجب ذكر الكرامات التي أحيطت بأخبار "عقبة" حين خشي أصحابه من حيوانات الغابة من الأسود والأفاعي عند الشروع في عمليات بناء القيروان، وكانت دعوة عقبة فيمايلي:"

---

[1] لقد سلك عقبة في حملاته طريق الصحراء غير الواحات في الرمال وعرفت لدى إبن عبد الحكم بالطريق الأعظم.

[2] هناك تضارب واضح بين المصادر فيما يخص ولاية "عقبة" الأولى، ولكن تتفق على سنة تأسيس القيروان.

[3] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 122.

[4] إبن عذاري، البيان، ص. 37. راجع أيضا ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، ص. 265.

[5] المالكي، رياض النفوس، ص. 51.

أيتها الحيات والسباع إنا أصحاب رسول الله إرحلوا عنا، فإننا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه"[1]، وبعد دعاءه أخذت الحيوانات بمختلف أنواعها في الخروج، ويذكر إبن الأثير" **ورأي هذا المشهد قبيل كثير من البربر فأسلموا"**[2]. وبالتالي، فالمصادر ترجع **إسلام البربر** إلى رؤية كرامات[3] عقبة تتحقق وقد إتفق جل الإخباريون العرب أن "عقبة" كان مستجاب الدعاء، حيث انقرضت هذه الحيوانات تماما من القيروان أربعين سنة. ومهما يكن، فإن القيروان لا يمكن أن يتم بناؤها دفعة واحدة، حيث أن عمليات البناء الأولى[4] إستغرقت نحو أربع سنوات (51-55هـ) ثم تجددت في عهد "حسان بن نعمان"، حيث جدد مسجدها وأقر فيها الدواوين و"موسى بن نصير" إهتم بتوسعها وأنشأ فيها دار الضرب لسلك النقود وهو أول من سك العملة في إفريقية. ومنه، عند مطلع القرن الثاني هجري أصبحت القيروان حاضرة مدن إفريقية الإسلامية، وتمثلت نتائجها في إقبال الكثير من البربر[5] على إعتناق الإسلام وجاوروا المدينة واطمأنت نفوس المسلمين وزالت عنهم العزلة (باحتكاكهم اي البربر بالمسلمين)، حيث يذكر إبن الأثير[6] " ودخل كثير من البربر في الإسلام وإتسعت خطة المسلمين، وقوي جنان من هناك من الجنود، بمدينة القيروان وأمنوا وإطمئنوا، على المقام فتبث الإسلام فيها". وما يستخلص أن القيروان كانت مركزا لهجرة عائلات جنود العرب الآتون من شبه الجزيرة العربية، أما البربر فقد استوطنوا حول القيروان. **وهنا وجد الإحتكاك وإعتنق البربر الإسلام**. وعليه، فإنه يرجح أن الإحتكاك والتأثر جاء من العائلات العربية المهاجرة. وليس من الجنود المنضمين أما

---

[1] إبن الأثير، كامل في التاريخ، ص. 320.
[2] إبن الأثير، كامل في التاريخ، ص. 320.
[3] ركزت المصادر على ما يعرف بالكرامات "عقبة" وقد استجيب لدعوته العديد من المرات، مرة دعوته في خروج الحيوانات من موضع تأسيس القيروان ومرة حين إنتهى من بناءها وجعلها منارة الإسلام ورؤية التي رأها لموضع القبلة، ومرة حين دعى ضد "أبي مهاجر دينار". ومهما يكن فإن موضوع الكرامات لزم أن يدرس في محله أن نجد إجابات منطقية، حيث أنه لا يختلف إثنين أن المصادر العربية. كانت نوعا ما بعيد عن الموضوعية التاريخية والبحث العلمي الجاد.
[4] لقد حدد إبن عذاري في البيان، ص. 16. مساحة القيروان عند تأسيسها بثلاثة عشر ألفا وستمائة ذراع.أما إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ص. 234، فجعل المساحة المدينة القيروان ثلاثة آلاف وستمائة باع، وتشمل هذه المساحة المسجد ودار الإمارة ومعسكر الجند وخطط القبائل. وهنا، يذكر أن خطط القبائل هي سنة أوجدها العرب في بناء مدائنهم على غرار الكوفة والبصرة والفسطاط، حيث ينفرد كل قبيلة أو بطن من بطون القبائل الفاتحين بناحية معينة من مساحة المدينة. تسمى خطة لإنشاء مساكنهم وأحيانهم فمثلا نزل الفهريون من الجهة الشمالية من الجامع وبنوا منازلهم وإتخذوا حولها البساتين وعرف هذا المكان تاريخيا منازل الفهريين وهم قبيلة "عقبة".
[5] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 34.
[6] إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ص. 235.

الإستراتيجية العسكرية في بناء القيروان هو الإستقرار والإستلاء التدريجي[1] على مدن وحصون البيزنطية وترجع أهمية القيروان الى جانبها العسكري. غير أن الجانب الثقافي يحظى بأهمية أكبر، إذ تثمثلت أهميتها أنها كانت همزة وصل بين المشرق والمغرب، حيث يذكر الشيخ الصالح الفقيه أبومهدي عيسى الصميلي بن مرزوق الذي سافر الي المشرق وحج احدي عشرة حجة فبعث الي اصحابه بالقيروان وهو يقول **"ما زلت ابحث في الاثار والاخبار الي ان وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة"**[2] بمعنى أهميتها نجدها بعد المدينة المنورة، مكة وبيت المقدس. وتتمثل أهميتها في أنها وضعت أول قبلة للمسلمين بأرضها، وبني أول جامع في بلاد البربر بأرض القيروان وكانت مستقر الفقهاء[3] والعلماء والزهاد والصالحين ولكل هؤولاء كتب وآثار[4] معروفة ككتاب أبي محمد بن عفيف، وكتاب بن زيادة الله الصيني وغيرهما. وبالتالي، فإنه منذ أن تم بناء القيروان، أصبحت من الحواضر الإسلامية الرائدة في نشر الإسلام. مثلها مثل الكوفة، القاهرة، دمشق وبغداد وأسلمة البربر جاءت نتيجة إحتكاك هؤلاء عندما إستوطنوا بالجوار العائلات العربية المهاجرة من المشرق من قبائل المضرية والقيسية. ومنها آثارها الثقافية الدينية تجاوزت آثارها العسكرية، حيث يذكر **" أن الريح تنفت طابع الشرق[5] على هذا التدفق المدني من القيروان تاهرت وفاس".** **وفاس"**. ويذكر جورج مارسيه[6] أن القيروان كانت سبب **إعتناق البربر للإسلام**،وعن **للإسلام**،وعن اهمية القيروان في اسلمة البربر خير ما وجدناه ما ذكره الذباغ **"**أما القيروان فهي البلد الاعظم ،والمصر المخصوص بالشرف الاقدم ،قاعدة الاسلام والمسلمين بالمغرب وقطرهم الافخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضلها يعرب وبشرفه يغرب،قراره الدين والايمان،والارض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة

---

[1] علاوة عمارة، المرجع السابق الذكر، ص. 57.
[2]ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري المشهور الدباغ،معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ،اكمله وعلق عليه ابو الفضل ابو القاسم بن عيسي بن ناجي التنوخي ،دار الكتب المصرية ،ص6
[3] سيتطرق إلى دورهم الفعال في الفعال في العوامل الدينية.
[4] القاضي عياض، تحقيق أحمد بكير، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ص. 20.
[5] أثار "عبد العزيز غوردو تساؤل، لماذا إختفت اللهجة القبطية من مصر في حين ما زالت الديانة المسيحية حاضرة بها وفي المقابل لماذا إختفت الديانة المسيحية من المغرب و ظلت الامازيغية حاضرة الي اليوم وسبب حسب رأينا جغرافي بحث اذ ان جزء من البربر تحصنوا في الجبال وحافظوا علي لغتهم اما الاقباط فلا توجد ببلادهم جبال لتحصن بها
[6] جورج مارسيه، المرجع السابق الذكر، ص. 47.

الاوثان،قبلتها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية،ناهيك بأرضها كانت منازل أصحاب نبينا صلي الله عليه وسلم ومحط رحالهم ومعقلهم للاسلام والبقة التي تخيروها مقرا للاسلام والمسلمين، مصرا مؤسسا علي تقوي الله الي يوم الدين ودار هجرة"[1]ويضيف عن فضل القيروان "وفضل القيروان معلوم علي تعاقب الزمان ،متداول بين الامم لا يختلف فيه اثنان ،ناهيك من قوم سلفهم الاول أفاضل الصحابة والتابعين الذين فتح الله بهم أقطار المغارب وجالت في أرجائه منهم أفضل الجيوش والكتائب وعلي أيديهم أسلم سائره"[2] إضافة إلى التعريب "فاللغة العربية أبرزت مدن مثل القيروان وتونس عن الريف المحيط بسبب رجال الدين وجند حاميات التي تحكم البلاد. كما أن التبادل الدوري للأسواق أجبر سكان النواحي (البربر) على تكلم اللغة العربية". ومنه اسلمة البربرفي بداية واستعراب البربر الحواظرفي النهاية اما بربر الجبال والصحراء فاحتفظوا بهويتهم بسبب مناعة التضاريس (الجبال والصحراء) اما اسلامهم فقد جاء بعد سنوات من اسلام اخوانهم في الحواضر وعليه، مسألة التعريب إشكالية أخرى. خصصنا اسباب عدم التطرق إليها في المقدمة.

2) تأسيس تونس:

تختلف تونس عن القيروان، حيث أن القيروان هي مركز إشعاع ثقافي وقبله مركز عسكري أدى إلى إستقرار الفتح الاسلامي، أما تونس الذي أسسها "حسان بن تنعمان" سنة 84هـ - 703م هي مدينة ساحلية مكملة لمدينة القيروان البرية كما أنها مدينة قديمة ستتحول إلى مدينة إسلامية. وتمثلت إستراتيجية ولاة إفريقية إبتداءا من "حسان" هي ببناء مدينة حديثة إسلامية بجانب المدينة القديمة لتصبح مكملتين[3] لبعضهما، اذ يذكر "المالكي"[4] "أن حسان بعد إنتصاره على الكاهنة، عاد إلى القيروان، فدانت له إفريقية ودون الدواوين وجدد بناء مسجدها الجامع، ثم رحل إلى قرطاجنة فهزم أهلها وهرب الروم منها إلى صقلية والأندلس فحط بها وسيطر عليها وعلى فحص تونس". ومن ثم، يستخلص أن إنجازات "حسان بن نعمان" تمثلت في

[5] الدباغ ،معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ،ص06
[2] الدباغ ،نفس المصدر السابق ،ص24
[3] علاوة عمارة، المرجع السابق الذكر، ص. 139.
[4] المالكي، رياض النفوس، ص. 48.

تجديد القيروان مركز الإشعاع الثقافي الإسلامي الجديد[1]، إذ هدم المسجد القديم ما عدا المحراب وإعادة بناءه وأقبل الناس على البناء والتعمير[2]. وبالتالي، فقد إتضح لـ"حسان" خاصة بعد أن إستردت بيزنطا قرطاجنة من خلال إغارة مفاجئة أن لا سبيل لإستقرار المسلمين، إلا بتخريب قرطاجنة المدينة البيزنطية التي يصعب الدفاع عنها والعمل على إنشاء مدينة جديدة تخلفها، حيث تجّمع خصائص المدن الداخلية من حيث الحماية من الغزو وميزات المدن الساحلية من حيث القرب من البحر. وكتب إلى الخليفة "عبد الملك بن مروان" يخبره بأمر إغارة الروم على قرطاجنة، وهنا كلف الخليفة أخاه ووالي مصر "عبد العزيز بن مروان" أن يرسل إلى معسكر إفريقية ألف أسرة قبطية (مصرية) إلى "ترشيش"[3]، وهي قرية كانت بجوار تونس ورسل إلى "حسان" يأمره ببناء دار لصناعة السفن وكذا بناء ميناء، حيث تنحصر مهمته في كونه قاعدة هجوم ضد الروم في البحر ونقطة حراسة في أن واحد، حيث يذكر الرقيق القيرواني **"وأن يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وأن يغار منها على ساحل الروم فيشغلوا عن القيروان، نظرا للمسلمين وتحصينا لشأنهم"**[4]، ولما وصلت أسر الأقباط إلى موضع رباط "حسان" قام هذا الأخير بإنجاز قناة تصل القرية الداخلية "ترشيش" بالساحل لتتمكن السفن في الإساء فيها. ومن ثم، أصبحت هذه القرية ميناءا بحريا. ومن هنا، كثف المسلمون الغزو البحري ضد الروم وأصبحت مهمتها دفاعية هجومية[5]. وهكذا عمرت تونس وكثر سكانها وإهتم الولاة المسلمون بها خاصة "عبيد الله بن الحبحاب" بكونها قاعدة بحرية وبها دار صناعة فأسس "حسان" مسجد الزيتونة وأتم بناءه "عبيد الله بن الحبحاب" **وهكذا تأسست مدينة تونس الإسلامية وريثة قرطاجنة البيزنطية، فكانت مكملة لإشعاع القيروان الثقافي الديني.** وهنا لزم الإشارة أن بناء ميناء تونس في عهد "حسان" كان بمساهمة البربر التي

---

[1] حبث يستخلص مما سبق ذكره أن قبل تأسيس القيروان كانت عبارة عن غابات بها الحيات والسباع ولم تكن بها ولاية بيزنطية ، إذ بيزنطا كانت تمركز أساسا مدتها في الشمال.
[2] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 71.
[3] يغلب الظن أن "ترشيش" الإسم القديم لـ"تونس" الإسم العربي، أما إسم تونس فيذكر أنها نسبة لراهب كان يوجد في الكنيسة في قرية "ترشيش"، وكان يطلق ترانيم الرهبان من صومعة فتؤنسهم وتطربهم فأطلقوا تونس على هذا الإسم.
[4] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص. 66.
[5] لقد إنطلق المسلمين من قاعدة تونس نحو صقلية وجنوبي إيطاليا. وبالتالي، إنحسر نفوذ الروم البيزنطي إبتداء من القرن الثاني هجري.

تمثلت في قطع الأخشاب من الغابات الداخلية وجرها إلى دار الصناعة وهذا دليل على **حسن إعتناق البربر للإسلام**، وقد ذكر سابقا أن سياسة "حسان" كانت ذات ثمار طيبة ونتائجها تمثلت في **إعتناق البربر للإسلام بسبب المساواة بينهم وبين جند العرب** وكذا أسلوب آخر أقامة حسان هو **خطط**[1] القبيلة أي جعل لكل قبيلة قطعة أرض في أرض تونس بين المسلمين العرب والبربر، حيث يذكر المالكي[2] **"...ومن ذلك صارت الخطط للبربر في إفريقية فكان يقسم الفيئ بينهم، والأرض وحسنت طاعتهم فدانت له إفريقية ودون الدواوين، ثم قدم الي القيروان فأمر بتجديد بناء "المسجد الجامع" فبناه بناء حسنا وجدده في شهر رمضان سنة 84هـ"** ويضيف قائلا **"وإستقامت إفريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر منها وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر إن شاء الله"** . ويستخلص أن الإستراتيجة[3] التي إعتمد عليها العرب الفاتحون هو تأسيس مراكز إستقرارعسكرية تحولت فيما بعد إلى مراكز إشعاع ثقافي. وبالتالي، الإنتقال إلى مرحلة تاريخية لعمران دار الإسلام كما حدث في المشرق العربي فبعد سلسلة الحملات العسكرية التي قضت على الإستراتيجية العسكرية البيزنطية التي حاولت الحفاظ على ممتلكاتها بإفريقية خاصة في المنطقة الشمالية وكذا على تحالف سكان البربر، إتجهت السياسة العمرانية العربية إلى تأسيس مدن واقعة ما بين الأطلسين التلي والصحراوي وهذا ضمن إستراتيجية تضمن الإبتعاد عن الغارات المفاجئة القادمة من بحر الروم ومراقبة تحركات قبائل البربر الرعوية كما أضيف عامل ملائمة التضاريس وتشابهها لتضاريس شبه الجزيرة العربية ومن هنا جاء تأسيس تونس وهي مرحلة التحولات الكبرى أي تحول مركز الثقل[4] الحياة الإسلامية ببلاد البربر نحو الساحل.

[1] إن خطط القبيلة القيروان ركزت تركيزا كليا على القبائل العربية المهاجرة من المشرق أما للبربر فإستوطنوا بجوار القيروان والإحتكاك كان عامل إعتناق أما في تونس فجعل الخطط القبائل بين البربر والعرب يتساوى وكان هذا عامل إعتناق قبائل البربر الإسلام.

[2] المالكي، رياض النفوس، ص. 56.

[3] يذكر إسترتيجية الرومان. البيزنطيون هي عدم الإمتزاج والإختلاط مع البربر إلا بما يوافق الإستغلال الإقتصادي، حيث يذكر "ولهذا نجد المدن الرومانية القديمة أشبه بالقلاع والحصون الضخمة منها إلى المدن...وكذا ينظر إلى المدن الرومانية على أنها مراكز قمع أكثر من كونها مراكز تمدن وحضارة رومانية. وهكذا ظات المدن معسكرات ...ومع الفتح فتحت أبواب المدن في وجه السكان المحليين وبدأت تتحول تدريجيا من معسكرات إلى المدن. راجع علاوة عمارة، المرجع السالف الذكر، ص.69.

[4] علاوة عمارة، المرجع السابق الذكر، ص. 83.

3) ناكور:

يذكر ألفرد بال[1] نقلا عن إبن خلدون أخبارا عن مدينة "ناكور" وهي مدينة في الريف المغربي ببلاد غمارة، حيث يذكر إبن خلدون **"لما إستولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته وإقتسموه وأمدهم الخلفاء بالبعوث إلى جهاد البربر وكان فيهم من كل القبائل من العرب وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول. وكان يعرف بالعبد الصالح. فإستخلص ناكور لنفسه، وأقطعه أياها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة... فأقام صالح هنالك لما إقتطع أرضها وكثر نسله. وإجتمع إليه قبائل غمارة وصنهاجة وأسلموا على يده وقاموا بأمره وإنتشر الإسلام فيهم، ثم ثقلت عليهم الشعائر الاسلام. ونتيجة ذلك إرتدوا وأخرجوا صالحا. وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف بالرندي، ثم تابوا ورجعوا إلى الإسلام وأرجعوا صالحا، فأقام فيهم إلى أن هلك سنة إثنين وثلاثين ومئة هجري (132هـ)** ". ويستخلص من كلام إبن خلدون أن نواة تأسيس "ناكور" كانت بهجرة القبائل العربية اليمنية (قبائل حمير). وعليه، الإستقرار هؤولاء القبائل بأرض البربر ودعوة إلى الإسلام. اي بناء محور إسلامي اصلي توكل له مهام نشر الإسلام(بناء حواضر اسلامية مؤسسوها من عرب المشرق). و بعد وفاة صالح وّكل إبنه بمهام والده في إدارة نواة "ناكور" وهو إبنه "المعتصم بن صالح" وكانت أمه بربرية من صنهاجة ثم توفي وولى من بعده أخوه "إدريس". فأسس مدينة "ناكور" علي ضفاف الوادي[2] ولم يكمل بناء المدينة. وهنا يستنتج أن المدن والمحاور الإسلامية كانت تشيد أساسا بالقرب من منابع المياه وهذا ما تم ملاحظته في السابق[3] وأكمل البناء بعد ذلك إبنه "سعيد بن إدريس بن صالح" وقد لعبت مدينة "ناكور" دورا

---

[1] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 94، 95.
[2] ألفرد بال، نفس المرجع السابق ، ص. 95.
[3] لقد تم الذكر أنفا أن القيروان وتونس الأولى بنيت لها صهاريج المياه العذبة والثانية كانت ساحلية. ومنه، توفرت على مصبات أنهار. والمياه عامل مهم في الإستقرار.

أساسيا في **أسلمة بلاد البربر المغرب الأقصى**، حيث أنها أصبحت عاصمة للإسلام[1] في تلك النواحي.

VI)- العوامل الإجتماعية:

إن للعوامل الإجتماعية أهمية في إعتناق البربر الإسلام، حيث وجدت عدة عناصر شجعت البربر على إعتناق الإسلام. و من خلال تحاليل المؤرخين القدامى ومحدثين وجد ان الرقي الإجتماعي (نظام المواطنة في الإسلام) قد شجع البربر علي اعتناق الاسلام :

ـ الرقي الإجتماعي[2]: (نظام الولاء و الموالي)

يذكر "عبد الله العروي" أن **سبب نجاح أسلمة كل البربر هو توفيق العرب الفاتحين في توظيف نظام الولاء** لصالحهم أي نجاح السيولة (النقلة)[3] ويوافقه في الرأي هشام جعيط[4]الذي يؤكد أن **"العناصر التي تعربت وأسلمة عن طريق روابط الولاء"**، حيث إستطاع بواسطته رؤساء البربر أن ينظموا إلى أسياد العرب ونبلاءهم. ومنه، فنظام الولاء خاصة في فترات الفتوحات الراشدية وضف بطريقة جعلت البربر لا يشعرون بدونية ولافوقية خصوصا أنهم عايشوا الرومان والوندال وبيزنطيون ورأو قصورهم وعنصريتهم في هذا الجانب، فالإسلام يحبذ الولاء للإنسانية[5]. وبهذا سقطت معه الولاءات القبلية، الإقليمية والشعوبية لقوله تعالى **"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ"**[6] والدليل على ذلك حين جعل "حسان بن نعمان" "هلال بن

[1] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 96.
[2] إستعمل هذا المصطلح مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المرجع السالف الذكر، ص. 40:" السبب الوحيد عندي لإقبال البربر على الإسلام بسهولة قربهم من الفطرة وعشقهم للحرية وحاجيتهم إلى الرقي الإجتماعي، والإسلام دين الفطرة دين الحرية الصادقة دين الرقي الشريف".
[3] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق الذكر، ص. 132.
[4] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص. 157.
[5] حلمي مرزوق، أصول العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجموعة بحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2000، ص. 190.
الإسلام ليس دينا عرقيا ولا يختص بعرق دون عرق وليس من صنع قومية معينة. وبالتالي، هو ليس من معطيات العرب ولكن من فصل الله عليهم . راجع فرج نجم، القبيلة والإسلام والدولة، مؤسسة تواليت موقع الالكتروني 2010، ص. 89.
[6] سورة الحجرات، الآية 13.

شروان اللواتي"[1] وأبناء الكاهنة على رأس جيوش البربر ومنه نظام الولاء جسد نظام المواطنة في الإسلام[2]، حيث طبق تعاليم الإسلام السامية في بناء مجتمع على أساس العدالة العالمية متحررا من القيود العبودية والظلم الإجتماعي ومقياس التفاضل في كان أول لبنة لنظام المواطنة ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم عقب هجرته إلى "يثرب" (المدينة المنورة)، فنص صلى الله عليه وسلم أن المهاجرين والأنصار من قريش وأهل يثرب هم أخوة في الدين تجسيدا لقوله تعالى **"إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"**[3]. وبالتالي، فإن الروابط التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي هي روابط عقائدية[4] وهذا لتبذ العصبية القبلية، حيث أن الإسلام أعطى لرابطة الإيمان الديني أهمية كبرى وأسمى من رابطة التعصب القبلي هذه هي الأمة التي تعتبر أساس النظام الإجتماعي[5]. فالولاء للدولة الإسلامية والتمتع بحقوق المواطنة أساسه إعتناق الإسلام[6]، وهو الأمرالذي شجع البربر لإعتناق الاسلام و قام بتنفيذه "حسان بن نعمان" حين أوكل الجيش لأبناء "الكاهنة" الذين أسلموا بناءا على وصية والدتهم، وجاء نظام الموالي[7] وهم أهل البلاد المفتوحة من المسلمين الغير العرب، **لكن حقوقهم مساوية مع العرب المسلمين** وقد أكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله**"مولى القوم منهم"**، فكان كل فرد من غير العرب من أبناء الدولة الإسلامية يصبح مولى إذ إعتنق الإسلام. وبهذا ينال مواطنه كاملة ويقف على قدم المساواة[8] مع أخيه العربي المسلم، لا فرق بينهم ولا فضل لأحدهما

---

[1] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 167.
[2] إبراهيم أحمد العدوي، نظام المواظبة في الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص. 169.
[3] سورة الحجرات، الآية 10.
[4] هشام موساوي، النظام الإجتماعي في الإسلام، دار الصفوة، بيروت، لبنلن، ص.40.
[5] عبد القادر جغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 29.
[6] إبراهيم أحمد العدوي، المقال السابق الذكر، ص. 170.
[7] إستمد نظام الموالي من مفهوم إجتماعي جاهلي هذبه الإسلام، فكان العرب في الجاهلية يطلقون "موالى الرجل" على حلفائه أو أفراد عصبيته. راجع إبراهيم العدوي، المقال الآنف الذكر، ص. 172.
[8] إستيقظت العصبية العربية في عهد الاموي فمولى أصبح مواطن من درجة الثانية. وبهذا أصبح الموالى يعارضون سياسة الدولة الأموية التي أصبحت عنصرية لا تقيم الأفضلية على التقوى والعمل وإنما على النسب العربي. وهنا إضطر الموالى من البلاد الإسلامية إلى إرتماء في أحضان المعارضة فدخل بعضنهم إلى التشيع مثل موالى الفرس وإنضم الآخر إلى الخوارج مثل بربر إفريقية. راجع يحي الكعكي، معالم النظام الإجتماعي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص. 105.

على الآخر إلا بالتقوى. ومن ثم، فوحدة الحقوق سواء الإجتماعية[1] أو الإقتصادية[2] بين الموالى والعرب خاصة في فترة الفتوحات الراشدية ساعد على إنتشار المصاهرة والزواج فعبد الرحمان الداخل كانت والدته من بربروكذا المنصور وقد كان الناس في المشرق يذكرون " تملك إبنا بربريتين الدنيا " ومنه كان من نتائج **اسلمة البربر** الاندماج بين العرب والبربر في بوتقة الامة الاسلامية .

VII) العوامل الدينية:

لقد ساهم الدعاة والفقهاء الآتون من المشرق في حركة اسلمة بلاد البربر وتجلي دورهم فيما يلي :

ــ دور الدعاة والفقهاء المشرق في إعتناق البربر للإسلام:

يتجلى من خلال تمحيص المصادر أن دور الدعاة[3] والفقهاء[4] مر بعدة مراحل، مراحل، حيث أن المرحلة الأولى وجدت في أن قادة الحملات العسكرية هم أنفسهم كانوا دعاة من خلال الدعوة إلى الدين وعلى سبيل المثال نذكر "أبي مهاجر دينار" الذي إنتهج سياسة اللين لدعوة قبائل البربر إلى الإسلام خاصة قبيلة "أوربة" و"عقبة بن نافع" ودعوته وبناءه للقيروان. وبالموازات مع المرحلة الأولى وجد دعاة مرابطين كـ"شاكر" صاحب "عقبة"، ثم جاءت المرحلة الثالثة التي ركزت على دعاة الفقهاء عند إنتهاء الحملات العسكرية وكانت هذه المرحلة من أنجح المراحل في إستمالة قبائل البربر وإعتناقهم طواعية الإسلام، وهو الأمر الذي قام "ألفرد بال" بتأكيده بقوله " ومهما يكن من شيئ فقد قدم منذ وقت مبكر، بعد القادة والولاة، كثير من أهل الدعوة

---

[1] أتاحت حقوق الموالى في تولي جزء منهم مناصب سلطة عالية مثل أبناء الكاهنة الذين أصبحوا على رأس الجيش وكذا طارق بن زياد الذي اصبح علي راس الجيش العابر نحو الاندلس.

[2] تتمثل الحقوق الإقتصادية على سبيل المثال في العنائم وفيئ وأراضي المشاعة. بقد سبق الطرق لى هذه الحقوق في العوامل الإقتصادية، راجع صفحة البحث، ص.77

[3] الداعي هو القائم بالدعوة، وهو المبلغ للإسلام والمعلم له وساعي إلى تطبيقه والداعي الأول هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال الله نعالى :" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (46)" صدق الله العظيم، الأيتين 45و46 من سورة ٱلاحزابْ. والملاحظ ان الأُمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله تعالى ومنه إلى الإسلام. وبالتالي، فالمكلف بدعوة كل مسلم ومسلمة ولا يختص العلماء باصل هذا الواجب. لأن واجب الجميع كل بحسبه. وإنما يكلف أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام وأحكامه ومعانيه الدقيقة". راجع مفيد خالد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة، مكتبة دار البيان، دار ابن حزم، ص. 57، 58.

[4] الفقهاء مفرد فقيه على وزن فعيل بمعنى فاعل، والفقيه صيغة مبالغة من الفقه، والفقيه هو العالم بأحكام الشريعة الذي حصل على العلم الذي يقتدر به على إستمباط الأحكام من أدلتها. راجع مفيد خالد أحمد عيد، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 60.

ورجال الدين اللذين كانوا أقدر على نشر الدعوة منهم على الغزو والحرب وقد بدأت هذه الطريقة على نشر الإسلام على أيدي الدعاة الأتقياء منذ العصر الأموي"[1]، ويضيف "ألفرد بال"[2] في نفس الصدد نقلا عن "فون درهايدن" "Vonderheyden" أن " **البدء الفعلي في تعلم علوم الدين كان في الوقت الذي قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز (717-720م) (99هـ -101هـ) بحملة في كل الدولة الإسلامية لنشر الدعوة. فأرسل إلى إفريقية جماعة من الدعاة والمعلمين"**. وبالتالي، يستخلص أن عند ولاية "عمر بن عبد العزيز" ولى " إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر" على بلاد البربر سنة 100هـ وكان "إسماعيل" حسن السيرة[3] وإضافة إلى توقف عمر عبد العزيز في إختيار والي عادل يمثل الإسلام أحسن تمثيل قام بإرسال عشرة من الفقهاء التابعين من أهل العلم.

وبالتالي، وإنطلاقا مما سبق ذكره **فإنه كان السبيل الوحيد لنشر الإسلام في أوساط قبائل البربر هو إرسال فقهاء** حيث أن الفقه في الدين من الوسائل التي يحتاج إليها الداعي في دعوته، حيث تمكنانه من مخاطبة الناس على قدر عقولهم[4] وإختيار الأسلوب السمح للوصول إلى القلوب. وبالتالي، كمرحلة أولى كان يتوجب إرسال فقهاء من المشرق (التابعين) يفقهون البربر في الدين الإسلامي ويعلمونهم لغة القرآن وهم "أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع"[5]، "أبو مسعود سعد إين مسعود التجيني"[6]، "أبو "أبو عبد الرحمن الحبلي"[7]، "إسماعيل بن عبيد الأنصاري"[8]، "موهب بن يحي المعافري"[9]، "حيان إبن أبي جبلة القريشي"[1]، و"أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامي"[2]، الجذامي"[2]،

---

[1] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 96، 97.
[2] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 97.
[3] محمد شيت الخطاب، قادة الفتح المغرب العربي، ص. 166.
[4] مفيد خالد أحمد عيد، المرجع السابق الذكر، 135.
[5] المالكي، رياض النفوس، ص. 110:" عبد الرحمن بن رافع التنوحي توفي بالقيروان سنة 113هـ".
[6]المالكي ، رياض النفوس، ص. 102.
[7] المالكي ،رياض النفوس، ص.99.أبو عبد الرحمن الحبلي وإسمه عبد الله بن يزيد المعافرى، كان رجلا صالحا فاضلا يروي عن جماعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري.
[8] المالكي، رياض النفوس، ص. 106. إسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف **بتاجر الله** لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى وينسب إليه بناء جامع الزيتونة توفي سنة 107هـ.الا ان بعد المصادر تترجع بناءه الي حسان بن نعمان
[9] المالكي، رياض النفوس، ص. 110

" أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير"[3] و"إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر"[4] و"طلق بن جابان"[5] وأقرت معظم المصادر التي **تناولت إسلام البربر** بفضل هؤلاء الفقهاء التابعين. وبالتالي، فإنه يلاحظ أنه من المبالغ[6] التسليم ان عشرة فقهاء إستطاعوا بفضل علمهم إستمالة كل البربر لإعتناق الإسلام. ومن ثم، فإن يتوجب الرجوع إلى البربر أنفسهم الذين ما لبثوا حتى هاجروا على بلاد المشرق[7] في طلب العلم وبذلوا جهودا في تحصيل معارف الكتاب والسنة وعلوم الدين وصاروا أنفسهم من كبار الفقهاء ورجعوا إلى ديار لإكمال الفقه بالدعوة إلى الإسلام في أواسط أهلهم حيث اننا سنتطرق الي ظهور **علماء الدين من أبناء المنطقة أي انهم بربر** في الفصل الثالث اذ اننا سنجد انهم سيلعبون دورا هاما في اسلمة ذويهم ، ويرى "محمد شيت خطاب"[8] أن سبب هذا النجاح راجع إلى الإستقرار السياسي التي شهدته منطقة البربر بعد الفتح الإسلامي وإمتداده عبر البحر إلى الأندلس وجنوب فرنسا، علاوة على ذلك فإن "المالكي" أكد على الدور المهم الذي لعبه الدعاة والفقهاء في أسلمة البربر من خلال تعرضه لمختلف المراحل (الفقرة الطبقات)، فيلاحظ أنه أبرز في

---

[1] المالكي،رياض النفوس، ص111، حيان بن أبي جبلة القريشي هو قريشي بولاء سكن القيروان ونفع أهلها بعلمه توفي سنة 125هـ

[2] المالكي، رياض النفوس، ص. 112. بكر بن سوادة جذامي كان فقيها مفتيا سكن القيروان وبها توفي 128هـ.

[3] المالكي، رياض النفوس، ص. 114. أبو سعيد جعثل بن هاعان هو فقيه تولى قضاء الجند بإفريقية على أيام هشام بن عبد الملك.

[4] إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر، رياض النفوس، ص. 115. ذكر أنه أسلم على يده عدد كبير من البربر تأثرا بعدله وإحسانه في ولاية إفريقية وقد ذكر أبو جعفر الطبري "كان خير وال وخير أمير سار فيهم بالعدل والحق، وكان حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام" ووصف أنه أهل دين وزهد وكانت قد وافته المنية سنة 132هـ بالقيروان".

[5] المالكي، رياص النفوس، ص. 117.

[6] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص. 298:" ليس من المعقول أن يكون البربر كلهم قد اسلموا على يد إسماعيل بن عبيد الله وإنما لا خطأ في القول بأن معظم البربر كان قد أسلم حتى ذلك الحين، بل لا مبالغة في القول بأن المغرب الإسلامي يبدأ إذ ذاك وإن كانت أقلية قد بقيت أقلية لم تدخل الإسلام بعد فستدخله على مر الأعوام".

[7] ألفرد بال، المرجع سبق ذكره ، ص. 97.

[8] محمد شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي، ج. 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 2002، ص. 128.

بادئ الأمر دور الدعاة في مساندة المرحلة العسكرية لأسلمة البربر، حيث أنه الدعاة كانوا أنفسهم قائدين للجملات كـ"عقبة بن نافع" الذي سبق وأن تم التطرق إليه، ثم إنتقل إلى مرحلة الإستقرار النسبي أي بعد "موسى بن نصير" في عهد "عمر بن عبد العزيز" وأظهر تأثر البربر بالدعاة الفقهاء العشر الوافدين من المشرق إلى منطقة البربر الذين وافتهم المنية بها، وبعد ذلك إستعرض نفس المصدر التاريخي السالف الذكر فترة الدعاة الذين دخلوا القيروان ولكن رجعوا إلى المشرق[1]، ومن ثم إستعرض "المالكي" فقهاء مدينة "القيروان" أنفسهم الذين تلقوا العلوم الدينية من دعاة المشرق.

وبالتالي، فإنه يستخلص مما سبق ذكره آنفا أن **إنتشار الإسلام** في بلاد البربر يعود فضله في بادئ الأمر إلى الدعاة[2] العرب في الرباط، ثم كمرحلة ثانية إرسال أو هجرة[3] الدعاة الفقهاء إلى الأمصار[4] أي المدن خاصة القيروان عند فترة الإستقرار النسبي للعرب الفاتحين في بلاد البربر وقد كانت البداية بإرسال عمر بن عبد العزيز عشرة فقهاء المذكورين سالفا، أما المرجلة الثالثة فتتجسد في ظهور دعاة من البربر أنفسهم، إذ تمدرسوا في المشرق أو تمدرسوا على يد دعاة العرب الوافدين من المشرق ليصبحوا فيما بعد دعاة صادقين ناشطين نشروا العقيدة الإسلامية بين أهلهم من البربر وهذا ما سنتطرق له في الفصل الثالث العوامل الذاتية لإعتناق البربر الاسلام و دور الدعاة من ابناء المنطقة في أسلمة أهلهم (البربر).

---

[1] تجب الإشارة إلى بلغ عدد الدعاة الوافدين من المشرق بعد فترة الفقهاء العشر هم ثمانية عشرة فقيه من بين هؤلاء "علي بن رياح اللخمي" كأول وافد إلى "أبومعمر عباد بن عبد الصمد" كآخر وافد. راجع المالكي، المصدر السالف الذكر،من ص119 الي ص138

[2] أمثال "شاكر" صاحب "عقبة بن نافع". اذ لم نجد ترجمة له في المصادر .

[3] لقد تم التطرق آنفا إلى العوامل الساسية عند عنصر الخوارج هجرة دعاة المذاهب المضطهدة في الشرق خاصة الخوارج ودورهم في أسلمة البربر.

[4] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 103.

الفصل الثالث: العوامل الذاتية لإعتناق البربر الإسلام.

I- العوامل التاريخية الذاتية

- المعتقد البربري
- المسيحية عند البربر

أ- دخول المسيحية إلى بلاد البربر

ب- أسباب إعتناق البربر للمسيحية:

1- أوضاع البربر تحت سلطة روما الوثنية .

2- تأسيس المذهب الدوناتي..

3-الإختلافات اللاهوتية بين الدوناتية والمسيحية الكاثوليكية

4- ثورة الدائريين

II- العوامل السياسية الذاتية.

- إسلام زعماء القبائل البربر:

أ- إسلام وزمار بن صولات (أمير قبيلة مغراوة).

ب - إسلام كسيلة (أمير قبيلة أوربة).

ج - إسلام أبناء الكاهنة (قبيلة جراوة).

III- العوامل الاقتصادية الذاتية.

- عدم وجود كنيسة مستغلة

IV - العوامل الإستراتيجية الذاتية

- محاور المدن الإسلامية الجانبية.

1- تاهرت.

2- فاس.

V- العوامل الاجتماعية الذاتية.

- النمط التركيبي الاجتماعي للبربر.

أ- صراع البتر والبرانس

ب- تشابه نمط القبيلة العربية والقبيلة البربرية.

VI- العوامل الدينية.

- طبيعة الدين الإسلامي :

أ- بساطته

ب- سماحة الإسلام

ج- العرف والإسلام

د- الفطرة

- ظهور علماء الدين من أبناء المنطقة (البربر)

- دور المؤسسات الدينية في أسلمة البربر

أ- المساجد.

ب- الكتاتيب والزوايا.

الفصل الثالث: العوامل الذاتية لإعتناق البربر للإسلام

من خلال مواكبة البربر لمختلف حقبات الاستعمارية ترسخ في كينونة الشخصية الامازيغية طابع الأنافة (العزة) وتمسك بالارض وعدم الخضوع للاجنبي مهما كانت قوته وجبروته ومهما طالت مدة حكمه وهذا ما ميز البربر عن شعوب العالم ولهذا كان لزاما علينا ان نخوض في ميزة وطبيعة المجتمع الامازيغي وبالتالي التطرق الي العوامل الذاتية النابعة أساسا من داخل هذا المجتمع أي معتقداته ومؤسساته وعاداته وتقاليده وكذا اعرافه أي الخوض في العوامل الداخلية المساعدة علي اعتناق البربر الاسلام، حيث يذكر غوستاف لوبان[1] **" أن البحث التاريخي يجب أن يستند إلى دراسة عناصر الخّلق القومي الأساسية ليفرق بين الأمم ويُشّبه عناصر الخلق القومي (العناصر الذاتيةالأساسية الثابثة) بصخرة التي تلتطم عليها الأمواج من غير أن تزحزحها "**

I)- العوامل تاريخية الذّاتية

- المعتقد البربري:

لقد كان المعتقد البربري اتصال وثيق بالمظاهر الطبيعية[2] ويقصد بالمعتقد البربري ذلك الفكر البدائي الديني لدى البربر ويقسمها معظم الأنتروبولوجيين إلى:

أ- الروحانية[3] Anemisme:

---

[1] غوستاف لوبان، مرجع سبق ذكره، ص. 717.
[2] عبد الرحمن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص. 59.
[3] عثمان عكاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي، ص. 30

هو ذلك المعتقد الذي يتصور وجود أرواح في العناصر الطبيعية فمثلا كانت الكهوف والمغارات تحتل مقاما مرموقا ورفيعا وهذا بسبب ما يعتقدون من حلول الأرواح بها فهم يتبركون بها ويقدمون[1] لها قرابين.

ب) عبادات الحيوانات:

لقد عبّد البربر بعض الحيوانات التي كانوا يؤلهونها عن طريق التقليد[2] عن الأمم الأخرى. وهنا تمثلت صورة حيوان كالحمل أو الثور أو الكبش. ويلاحظ أن هذه حيوانات مرتبطة إرتباطا وثيقا بحياة قبيلة الرعاة[3]. ومنه، فقد مر الفكر البدائي البربري بمرحلة الطوطمية[4]، حيث أنه كان للحضارة المصرية تأثير كبير في العادات والمعتقدات البربرية بحكم قرب المسافة بين إقليم البربر وإقليم الحضارة الفرعونية المصرية. ونتيجة لذلك، تجب الإشارة إلى **أن الظروف الإقتصادية تخلق نمط التفكير لأن الفكر وليد الممارسة أي العقل مع الممارسة ينتج فكرا. فمثلا المجتمعات الزراعية لا تشبه المجتمعات الرعوية، وهذه الأخيرة لا تشبه المجتمعات الصناعية.** وبالتالي، النمط الإقتصادي يحدد طبيعة الفكر خاصة منه البدائي، فالبربر عاشوا نفس مراحل المجتمعات البدائية. فقد إنتقلوا من الفكر الطوطمي إلى الفكر الوثني[5] إلى الفكر الصنمي. فالوثنية لغة تعني التمثال الذي ليس له جسد إنسان أو حيوان، وقد يكون صخر، حجر، شكل غير معين، وعادة مل يكون حجر أو شجرة. وعليه، الوثن هو تطوير مرحلة الطوطمية أي مرحلة ما قبل النحث[6].

أما المرحلة الصنمية هي المرحلة الأكثر تطورا من الوثنية وهي مرحلة التجسيد أي أن المرحلة الصنمية تعكس التطور الديني، وهنا يستخلص أن عبادة الحيوانات

---

[1] تجب الإشارة إلى أن هذه العادة لم يتسم بها البربر فقط الفراعنة المصريون في القديم قدسوا نهر النيل وكانوا يقدمون له قربان كل سنة يتمثل في فتاة. عثمان عكاك المرجع السابق، ص. 30.

[2] يذكر "غوتيه" أن البربر لم يستعيروا آلهة مصر والحمل ذو الهالة الشمسية فيذكرنا بإلاه طيبة آمون فيطرح السؤال ما القرابة بينهما. وهنا من اليسير الإعتقاد بأن البربر قد إستعاروا الآلهة من مصر.

[3] يقصد البربر الرعاة البدو فرع البرانس * البربر. راجع غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ص. 19.

[4] تعتبر الطوطمية أقدم الأديان أي الفكر الديني البدائي، حيث أن الإنسان لا يفرق بين ذاته وبين الحيوان. وعليه، يقدسه فلا يأكل لحمه ولا يقتله.

[5] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص. 12. يذكر قال السهلي:"يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كنحاس ونحوه "

[6] تعرف هذه المرحلة بمرحلة ما قبل التاريخ لأن الإنسان كان يجهل الكتابة وسمي كذلك بالعصر الحجري لأن الحجارة كانت تستعمل في حاجيات الإنسان.

لدى البربر ليست مرحلة إنتاج عقلي وإنما مستوردة (نقلا أو تقليدا) من الحضارات المجاورة أي مرحلة تأثر أكثر من مرحلة إبتكار، وقد عزف لدى البربر أنهم يعبدون إله على شكل ثور يسمى "قورزيل" "Gurzil " . **كل هذا لنستخلص ان للفكر الديني اهمية لدي البربرمنذ القدم،** حيث كانت البيئة (بلاد البربر) المتنوعة في تضاريسها ومناخها قد اوحت لسكان البربر القدماء كغيرهم في البيئات اخري بكثير من الاوهام التي بني عليهم معتقداتهم الدينية.

ج) عبادة الكواكب:

إن عبادة الكواكب[1] متداخلة مع المرحلة الوثنية والصنمية، حيث تشير الدراسات والأبحاث الأنتروبولوجية إلى وجود رموز على شكل قرص شمس، إذ نجد لدى البربر الحمل ذو الهالة الشمسية الشبيه بآمون إلاه مصر الفرعونية (طيبة). ومنه، الإعتقاد يتجلى **بوجود إله يدير هذا الكون، ولكن لا ذات له ترى** وإنما تجلى لهم في المظاهر التي تروعهم بقوتها وبجمالها. ويستخلص هنا أنه نوع من **قابلية التوحيد**[2]. ومع وجود عدة حضارات على أرض البربر منها آلهات حضارة قرطاجنة التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد، وقد تأثر البربر بها وكانوا جميعا في المدن والقرى[3] يعبدون بعل الذي حمل إسم عطارد[4] . وقد وضعوه في المرتبة الأولى بين الآلهة قبل سيسلت وهذه خطوة في طريق التوحيد. ومن ثم، يتوجب العودة إلى دراسة المعتقدات القرطاجية لنفهم السهولة التي انتشرت بها المسيحية[5] .وقد لاحظ اغسال GSELL[6] GSELL[6] في علو آلهة بعل عن باقي الآلهات الصغري **قد هيأ عقول البربر الي التوحيد الذي ستأتي به المسيحية ثم من بعدها الاسلام.**

---

[1] R. Basset, *op.cit,* p. 15.

[2] يقصد بالتوحيد زعامة الآلهة الكبرى، وقد ذكرها القرآن هذا توع من الوثنية " ما نعبدهم إلا لتقربونا إلى الله زلفى" .سورة الزمر الآية 03.

[3] بمعنى البربر بفرعيه البتر والبرنس.

[4] عطارد وسيلست ألهة بربرية تقابلها بعل هامون وعشتروت . راجع غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص.76.

[5] تجب الإشارة إلى أنه سيتم التطرق إلى المسيحية في بلاد البربر بالتفصيل، حيث أن المؤرخين إعتبروها عاملا من عوامل إعتناق البربر للإسلام.

[6] S. Gsell, *op.cit,* p.87

ـ المسيحية عند البربر:

أ- دخول المسيحية إلى بلاد البربر:

لقد نسبت المسيحية إلى سيدنا "عيسى" عليه السلام، حيث كان مولده في سنة ثلاثة والأربعين[1] من ولاية الإمبراطور "أغسطس" ببيت لحم بفلسطين. وقد أضطهد أتباع المسيح عليه السلام. من طرف الوثنيين، حيث أنه وكما سبق ذكره أنهم كانوا يعتقدون الألوهية في شخص الإمبراطور وكذا للمحافظة على نفوذهم السياسيي والإقتصادي ومصالحهم المرتبطة بشخص الإمبراطور. وعندما رفع المسيح اضطهدوا أتباعه فاضطروا للتخفي، وإختفى الإنجيل الأصلي، وقام بعد عقود بعض أتباع المسيح (الحواريون)[2] بتحرير أناجيل مستوحاة من ذكريات عن أقوال المسيح وكتبوها بغير لغة المسيح التي كانت اللغة "الآرامية"، ويعتبر "بولس"[3] المولود باليونان هو واضع اللاهوت المسيحي اذ لم يكن من الحواريين وإنما من الاتباع[4] أي تتلمذ علي يد الحواريين ولم يلتقي بعيسي عليه السلام ويعتبر المصدر لجل الأناجيل التي حررت في نهاية القرن 1م، وبقيت المسيحية بين مد وجزر أي بين أتباعه وخصومه إلى أن استتب الأمر واعتنق الإمبراطور "قسطنطين" المسيحية سنة 312 ميلادي، ويبدو أن دخول المسيحية إلى بلاد البربر كان عن طريق المشرق وليس عن

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 95.

[2] يقصد بـ"الحواريون" أنصار الله وذلك إستنادا لقول الله تعالى:" **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ (١٤)**" الآية 14 من سورة صف. حيث انهم هم الذين نشروا المسيحية بعد هجرتهم في أنحاء العَالم وعددهم 12، ذكر ابن خلدون ،المصدر سابق الذكر ج2 ص294"**وعند علماء النصاري أن الذي بعث من الحواريين الي روما بطرس ومعه بولس من الاتباع ،الي والي السودان والحبشة مّتي العشّار وأندراوس ،و الي ارض بابل والشرق توماس والي ارض افريقيا فليبّس والي أفسس قرية اصحاب الكهف يوحنّا،والي اورشليم القدس يوحنا والي ارض العرب والحجاز برتلوماوس والي ارض برقة والبربر يشمعون القانوي "** ويذكر عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، نفس المرجع السابق، ص. 95 أن الذي بشر من الحواريين جاء إلى أرض البربر وبرقة هو "يشمعون القانوى". محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، أم البواقي، الجزائر، ص. 192

[3] مذهب اريوسي نسبة الي أريوس (الاسكندرية) والمثير للاهتمام انه من اصول امازيغية و هو مذهب ينفي صفة الالوهية للسيد المسيح و يعتبره نبيا لاغير "راجع في هذا الصدد الدكتور عثمان سعدي (مقالة الأنترنت) الأب دونا رجل الدين المسيحي الجزائري المغاربي مناضل، راجع ايضا عقون محمد العربي ،نفس مرجع سابق الذكر ص285،لاحضنا ان اوروبا المسيحية اعتمدت في عقيدتها علي فكر مؤلفات قساوسة الامازيغ اريوس ،اغسطينوس ترتيليان دونا اوغيرهم فكيف نجد بعض المؤرخين الغربيين يحطون من قيمة الامازيغ الفكرية حيث يذكر غوتيه ،المرجع سابق الذكر ص 134ومهما علا شأن البربر من ناحية العسكرية الا انه لم يكن له أي قيمة من ناحية الفكرية " كيف ذلك ونري ان عقيدة اوروبا مبنية علي فلسفة قساوسة الامازيغ .

[4] عقون محمد العربي ،هامش نفس المرجع السابق الذكر ،ص285. الاتباع هم الذين اتو بعد الحواريين ولكي نقرب الفهم نشبه الحواريين بالصحابة في زمن سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم والاتباع بالتابعين

طريق أوروبا وهذا منذ القرن الثاني ميلادي (2م). (والمشرق نقصد بهم مجئ الحواريين فقد أرسل إلي بلاد البربر من الحواريون يشمعون القانوي والي افريقيا فليبّس ومنه نستخلص ان الذين حلوا ببلاد البربر اثنان من الحواريين وبتالي اعتنق البربر المسيحية الصحيحة في معتقدها والمبنية علي بشارة انصار الله الحواريين) .

ب- أسباب إعتناق البربر للمسيحية

1- أوضاع البربر تحت سلطة روما "الوثنية":

لم تختلف أوضاع البربر تحت سلطة روما عن باقي شعوب الإمبراطورية، حيث رفض البربر فكرة الدولة الكونية[1] الواحدة التي دعت إليها روما أولا.والكنيسة الكاثوليكية ثانيا لأنها إقترنت في الممارسة اليومية بالعبودية، حيث أن الأباطرة روما في الأول إضطهدوا المسيحيين في كل من مصر[2] وبلاد البربروكل أرجاء الامبراطورية الرومانية بحكم ان الدين الجديد (المسيحية) يتعارض مع مصالح الامبراطور الذي جمع السلطتين السلطة الدينية (أعلن نفسه إله او شبه اله)وسلطة السياسية، ومنه توالت تعذيب وإضطهاد المسيحيين الاوائل علي يد عدد من اباطرة الرومان مثل دومنيان عام 96م ،ترجان ،دسيوس 248مو كذا الامبراطور دقيانيوس عام 284م حيث عرف عهده بإسم عصر الشهداء لان القّتل والإضطهاد وصل أوجه .

2- تأسيس المذهب الدوناتي:

لقد سبق الذكر أن اضطهاد المسيحيين الأوائل بلغ أوجه (شدته) في عهد الإمبراطور "دقلديانوس"Diocletianus (284-305م) وسمي عصره عصر الشهداء بسبب ما لقيه المسيحيون الأوائل من عذاب في السجون وتنكيل بجثث وحرق للكتب، حيث صدر مرسوم إمبراطور سنة 304م . الذي فرض تفتيشا عاما لصالح

[1] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص. 97.

[2] فمثلا عندما كانت المسيحية في عقيدتها الصحيحة دون تحريف جاء "مرقش" الذي بشر بالمسيحية في مصر وفي يوم 26 أبريل 68 م بينما كان المسيحيون يحتفلون بعيد الفصح والوثنيون بعيد إلاههم سيرابيس كان "مرقش" يدعو إلى عبادة الله الواحد ونبذ عبادة الأوثان، وهنا قتل ونكل بجثثه. راجع عقون محمد، مرجع سبق ذكره، ص. 280.

الآلهة الرومانية الوثنية، وطبقت عملية التفتيش والتبليغ[1] عن المسيحيين فمن عصى المرسوم قتل مثلما حدث للأسقف "مارسولوس" الذي رفض أمر التفتيش فنقل إلى قرطاج وأعدم هناك، وعندما توفي الإمبراطور دقليانوس وتولي الحكم بعده الإمبراطور "قسطنطين" وأصدر مرسوم "ميلان لتسامح الأديان" كما سلف الذكر سنة 307 م، وهذا بعد إعتناقه المسيحية. و عين الأسقف "كوسيليوس" هذا الأخير أتهم أنه تعاون مع محاكم التفتيش والتبليغ في عهد الأمبراطور "دقليانوس" وإعترض أساقفة البربر أن يتولى قيادة المسيحية ببلاد البربر خائن للمسيحية ومنافق وأينما تميل الرياح يميل، وتأسس نتيجة ذلك المذهب الدوناتي[2] سنة 305م وجاء رفضه للكنيسة الرسمية الرومانية خاصة عندما رفع الأمر إلى الإمبراطور "قسطنطين" فقضى هذا الأخير بتثبيت "كوسيليوس Caecilianus" في منصبه على رأس الكنيسة الإفريقية وتسبب هذا الموقف[3] في إنتشار واسع للدوناتية وهنا بدأ الصراع الطويل[4] الأمد بين الكنيسة الرسمية والكنيسة الدوناتية، وأعيد اضطهاد البربر الدوناتيون كما أضطهد البربر المسيحيون الأوائل[5] وأمام صمود الدوناتيون ورفضهم سيطرة الإمبراطورية الرومانية على الكنيسة الإفريقية وتحولهم إلى ثورة وطنية إجتماعية أصدر الإمبراطور "قسطنطين" سنة 317م إعتبر فيه الدوناتيون خارجين عن القانون وأمر الجيش الروماني بدخول القرى والمدن بالأوراس ومصادرة الكنائس الدوناتية وتسليمها للكاتوليك الرسميين وقد كانت أشد المواجهات الدموية في مدينة "باغاية" بالأوراس وأمام إصرار الدوناتيين على ثورتهم وموقفهم الرافض للسلطة الرومانية

---

[1] خلال فترة الاضطهاد تعرض الكثير من المسيحيون الي القتل والتنكيل بجثثهم حيث رفع الوثنيون شعار "ألقو بالمسيحيين للاسود، christinos ad leomen" وهنا إضطر البعض الي الارتداد عن المسيحية وتعاونوا مع محاكم التفتيش(المرتدين Lapsi) من بينهم "كوسيليوس" الذي عين اسقف الكنيسة الافريقية في عهد قسطنطين وهذا ما إعتبره الدوناتيون خيانة للشهداء; والمسيحية .عقون محمد العربي، المرجع السابق ،هامش ص287.

[2] المذهب الدوناتي: نسبة إلى الأب دونا بمدينة كازانوار، الديار السود، تقع شمال الأوراس، وأصله من البربر.

[3] الدوناتيون يرفضون الإعتراف بسلطة الكهنة دون المستوى. راجع غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 154.اي قضية المرتدين او النافقين او حتي الخونة تعددت تسميتهم في المراجع

[4] الصراع سيستمر ما بعد وفاة الأب دونا ضد السلطة الرومانية (كنيسة الرسمية) سيتبنيبني اتباع الاب دونا مبادئه وتندلع ثورة بإسمهم

[5] يقصد بهم المسيحيون الذين إضطهدوا في عهد الإمبراطورية الرومانية الوثنية وكانوا علي العقيدة الصحيحة التوحيد لا الكثلكة التي هي وريثة الوثنية بقناع المسيحية والتي إستبعدتهم وبعدها تغيرت السلطة الدينية فقط لكنه الإستبعاد بقي بنفس الطريقة.

والرامي للتحرر من الإستعمار الروماني وتزايد[1] عدد المعتنقين للمذهب من البربر أضطر الإمبراطور "قسطنطين" سنة 321م إلى إصدار تعليمات بوقف اضطهاد الدوناتيين الذين رفعوا شعار **"نحن أبناء الشهداء في مواجهة أبناء الخونة"**، كما أطلق الأب دونا[2] تصريحه الشهير **"لا علاقة للمسيحية بالإمبراطور والإمبراطورية، الله أرسل المسيح لإنصاف المستضعفين"** وأمام تزايد شعبية الأب "دونا" أمرت الإمبراطورية الرومانية بإلقاء القبض عليه ونقله إلى إسبانيا، حيث سجن ومات هناك سنة 355م.

3- الإختلافات اللاهوتية بين الدوناتية والمسيحية الكاثولوكية:

يتوجب شرح تعاليم المذهب الدوناتي، حيث يعتبر عاملا أساسيا من عوامل إعتناق البربر للإسلام. هذا الأخير أي الإسلام ركيزته الأساسية التوحيد وهو أن "توحد الله" في ذاته وصفاته وأفعاله. ومعنى ذلك في إصطلاح المتكلمين[3] أن للتوحيد ثلاث مراتب، مرتبة **توحيد الذات** وهو مقام الاستهلاك والفناء في الله فلا موجود إلا الله ومرتبة **توحيد الصفات**، وهو أن يرى كل قدرة متفرقة في قدرته الشاملة وكل علم مضمحل في علمه الشامل الكامل ومرتبة **توحيد الأفعال**. وهو أن تحقق بعلم اليقين أو بعين اليقين أو بحق اليقين أي أن لا مؤثر في الوجود إلا الله ومن وحد الله فقد إعتقد

---

[1] كثر أعداد أتباع المذهب الدوناتي وكادوا سنة 330م أن يستوحدوا على كنائس إفريقية، حيث بلغ عدد الكنائس سنة 411 م (187كنيسة منها 87 دوناتية وبقية موزعة على باقي المذاهب). راجع عبد الرحمن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 98.
وبالتالي، يمكن أن يستنتج مما ذكر أعلاه أن جل البربر كانوا دوناتيون بسبب إحتواءه على تعاليم الثورة.

[2] لقد إنقسمت الكنيسة الافريقية الي الكنيسة الدوناتية زعيمها الاب دونا كما سلف الذكر والكنيسة الرسمية زعيمها اوغسطين وتمثلث إيديولوجيتها أنها كانت تحافظ علي مصالح كبارالملاكين ويكفي أن تستعرض **نظريات القديس "أوغسطين"** (وهو ممثل الكنيسة الرسمية الرومانية) وأصله بربري مرومن أي تبنى الحضارة الرومانية أسقف عنابة الذي ولد بعد الأب "دونا" لكن مذهبه كان ضد المذهب الدوناتي بسبب نظرياته المتمثلة: **"العبودية بالنسبة للقديس "أوغسطين" ليست إلا عاقبة الإثم عقاب المذنب وكفارة الغني...، فالفقير الحقيقي هو الفقير في عمق الروح الذي يسأل "فليست مهمة الكنيسة جعل العبيد أحرارا بل جعلهم طيبين"**. ومنه، ليس من العجيب أن يجعل القديس "أوغسطين" رمزالكنيسة إفريقية الرومانية الرسمية نفسها. راجع أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست ترجمة لـ إسطنبولي رابح ومنصب عاشور،الجزائر بين الماضي والحاضر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 81، 82.
[3] محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، المقدمة، الدار العربية للكتاب، 1985، ص. 51، 52.

أن "لا لإله إلا الله"، وهنا المذهب الدوناتي[1] الذي يمكن أن نذكر أنه العقيدة الصحيحة أنذاك، حيث وجد كما سلف الذكر في القرن 3م. أي قبل مولد سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ولد عام 570م. يختلف عن المذهب الكاثوليكي لاهوتيا، وقد وجد جدل عقيم حول طبيعة المسيح، إذ إنقسمت المسيحية إلى مذاهب منذ أن رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء وضاع الإنجيل الأصلي ووجدت المذاهب الأربعة التي انقسمت هي الأخرى مذاهب وهكذا دواليك. فالمذاهب الشرقية (الأرثودكسية السلفية) نشأة في **بيئة الأديان** ولهذا جاءت عقيدتها مؤسسة على نوع من التوحيد إذ تؤمن بطبيعة الواحدة للمسيح ومنها اليعقوبية[2] "Monophysites " أصحاب يعقوب البرذعاني راهب القسطنطينية وهو مذهب غالب الأرمن، الأقباط، الحبشة، والنوبة وإنحدت منها الدوناتية التي إعتنقها جل البربر (ما عدا البربر مرومين)، أما المذاهب الكاثوليكية فقد نمت في **بيئة وثنية** أوروبية (الحضارة الرومانية) وقد جاءت عقيدتها غير مؤسسة على التوحيد وحدث القول بـ**"الثثليث"**[3] (الأب، الإبن، الروح القدس) منها مذهب الملكانية Mechites مذهب البابا في روما وكذا الأباطرة الروم. وبالتالي، فالكنيسة الكاثوليكية تؤمن بمذهب الطبيعتين والمشيئتين هما الإله والإنسان بمعنى أن المسيح إله وإنسان في نفس الوقت وهذا المنطق بعيد عن التوحيد المؤسس للديانات السماوية.

وبما أن الدوناتية تختلف عن الكاثوليكية "مذهبا" و"عقيدة"[4] فلابد أن تختلف معها لغويا، فلغة المذهب الدوناتي هي الفينيقية أي الكنعانية، فالدوناتيون يصلون في

---

[1] يذكر غوتيه في كتابه ماضي شمال إفريقيا السالف الذكر، ص. 151: " الخوارج هي الدوناتية عينها منقولة من الإطار الإسلامي على أن جوهر الظاهرة لا يتغير عند الجماعتين هي طريقة الإحساس بالذات الإلاهية " حيث اننا تطرقنا الي حركة الخوارج اذ انها تعتبر عاملا من عوامل اعتناق البربر للاسلام (عوامل السياسية)

[2] اليعقوبية ينسبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهبا بالقسطنطينية، وقد زعم أكثر اليعقوبية، أن المسيح جوهر واحد. أقنوم واحد. إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين. فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبيا كما تركيب النفس والبدن فصار الجوهر واحدا. فهو إنسان كله وإله كله. راجع الشهرشاني، ملل ونحل، ص. 270، 271.

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 95، 96.

[4] بعض المؤرخين الغربيون من بينهم غوتيه، المرجع سبق ذكره، ص. 73، يحاولون ان يصوروا الدوناتيين علي انهم انشقاق **Schisme** وفي نظر هؤولاء ان مسألة الإيمان متطابقة لدي الدوناتيين والكاثوليك وبتالي لا تعد الدوناتية هرطقة Hérésie ولكنها مجرد إنشقاق اما عقون محمد العربي ،نفس

كنائسهم بالفينيقية[1] هذه الأخيرة تعتبر لغة الدواوين والعبادات متأثرة ببعض لهجات الأمازيغية الشفوية وتعتبر اللغة الفينيقية أنذاك اللغة الفصحى في بلاد البربر، وتعتبر اللغة الفينيقية من أهم اللغات الكنعانية[2] كما سبق ذكر ذلك عند التحدث عن تأثير قرطاجة في عنصر سابق، حيث يذكر "غسال" "Gsell"[3] **"إن بقاء الفينيقية بألسنة البربر سهل عليهم تعلم العربية"** وكما يذكر "العربي دحو"[4] نقلا عن محمد محي الدين المشرقي (إفريقيا الشمالية في العصر القديم):"... **فإذا تذكرت أن البربر والقرطاجيين في أرومة سامة، يرجع أصلهم جميعا إلى المشرق، وتبث لديك أن القرطاجيين من قبائل كنعان العربية وأن لغتهم هي اللغة العربية- عرفت لماذا أقبلت الطبقات البربرية على تعلم اللسان القرطجني إقبالا عظيما وتبين تلك الأسباب التي ساعدت على إنتشار العربية بسرعة كبيرة في بلاد المغرب بعدما خضعت للمسلمين وهذا الذي حدا ببعض المؤرخين إلى التصريح عما يلي عند تناوله الكلام على سرعة إضمحال اللغة اللاتينية منها يرجع إلى أن عددا عظيما من الأهالي في هذه البلاد كانوا يتخاطبون باللغة القرطاجنية...".**

ومعنى هذا أن الفاتحين قد وجدوا البربر على صلة بالعربية على طريق القرطاجنية التي أتى بها الفينيقيون إلى هذه الديار. وقد ذكر هنري باسيه **"إن هذه**

المرجع السابق ،ص289 **"الانقسام المذهبي بين الطرفين تجاوز الاختلافات خاصة في مسائل لاهوتية عقائدية "**

[1] لقد ذكر سابقا في بحثنا هذا عن تأثير الحضارة الفينيقية وتوسعها في بلاد البربر من خلال قرطاجة، راجع ص. 50من هذا البحث.

[2] يذكر عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص.66، 67:" أما لغتهم (أي الفينيقية) فهي من أهم اللهجات الكنعانية بعد العبرانية وهي تطابقها بأصول السواكن مطابقة تامة، والفروق بينها وبين اللهجة العبرية في الحروف المتحركة ...وكذلك النحو وللفينيقيين بناء للفعل غير معروف في اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك في اللغة العربية وهو صحة الدلالة على الأزمان بإستعمال فعل مساعد – هوكان-... واللغة الفينيقية في لهجتها تشبه لغة أهل جزيرة مالطا اليوم ...ومهما يكن فاللغة الفينيقية لغة سامية هي اخت العربية وقد أقبل عليها البربر لما وجدوا فيها من القرب من لغتهم ومن الإتصال الجنسي الكنعاني بأهلها. وقد زادت الفينيقية هذا الوطن (الجزائر) تأكيدا للغنصرية السامية وتمهيدا للعروبة والغربية".

[3] S. Gsell,*op.cit*, p.200.

[4] محمد دحو، مدخل في دراسة الأدب العربي القديم، ص. 53.

اللغة بقيت قائمة هذه المدة في المغرب (بلاد البربر) سبعة عشرة قرنا وهو أمر عظيم"[1] . وبالتالي، يستخلص أن إندثار اللغة اللاتينية (لغة الكنيسة الرسمية الرومانية) كان بسبب العزوف عن تعلم لغتهم وبتالي عدم انتشارها ، حيث يذكر مبارك بن ميلي[2] **" حضارة أي أمه بما فيها من عقائد وعوائد واخلاق ومعارف إنما تسري لأمه أخرى وتثبت فيها على نسبة سريان لغتها بين أفراد تلك الأمة الأخرى وتبوثها في أجيالها. لا على نسبة سلطانها وقوتها الحربية ونفوذها السياسي، وفيما تقدم من حياة الحضارة القرطاجنية بلغتها إلى الفتح العربي، وذهاب حضارة الرومان بأثر ذهاب سلطانهم لعدم إنتشار لغتهم- دليل كاف على صحة نظرتنا هذه".**

ومنه نستخلص أن المذهب الدوناتي ولغته الفينيقية المتداولة في **كنائسه هيأت البربر لإعتناق الإسلام**[3]، وقبل أن التعرض إلى العوامل الأخرى يتوجب البحث عن أسباب عزوف البربر على تعاليم اللاتينية وتبني مذهب الكنيسة الرسمية. إذ إستمر إضطهاد الرومان للبربر وإستبعادهم بما يفسر تبني[4] البربر مذهب الدوناتي، حيث قويا معتنقيه.

4- الثورة الدائريين:

إستمرت فترة الإستعمار الروماني خمسة قرون تقريبا (46 ق.م إلى 429 م) أي حتى مجيئ "الوندال" "Vandales" و قد تميز فترة العهد الروماني ببلاد البربر فترته بإستبعاد البربر وإستغلال أراضيهم، حيث أن النظام القائم على الإستعباد هو أهم خصائص الإستعمار الروماني وديناميكيتة تأسست اساسا على توسيع القاعدة العقارية

---

[1] R. Basset, *op. cit,*, p. 53.

[2] مبارك بن محمد ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص. 40.

[3] عمار يزلي، مقياس أنتروبلوجيا الأديان ، السنة الأولى، ماجستير الدين والمجتمع، غير مطبوعة، جامعة وهران، كلية الفلسفة، 2010-2011.

[4] إن تطور المذاهب خاصة المسيحية يفسر على أن تجديد المذاهب بإتجاهاتها المختلفة نتيجة طبيعة الإنسان الميالة إلى كل ما هو مادي وبما تهوى نفسه أي تطور المذاهب يساوي المادة الخام (الدين في الأصل) تضاف إليها المصلحة المادية) ونجدها في الديانة المسيحية كما نجدها في الإسلام. راجع عمار يزلي، محاضرات الماجستير، السابقة الذكر.

وإمتلاك الأراضي والعبيد. ومنه تم إخضاع الزراعة وتصريف منتجاتها (الحبوب)[1] لمصالح طبقة النبلاء الرومانية ، ومسألة الإزدهار الحضاري لبلاد المغرب (البربر) أيام الإستعمار الروماني خرافة[2]، حيث إنعكس على مجمل سكان البربر الفقر المطلق وقد أدت إقامة مستعمرات أيام حكم الإمبراطور "تراجان" "Trajan " إلى تقسيم الأراضي النوميدية، وبهذا تكونت حركات تمرد قادها البربر ضد اللوتيفوندات[3] وأهم حركات التمرد مقاومة "تاكفريناس" "Tacfarinas" (16-24م) كما وجد فئة قليلة من البربر مرومون (أي الذين تبنوا الحضارة الرومانية) اما اغلب البربر تقريبا فقد رفضوا الإندماج وظلوا يتكلمون لهجاتهم الخاصة ويدفنون موتاهم على الطريقة البربرية ويمارسون شعائرهم الدينية التي ورثوها عن أجدادهم وهذا إعتزازا بكرامتهم وإنتشار المسيحية إبتداء من القرن الثاني ميلادي (02م) لا يعني أن البربر إندمجوا في الحضارة الرومانية بل بالعكس، إعتنق البربر المسيحية كدين جديد مستقل عن الدولة الرومانية لأن الرومان اضطهدوا المسيحيين ولأن هذا الدين شكل وسيلة تعبير إيديولوجية[4] عن معارضة البربر للإستعمار الروماني (الأمبراطورية الرومانية الوثنية أولا ثم الإمبراطورية الرومانية المسيحية الكاثوليكية)، حيث أنه إبتداءا من النصف الثاني للقرن الثالث ميلادي دخل نظام الرق المعتمد من طرف روما في حالة تأزم و سيكون سببا في إنهيار الإمبراطورية.وبهذا ستنتفض الشعوب المستعمرة (خاصة البربر)و تعلن الثورة وقد سماها المؤرخون الرومان بثورة "الدائريين" "circoncellons" سنة 340م (السيركونسليون)[5] وما يهمنا هنا من خلال إستعراض هذه الثورة أنها كانت في حاجة لدعم ديني فربطت نفسها بالدوناتيين،

---

[1] إن الإكتفاء بزراعة القمح في بلاد البربر أدى إلى كسر التوازن الزراعي والبيئي في بلاد المغرب التي كانت خزان حبوب للإمبراطورية الرومانية. أما قبيل الفتح الاسلامي فقد وجد زراعة الزيتون التي اعتبرت ثروة بلاد البربر حتي انها ادهشت الفاتحين العرب .

[2] عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ص.17.

[3] اللوتيفوندات: هي مزارع الكولون (مزارع كبار الملاكين).

[4] عبد القادر جغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 21.

[5] سيركونسليون وتعني الدوارين أو الدائريين وهي تعني من يدور حول مخازن الحبوب لنهبها (عبد الله عروي، ص. 88)، حيث أنهم كانوا يكرهون الأسياد والأغنياء)كبار الملاكين ويتفاخرون بكونهم جاؤوا لنشر العدالة في الأرض ولدعوة العبيد للحرية، راجع عبد القادر جغلول.، ص. 26. كما يذكر عقون محمد العربي ،مرجع سابق الذكر ،ص291 "هناك فرضيتان في تفسير مصطلح السيركونسيليون Circoncellionsالاولي مشتق من الاصل اللاتيني circum cellasاي الذين يطوفون حول مستودع الحبوب الاهراء والفرضية الثانية المشتقة من circum cellaeالذين يطوفون حول المصليات الكنيسة chapellesومقصود بهم الكهنة الدوناتيون "وقد تبني معظم المؤرخين الغربيين الفرضية الثانية لهدف وصف ثورة الدائريين بثورة سرقة ونهب وهذا التفسير مرفوض لدينا نحن كمغاربة .

ولم تستطع الإمبراطورية الرومانية زيادة مناطق نفوذها وتقلصت المناطق المحتلة "الليمس" "Limes"[1] وبهذا نشأة المعارضة المكونة من الدوناتيين والدوارين (الدائريين) ضد الحلف الثلاثي في الإمبراطورية الرومانية الذي يضم "**الكنيسة الكاثوليكية، الملاكين الكبار العقاريين، الجيش الروماني**"[2]، وبهذا تطورت الحركة الدوناتية فبعدما كانت معارضة دينية وذريعة للإنشسقاق اللاهوتي مستندين إلى عرف الصفاء[3] السائد الأيام الأولى للمسيحية إنتقلت إلى المعارضة دينية وسياسية وإديولوجية عندما إلتحمت مع ثورة الدائريين. ومنه، يتوج هذا الإلتحام والتعاون بثورة عارمة عام 373م بزعامة الزعيم البربري "فيرموس" "Firmus"، وبعد عشرون (20) سنة قاد أمير بربري نفس إديولوجية الثورة هو "جيلدون" "Gildon " . وهنا، لزم ذكر أن ثورات البربر تواصلت ولم يجدوا حلا إلا في إستبدال إستعمارا بإستعمار في الفترتين الوندالية[4] (431م – 534م)، وقد رحب البربر بالوندال أملين في تخليصهم من إستبعاد وظلم الرومان. فلزم معرفة لماذا إستنجد البربر بالوندال، حيث أن هؤلاء يدينون بـ"الأريوسية" نسبة إلى مؤسسها "أريوس" المولود ببرقة سنة 256م والمتوفى سنة 336م، حيث أن مذهب الأريوسية[5] يتفق مع الدوناتية في الطبيعة الواحدة للمسيح أي في نكران صفة الألوهية عن المسيح. وبالتالي، هو من المذاهب المسيحية الشرقية الأقرب للتوحيد. وهنا وجدوا في مذهب الدوناتية نفس العقيدة الموحدة فتعاونوا معهم مذهبيا وحرروهم سياسيا من الإستعمار الروماني لكن تواجد الوندال في بلاد البربر لم

---

[1] الليمس : خط التحصينات الرومانية التي تحيط بالأقاليم محتلة من طرف روما راجع عبد القادر جغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 79.

[2] لاشك أن الرومان قد حاولوا نشر لغتهم اللاتينية قصد كسب المجتمع البربري ولكن نتيجة سياسته التعسفية جعل هذا المجتمع ينفر من لغتهم وآدابهم وثقافتهم فلم يؤثر الرومان علا البربر في هذا المجال إلا بعض الحكام المرومون "كيوبا الثاني" كانوا يعيشون في المدن إلى جنب الرومان. راجع صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع.2002 ص26

[3] أندري لوشي، إيف لاكوست ، الجزائر بين الماضي والحاضر، ص.81.

[4] الوندال قبائل من أصل جرماني كانت تقطن شمال أوروبا حول بحر البلطيق توسعت إلى شمال إفريقيا. راجع ، صالح فركوس،المختصرفي تاريح الجزائر(من العهد الفينيقي الي حروج الفرنسيين 814ق م-1962م،دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة ،الجزائر ،2002 ص.34.

[5] زعم "أريوس"امازيغي الاصل أن الله واحد (مذهب أقرب إلى التوحيد) سماه "أبا" وأن المسيح كلمة الله وإبنه على طريق الإصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الاشياء وزعم أن الله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وأنها واسطة الأب والإبن (أي أن روح القدس اثر إلهي منتشر في الكون وأن روح القدس مخلوق أي مذهب يعتنقون التوحيد. راجع الشهرشاني، الملل والنحل، ص. 272.

يختلفوا كثيرا عن الرومان في إضطهادهم وإستغلالهم، حيث تبين للبربر أن الوندال مثل الرومان في القسوة والوحشية والإستغلال ،وجاءت سلطة أجنبية جديدة (الوندال) لتطرد السلطة الأجنبية التي سبقتها (الرومان). وتميزت فترة الونداليين بهدم وتخريب مدن روما في بلاد البربر وعدم المبالاة بالحضارة المادية من مدن وحصون عكس تماما الفترة الرومانية وسبب ذلك يكمن مرده إلى الصراع بين مفهومين إقتصاديين المراعي والزراعة، حيث تراجعت الزراعة في العهد الوندالي بحكم أن الوندال شعب رعوي ، غير مستقر أما البربر خاصة الطبقة الشعبية فقد حافظوا على زراعة الزيتون. وقد سقط الوندال وعاد البيزنطيون (534م – 647م) بعد أن شملت الثورات بلاد البربر جميع المناطق من موريطانيا إلى طرابلس شرقا[1]، وقد تعاملوا مع المذهب الدوناتي بالمنع وبعد قرن جاء الغرب الفاتحون وإستمر الدوناتيون طوال هذا القرن يمارسون طقوسهم في سرية **وجاء الإسلام فإعتنقوه**[2].

II)العوامل السياسية الذّاتية

ـ إسلام زعماء قبائل البربر:

تجدر الإشارة إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الملوك وإسلام شعوبهم، حيث يلاحظ أن إعتناق البربر للإسلام، بشكل جماعي كان نتيجة وصية أو إسلام زعمائهم. وهو ما تؤكده المقولة الشهيرة **"إن الناس على دين ملوكهم"**. وبالتالي سنستعرض بعض أمثلة إسلام أمراء قبائل البربر والذي أنجر عنه إسلام كافة قبائلهم.

أ- إسلام وزمار بن صقلاب (أمير قبيلة مغراوة):

[1] لقد بلغت الإمبراطورية الرومانية في الشرق والغرب وأول إمبراطور فكر في توزيع سلطته على مركزين (الغرب ميلانو) (الشرق أزمير بالانضبوا)، ثم جاء الإمبراطور "قسطنطين" الذي حول مقر سلطته إلى الشرق المشرق سنة (330م) وإتخذ عاصمته مدينة بيزنطا (التي سميت نسبة إلى مؤسسها بيزانس سنة 1200 ق.م) وغير إسمها ونسبها إليه "القسطنطينية". وهنا نشأ للإمبراطورية الرومانية عاصمتان شرقية وغربية. وفي سنة 395م توفي الإمبراطور "تيودوس" وأوصى بتقسيم الإمبراطورية بين ولديه، فأخذ الغربية "أونوريوس" والشرقية "أركاديوس"، وكان سكان الإمبراطورية البيزنطينية مزيج الرومان واليونان وقد إصطلح المؤرخون العرب على تسميتهم الروم. راجع عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 131، 132.

[2] عثمان سعدي، الأب دونا رجل الديني المسيحي الجزائري المغاربي مناضل، مقال أنترنت

إن أول ما يلاحظ في إعتناق البربر للإسلام هو سرعة إسلام البربر الذين يقطنون الجهة الشرقية، حيث أنه كلما توغل العرب الفاتحون في الجهة الغربية زادت المقاومة، إذ يذكر الناصري في كتابه الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى سرعة إسلام البربر وتقبلهم لهذا الدين، فمنذ الوهلة الأولى التي وطأت أقدام جيوش عمرو بن العاص أرض البربر **"جاءه ستة[1] نفر محلقين رؤوسهم ولحيهم وهم يرغبون في الإسلام. وذلك بدعوى أنها وصية أجدادهم فما كان على عمرو بن العاص إلا أن أرسلهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي أحضر من يترجم كلامهم غير المفهوم فسألهم عن أصولهم فقالوا أن جدهم الأكبر مازيغ ".** وهنا يجب التوقف عند عبارة "وصية أجدادهم"[2]، والتي عند تحليلها نستخلص أن إسلام البربر يعود من جهة لسنوات قبل بداية الحملات العسكرية خاصة بربر الجهة الشرقية لبلاد المغرب، بسبب قرب المسافة بينهم وبين الأمصار المفتوحة سابقا، ومن جهة أخرى إلى المقاومة العنيفة التي يلاحظ أنها تمركزت في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ووحدت البربر مرتين (كسيلة قبيلة أوربة) و(الكاهنة قبيلة جرواة)[3].

وعليه يلاحظ أن "انتشار الإسلام"[4] إمتد من برقة شمالا إلى زويلة الواقعة ، وهذا في شهور قليلة والملاحظ أن الدعوة الإسلامية في بدايتها كانت تشمل على ثلاث مراحل، الأولى الدعوة إلى الإسلام، أما المرحلة الثانية[5] فتخص النصارى واليهود التي تفرض عليهم دفع الجزية وفي الأخير هو القتال، وهذا ما حدث من عبد الله بن سعد قبل أن يشتبك مع "جرجير" في "سبيطلة" والتي أسفرت عن رفض هذا الأخير الدعوتين ، حيث ذكر عن الدعوة الأولى **"لا أقبل هذا أبدا"**[6] ورفض الدعوة الثانية

---

[1] الناصري، كتاب الأستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ص.74.
[2] في علم الديموغرافيا الجيل تعداده 33 سنة. وبالتالي، عبارة أجدادهم 66 سنة كحد اقصى.
[3] ان مقاومة كسيلة كانت عبارة عن تحالف الروم مع البربر،أما مقاومة الكاهنة فهي مقاومة بربرية صرفة توحدت في بدايتها قبائل البربر البتر مع البرانس.
[4] لقد أيد الفتح الإسلامي منذ البداية قبائل "بدوية"، قبيلة "لواتة" و"نفزاوة" و"نفوسة" و"زناتة". راجع محمد شيث الخطاب،قادة الفتح الاسلامي،ج2، ص.170.
[5] إن التعامل في الإسلام مع الديانات السماوية هو دفع الجزية أما الديانات الوضعية الوثنية فهو القتال، حيث "أن المسلمون لا يقبلون بالوثنية دينا". راجع عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص.128.
[6] المالكي، المصدر السابق الذكر، ص. 10.

بقوله" **لو سألتموني درهما واحدا لم أفعل"**[1] وإنتهى بهزيمة ومقتله وقد كان من نتائج معركة سبيطلة أن دخل في الإسلام عدد من زعماء قبائل البربرية، وهو "وزمار بن صقلاب (صولات) جد بني خزر وهو أمير قبيلة "مغراوة"[2] وسائر "زناتة"[3]، حيث أرسل الأمير إلى الخليفة "عثمان بن عفان" إلى المدينة المنورة "فأسلم على يده، ومن عليه[4] وأطلقه وعقد له على قومه"[5]. وبالتالي، يستخلص أن إسلام قبيلة مغراوة كان سببه إسلام أميرهم التي أوكلت له مهمة نشر الإسلام بين قومه حين عودته من المدينة المنورة.

ب- إسلام كسيلة (أمير قبيلة أوربة)

إن ما يثير الإهتمام في الفتح الإسلامي بإفريقية (بلاد البربر) أنه كان طويلا ،شاقا وصعبا[6] هذا لا يختلف عليه إثنان على خلاف المشرق، حيث أن البربر قاوموا العرب، وأكبر دليل على ذلك مقاومة "كسيلة" أمير قبيلة "أوربة"، حيث أنه وتطبيقا لما سبق ذكره فقد إعتنق الإسلام على يد "أبي مهاجر دينار" الذي طبق سياسة اللين مع قبائل البربر عكس تماما عقبة الذي طبق سياسة العنف كما راينا سابقا في الفصل الأول .

وفي نفس الصدد يلاحظ أن إستراتيجية "أبو مهاجر دينار" تتمثل في التعاون واللين مع البربر لإقامة نواة معسكر جديد[7] خلفا للقيروان وهي تاكيروان. وعليه، فإنه فإنه وبالرغم من تعدد الخصوم في منطقة بلاد البربر فقد تم كسب حلفاء جدد من

---

[1] المالكي، نفس المصدر السابق ، ص. 10.
[2] تعتبر مغراوة من القبائل "البترية" وهم من أبناء مغراوة بن يصلتين وجدهم الأكبر "زانا إبن يحي" أي بطن من بطون زناتة، تمتد مواطنهم ضمن المغرب الأوسط من تلمسان إلى شلف وحتى جبال مديونة، راجع بوزياني دراجي، القبائل الأمازيعية.
[3] زناتة بطونها جراوة، بنويفرن، مغراوة، بنويرنيات، وجديجن، واغمرت، بنوواركلا. المرجع بوزياني الدراجي المرجع سابق الذكر ص176
[4] "من عليه " يقصد بهم سائر قبيلته
[5] يذكر إبن خلدون أن "صولات" ذهب إلى المدينة المنورة إما أسيرا أو وافدا وهو أمير قبائل. (بنودمر، بنوواما‌نوا، بنويلومي، بنو واسين). راجع إبن خلدون، المرجع السابق الذكر، ص. 215، 216:"
[6] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص. 135.
[7] موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهرين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي ،دار هومة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002، ص. 46.

بينهم قبيلة "أوربة"[1] وهذا بإستمالة أميرها "كسيلة بن لمزم" الذي خلف شيخ القبيلة "سكرديد بن زوفي"[2] بعد أن اصطدم في معركة قرب تلمسان[3]. وأسفرت هذه المعركة عن هزيمة "كسيلة" وقبيلة "أوربة". وبالتالي، يستخلص "أبو مهاجر دينار" قد تصرف تصرفا كانت إنعكاساته إيجابية لحركة إعتناق البربر للإسلام. وهي دعوة الأمير إلى الإسلام وإلى حلف مع المسلمين. فقبل كسيلة العرض وأسلم وحسن إسلامه. وأسلمت معه قبيلة "أوربة" وأحلافها (إعتناق جماعي للإسلام). ويستوجب الذكر أن إعتناق رؤساء إتحادات القبائل[4] للدين الجديد في البدايات كانت لأسباب سياسية في كثير من الأحيان أكثر من الإقناع وهذا ما أدى إلى إنتشاره بين العامة (البربر)، حيث يذكر هشام جعيط **"أنه عند حدوث صدمات تنتشر الأسلمة لدى المغلوبين فيرتفع حق الغلبة[5]** " ومما يكن فإن الصداقة التي نشأت بين "كسيلة" و"أبي مهاجر دينار" أكسبت الإسلام قوة جديدة في قبائل "البرانس" و"البتر". ونتج عن ذلك ميلاد الأخوة في الدين. ومن ثم، فإن حكمة "أبي مهاجر دينار" وسياسته ومرونته لعبت دورا هاما في إعتناق البربر للإسلام. وتتمثل الأسباب السياسية[6] فيما يلي:

1- بعد نظره السياسي وسعة أفقه السياسي.
2- إنتمائه لطبقة الموالي[7] .
3- إكتساب حليف بدل عدو (لأن في بلاد البربر كثرت بها الخصوم وبالتالي الجبهات)

---

[1] تعتبر أوربة من قبائل البرانس التي تنتشر من الأطلس الأوسط إلى مشارف تلمسان وما وراءها، لكن في فترة الفتح العربي كانت تتقسم الزعامة على فرعين البرانس والبتر.
[2] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 46.
[3] تجدر الإشارة إلى أن مواطن "أوربة" توجد في المغرب الأقصى. لكن المعركة ومع "أبو مهاجر دينار" وجدت قرب تلمسان. وعليه، يستخلص أن "كسيلة " قد سمع بتحركات الجيش الإسلامي الذي يطبق إستراتيجية العسكرية "الهجوم قبل الدفاع"، الأمر الذي حمله إلى التحرك لملاقاة "أبو مهاجر دينار" في تلمسان.
[4] العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الهوية والدين، ص.19.
[5] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص.92.
[6] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر ص. 44.
[7] تعتبر "الموالي" المسلمون الجدد من السكان الأصليون (أبو مهاجر دينار هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو مولى الأنصار وكان من التابعين "محمد شيت خطاب قادة فتح مغرب العرب).

ومن الناحية التاريخية تعثرت ظاهرة أسلمة البربر لدي عودة عقبة. ومواصلة سياسية العنف وقد إرتكب عقبة خطأ جسيما حينما عاد للمرة الثانية إلى إفريقية، حيث إنتقم من "أبي مهاجر دينار" بسبب سوء عزله في البداية، أما الإنتقام من "كسيلة" ومعاملة الإثنين معاملة قاسية فقد كان خطأ جسيما ولا ننسى أن كسيلة كان حديث العهد بالاسلام وأنه من فئة المؤلفة قلوبهم[1] اللذين عاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل معاملة خاصة ليستميلهم ويدخلهم الإسلام ، فما بالك بكسيلة الذي كان مسلم ؟ أما الحديث عن رده "كسيلة" فيختلف فيها المؤرخون، ويبدون حيرتهم إذ أن الردة عن الإسلام ظهرت قبل وفاة الرسول صلى الله غليه وسلم. وبعد وفاته بين القبائل العربية ومنهم "عنس" و"أسد" و"تميم" و"بنوحنيفية" و"كندة" ومنهم "الأسود العنسي" و"طليحة بن ذويلة الأسدي" وسجاح التميمة" ومسلمة الكذاب" وغيرهم وقد ثارو دينيا إذ أساؤو للإسلام كإدعاء مسيلمة النبوة. وإتخاذه الزعامة السياسية . وهنا لم يتهاون "أبوبكرالصديق" رضي الله عنه في القضاء عليهم عسكريا إذ وجدت ما عرف تاريخيا **بحروب الردة**.

أما "كسيلة" فلم يثبت عنه أنه قال كلاما مّس بالإسلام ولم يمنع أي شعائر الإسلام خاصة أنه عامل المسلمين المتبقين في القيروان معاملة حسنة[2]. وبالتالي، لم يكن على شاكلة المرتدين العرب في عهد "أبو بكر الصديق". ولعل مما يدفع عنه تهمة **الردة الدينية** هو خلط المؤرخين عاملين: أولهما هو تحالف "كسيلة" مع الروم والبربر النصارى في معركة تهودة وثانيهما أنه كان سبب مقتل "عقبة بن نافع" لكن هذا لا يعني أن "كسيلة" إرتد عن الإسلام ففي صدر الإسلام عُرف أحداث مماثلة واجه فيها المسلمين بعضهم بعضا في ساحات الحرب وعلى سبيل المثال لا الحصر

[1] قال تعالى :" **إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**". سورة التوبة الآية 60. وحسب نفسير الجلالين فإن تفسير الأية هم كالآتي: ""إنَّمَا الصَّدَقَات" الزَّكَوَات مَصْرُوفَة "لِلْفُقَرَاءِ" الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَقَع مَوْقِعًا مِنْ كِفَايَتهمْ "وَالْمَسَاكِين" الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ "وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا" أَيْ الصَّدَقَات مِنْ جَابٍ وَقَاسِم وَكَاتِب وَحَاشِر "وَالْمُؤَلَّفَة قُلُوبهمْ" لِيُسْلِمُوا أَوْ يَثْبُت إسْلَامهمْ أَوْ يَسْلَم نُظَرَاؤُهُمْ أَوْ يَذُبُّوا عَنْ الْمُسْلِمِينَ. وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أربعة نفر: الأقراع بن جابس، وعيينية بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير. وقال أتألفهم. راجع تفسير إبن الكثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد 7، ص. 219

[2] أندري برنيان، أندري نوشي إيف لاكوست، ترجمة إسطنبولي، رابح ومنصف عاشور،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 80.

معركة صفين والجمل وهلماجرا. وبالتالي، فإن المؤرخين لم يتهموا فريقا عن الآخر على أنه مرتد. ونفس الشيئ ينطبق على "كسيلة".

ومنه، فإن "عقبة" و"كسيلة" مسلمان، إختلفى في الرأي وتقابلا في ساحة الحرب، فقتل أحدهما الأخر لاسباب بسيكولوجية وإنتقامية كما سبق الذكر. وبالتالي، ما يدعم هذه الحجة هو أنه:

- رعى قاعدة الاسلام ومدينة عقبة ولم يخربها (القيروان) .
- لم يسئ إلى مسجد عقبة ولا إلى المسلمين الباقين بعد الجلاء
- لم يذكر في المصادر ما يشير إلى عنصرية أو تفكير في وضع حد للإسلام كدين.

ومنه فإنه يستنتج أن "كسلية" بسبب إعتناقه سابقا المسيحية وإعتناقه طوعية الإسلام عرف دين الحق، ورغم خطأ "عقبة" بإساءة إليه رغم كونه مسلم حديث العهد بالإسلام. إلا أنه لم يرتد بحكم ثقافته الدينية وقد أيقن أن **تصرفات "عقبة" لا ترتبط بالإسلام** حتما وإنما هي تصرفات منفردة[1]. وخطأ هذا الأخير سيوقف الأسلمة[2] وتتعثر لبعد حين. وإن كانت نواياه حسنة في نشر الإسلام إلا أن الأسلوب كان خطأ لقوله تعالي سورة ال عمران 159**"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ" أي ان** الرسول لو كان فظا قاسي القلب لما انتشر الاسلام فالله يحبذ الرحمة في التعامل مع الطرف الاخر ;وارسل بذلك نبي الرحمة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم .

ج- إسلام أبناء الكاهنة:

لقد سبق التطرق في الفصل الأول إلى الكاهنة. هذه الأخيرة حيرت المؤرخين فتعددت حولها التحاليل، وإعتُبرت من الشخصيات الأسطورية الأكثر تشددا[3] ضد

---

[1] إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قدوتنا في التعامل مع هذه الموافق فعلى سبيل المثال لا الحصر، عند فتح مكة قام بإطلاق سراح المغلوبين من قبيلة "قريش" مما أدى إلى إعتناق جماعي للإسلام.

[2] يذكر رابح بونار، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1981، ص.22:**"وسار إنتشار الإسلام في إطراد وإنسياق وكاد يعمر البربرلولا غلطة سيدنا عقبة مع الزعيم البربري كسيلة التي كانت سببا في قتله وإيقاف زحف الفتح بعده إلى حين"**.

[3] تجدر الإشارة إلى أن "هشام جعيط" تطرق لمعنى لمقاومة الكاهنة وأكد أنها :" ...تجسيد لأمال البربر، حيث فرضت نفسها كقائدة دون مساعدة بيزنطية وهو الفرق بينها وبين مقاومة كسيلة، حيث أن مقاومة

الفتح الإسلامي في بلاد البربر وبمقتلها في السنوات الأولى من القرن الثامن (08) ميلادي، جعل من الممكن للإسلام أن يتقدم تقدما ملحوظا. وبالتالي، فإنه سيتم معالجة هذا العنصر من خلال التعرض إلى نقطتين، **النقطة الأولى** تتضمن أوامر الكاهنة بإحراق أشجارو تخريب إفريقية، إذ أنها ظنت أن العرب مثلهم مثل الغزاة السابقين جاؤوا للاستغلال الإقتصادي وإستبعاد البربر، الأمر الذي أثار حفيظة عامة البربر، فثاروا عليها ولجؤوا للعرب[1]. وقد كتب أحد المبعوثين لـ"حسان" يقول له **"البربر متفرقون الآن فأسرع بالمجيئ"**[2]، وقام "حسان"[3] بحملته الثانية الناجحة. و بتالي فإن نجاح الكاهنة في الاول و هزيمة العرب كان بسبب وحدة البربر أما ما إن تفرقوا بسبب سوء تقدير الكاهنة و اوامرها باحراق السند الاقتصادي للبربر وهم اشجار الزيتون تفرق البربر و لجئ بعضهم الي العرب الفاتحيين وبهذا كان هزيمة الكاهنة و إنتصار العرب الفاتحين .

أما **النقطة الثانية** فتتمثل في وصية الكاهنة لأبناءها بالإسلام والتحالف مع العرب المسلمين مع عدم تراجعها وإصرارها على مقاتلة والتصادم في معارك مع الفاتحين العرب. وعليه، بعد مقتل الكاهنة تمت الأمور على أحسن حال بين الغالب والمغلوب[4] وقد قدم **"غوتيه"**[5] تحليلا **بسيكولوجيا نفسيا** للظاهرة حين ذكر يمكننا أن

الكاهنة مثلت نقاء حركة بربرية في الجوهر، وما كان ينقصها هو إدراك معنى الدولة". راجع هشام جعيط، تأسيس المغرب الإسلامي، ص.31.

[1] فيما يخص هذا الموضوع يلاحظ أنه ليست المرة الأولي التي يلجأ فيها البربر إلي التدخل الأجنبي لحل مشاكلهم، فقد تخلصوا من الإستعمار الروماني باستمالة والاستنجاد باستعمار آخر وهو "الوندالي". وعليه، فقد ثاروا على الكاهنة بسبب سوء تقدير منها. وإستنجدوا بالعرب كمخلصين لهم. والجدير بالذكر أن إبن خلدون ذكر في نفس الصدد أن:" وشق على البربر فاستأمنوا حسان". راجع إبن خلدون، العبر، ص. 219.

[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 144. والملاحظ أن غوتيه يرجع السبب أيضا إلى صراع البتر والبرانس صراعا أزليا بين البدو والحضر. راجع غوتيه، نفس المرجع السابق، ص. 145.

[3] تجب الإشارة إلى أنه يرجع سبب وجود الأزمة الإقتصادية أثناء ولاية موسى بن نصير هو سياسة الأرض المحروقة التي إنتجهتها الكاهنة.نقلا عن الأخباري الأندلسي عبد الملك بن حديب راجع علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 2008 ص. 138.

[4] علاوة عمارة،نفس المرجع السابق ، ص. 138.

[5] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 58، 60.

نفهم الأمر حين نجد البربر لا يعرفون شيئا عن الوطن كرقعة جغرافية ، وعلى أن البربري مستعد لبذل حياته في سبيل عائلته وجماعته و قبيلته.

والسؤال المطروح كيف يمكن الحفاظ على سلامة هذه الجماعة او العائلة او القبيلة؟ إن كل منتصر مستعد للإستعانة بأبناء البلاد إذ هم أبدوا إستعدادا للتعاون معه. فحين قالت الكاهنة لولديها **"إذهبا فبكما سيحافظ البربر على بعض القدرة"** والقدرة هنا تعني زعامة قبيلة "جراوة". وهنا يورد فرقا[1] بين المفهوم الغربي والمفهوم الشرقي للوطن. فالغرب ينظر إلى الوطن على أنه رقعة جغرافية نشعر بالغربة إذا إبتعدتها عنها أما لدى البربر فالوطن هو مجموعة بشرية جاءت نتاج أجيال متعاقبة لا تحتاج إلى الإطار الإقليمي لتحقيق وجودها(القبيلة). ومن الواضح أن "الأنساب" هي أساس الروح القبيلية والوطنية لدى شعوب البربر. والأمر الذي يستهوي الإهتمام هو إندماج أبناء الكاهنة في سلك الجندية **وإسلامهم** مما إنجر عليه إسلام شعوب "جراوة" العنيدة، ومنه وصية الكاهنة باسلام اولادها مرده انها كان غايتها الحفاظ علي الزعامة وان لبست هذه الزعامة غطاءا اخر وهذه المرة كان غطاء **الاسلام** .

III)العوامل الإقتصادية الذاتية :

ـ إعتناق البربر للإسلام بسبب عدم وجود كنيسة مستغلة:

يذكر عبد الله العروي[2] **"أسلم المغاربة كلهم فيما بعد...هذا صحيح لكن بعد قرون ولدوافع ليست كلها جديدة منها عدم وجود كنيسة مستغلة"**، فيلاحظ من خلال المصادر أن قبائل البربر في الحملات الإستطلاعية قد أسلمت وحسن إسلامهم **"مابين زويلة وبرقة سلم كلهم، حسن إسلامهم"**[3]. وعليه، يستخلص أن هؤلاء كان إسلامهم بالدرجة الأولى بسبب المقارنة ما بين الإجنبي السابق بالإجنبي الوافد، وبما أن بيزنطا وريثة روما، فقد إستعبدت البربر. ومن ثم، ظهر الفتح الإسلامي على أنه

---

[1] يلاحظ أن المفهوم الغربي للوطن كرقعة جغرافية تطور في العصر الوسيط، أما في العصور القديمة فالهجرة كانت سمات قبائل الأوروبية، الوندال، الإفرنج..إلخ. أما الشرق فمفهوم تطورفي العصر الحديث. مع وجود الحركة الإستعمارية الأوروبية.

[2] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 132.

[3] إبن الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص. 36.

تحرير للشعوب وقد أبدى العرب[1] سواء على الصعيد الديني او المالي تساهلا كبيرا[2] يتناقض مع التصرفات التعسفية لدى حكام بيزنطا وقبلهم الوندال والرومان الذين لم يختلفوا كثيرا في إستبعاد القبائل البربر، حيث أن إحتكار طبقة الأشراف لملكية الأراضي هو وراء التوسيع الدائم لنظام الإستبعاد، إذ أن النظام القائم على الإستبعاد هو أهم خصائص الإستعمار الروماني وديناميكيتة[3] تأسست على توسيع القاعدة العقارية وإمتلاك الأراضي والعبيد وكان من وراء تحقيق الكسب الاقتصادي استغلال الثروات وإستعباد الشعوب .

ويقصد بالإستغلال الإقتصادي في هذا الموضوع تحالف الإمبراطور والكنيسة الكاثوليكية[4] (الكنيسة المستغلة التي صبغت سلطة الإمبراطور بصبغة دينية فأوجدت نظام سياسي قائم على حق التفويض الإلاهي[5]) ولم يختلف الوضع كثيرا في العهد البيزنطي فهؤلاء أحفاد هؤلاء (الرومان). ومنه، الإستغلال وصل اوجه، حيث أعلن الإمبراطور "جستنسان" 553م وجوب إعتناق المذهب الكاثوليكي (السلفي)، إذ أن المسيحية كانت منتشرة بنواحي نوميديا وكذا صدور قانون من "هرقل الأول" سنة 631م فقابله البربر بالرفض[6] وهذا ما يفسر **إتخاد بعضهم الوثنية كدين معارض أكثر من إعتناق منطقي للدين.** ومنه، المؤسسة الدينية (الكنيسة) التي دخلت كوسيط إستغلالي[7] بين السلطة والرعية أدى إلى نفور من إعتناق المسيحية أو حتى معارضتها بمذاهب أخرى كما سلف الذكر في فترة الإحتلال الروماني، وهذا ما يختلف في الإسلام، حيث أنه لا وجود لهذه المؤسسة ولا وجود لمؤسسة دينية

---

[1] يقصد هنا فترة الفتوحات الراشدية (الخلفاء الراشدين) التي إختلفت فيها عن الفتوحات في عصر الدولة الأموية، وقد سبق الإشارة إلى ذلك أنفا، راجع الفصل الأول من هذا المبحث، ص.20.

[2] عبد القادر جغلول،مقدمات في تاريخ المعرب الغربي القديم والوسيط، المرجع السابق الذكر، ص. 31.

[3] عبد القادر جغلول، نفس المرجع السابق، ص. 16.

[4] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 132.

[5] إن تواطئ البابا (الكنيسة الأرتودوكسية) مع الملك لإستغلال الرعية وهذا ما يفسر لائكية فرنسا، حيث أن عند إندلاع الثورة الفرنسية أول ما قتل ليس الملك وإنما القساوس المتواطئين مع الملك. وبالتالي، وجدت العلمانية والتي تعني فصل الدين عن الدولة . محاضرات رابح لونيسي ،السنة الاولي ماجستير ،مقياس الدين والسياسة، 2009-2010 ،غير مطبوعة

[6] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق الذكر، ص. 135. راجع جورج مارسي ، المرجع الآنف الذكر، ص. 41.

[7] إن الإستغلال الإقتصادي قد إنتشر وأن الهوة بين الحاكمين والمحكومين أي بين البيزنطيين والبربر قد إتسعت. عبد الله العروي، المرجع السالف الذكر، ص. 108.وندعم هذا الطرح بما ذكره عبد القادر جغلول، المرجع الآنف الذكر، ص73: **"أن الترابط بين السلطة والتعاون الديني والقوة المالية يظهر جليا في تكوين الدول والإمبراطوريات".**

كوسيط، وتختلف وضعية الإمام عن القساوسة أو البابا، وهذا ما يفسر إعتناق قبائل البربر الإسلام متاخمة لمصر كقاعدة عسكرية إنطلقت[1] منها الفتوحات أي أن مصر هيأت لفتح إفريقية.

VI) العوامل الاستراتيجية الذّاتية :

بعدما تعرفنا علي محاور المدن الاصلية في الفصل الثاني وجدت فترة أسس فيها البربر دولا إسلامية مستقلة عن الخلافة في الشرق وهذا بسبب جور ولاتها لكن إحتفظوا بالمرجعية الدينية (الدين الاسلامي) هذه المدن الجانبية الني أسسها البربر ساهمت في إستكمال اسلمة باقي البربر ويرجع لها الفضل في اعتناق البربر الاسلام ومنه نستخلص تعاون البربر في أسلمة بعضهم البعض .

ـ محاور المدن الإسلامية الجانبية:

وهي التي شيدت وإنفصلت على خلافة المشرق وكان لها دور في أسلمة بلاد البربر.

1- تاهرت:

إن مدينة تاهرت قديمة ترجع تاريخها إلى العصر الروماني ثم البيزنطي[2] وقد كانت مهد الدعوة الرستمية نسبتا إلى عبد الرحمن بن رستم، حيث تم إختطاط تاهرت الرستمية سنة 161هـ (777م-779م) على حد تعبير إبن عذاري[3]**" إذ كان لابد من تنظيم دعاية واسعة النطاق للمذهب الأباضي[4] بين قبائل المنطقة وقد إستغرقت الدعوة خمسة عشرة سنة"**، والملاحظ هنا أن موقع تاهرت يشبه إلى حد كبير موقع القيروان، إذ أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها وهي تمثل موقعا إستراتيجيا

---

[1] هشام جعيط، المرجع السابق الذكر، ص.14.
[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 322.
[3] إبن عذاري، البيان، ص. 196.
[4] لقد سبق التطرق إلى دور الفقهاء المذهب الخوارج في أسلمة بلاد البربر. وبالتالي، يستخلص أن إعتناق مذهب الخوارج كان في نفس فترة إعتناق البربر للإسلام .

لمنطقة بها الأعداء من كل جانب كما أنها ملتقى الأنهار[1]. ومنه، بعد أن بويع "عبد الرحمن بن رستم" بالإمامة سنة (160هـ/ 776-777م) تم إختار موضع تاهرت لأسباب إستراتيجية نذكر منها :

- مكان يتوسط التل والصحراء .
- مركز القبائل البترية (لواتة، هوارة، زواغة ومطماطة) .
- منطقة غنية بالمياه والمراعي.

كما وجدت أساطير حول لبنة بناء ناهرت تشبه إلى حد كبير ما تم تأريخه لبناء القيروان، حيث يذكر "سعد زغلول عبد الحميد"[2] أن " مناديا نادى في الحيوانات التي كانت تسكن موضع تاهرت (الغابة) بأن يخرجوا بسبب بناء المدينة وأنهم مسلمون ومن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فخرجت هذه الأخيرة ملبية النداء، حيث تجسدت المعجزة وبهذا عمدوا إلى تنطيف المكان من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا النيران وربما يرجع سبب إلى وجود النيران وهو الأمر مقبول وبهذا فالأمر مقبول إذ يذكر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي [3] أن خروج السباع (الأسود) والحيات (الأفاعي) سبب النيران ولربما هذا ما حدث أيضا مع عقبة فإعتبرها أهل السنة من كرامات " عقبة " وكذا إعتبرها الأباضية من كرامة "عبد الرحمن بن رستم" وكما جرت العادة عند بناء المدن الإسلامية المرحلة الثانية التخطيط. وهكذا بدء بتخطيط المسجد الجامع، ثم جاء دور إختطاط المنازل والأحياء وقد ذكر "سعد زغلول عبد الحميد"[4] نقلا عن "البكري" **أن تاهرت كانت أول وهلة منذ بناءها معسكر[5] للجماعة الإباضية** "وسمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم" أو "المعسكر المبارك"، ويضيف نفس المصدر " **أن الظاهر أنه بعد أن تم بناء تاهرت الجديدة لتكون حرزا وحصنا للإسلام. أخذت وفود القبائل البربرية تأتي من الأقاليم المجاورة**

[1] لقد سبق الذكر أن إختيار المدن (الحواضر الإسلامية) يرتكز أساسا إلى وجود منابع المياه وإن لم توجد وجدت إنجازات كآبار حديج، الفرس،...إلخ. فالمياه عنصر أساسي للإستقرار. ومنه، بعث الدعوة ونجاح الأسلمة.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 297.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ،تاريخ المغرب والاندلس ،مكتبة نهضة الشرق ،

[4] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع سبق ذكره، ص. 299.

[5] يمكن تشبيهها في أول بناءها إلى القيروان التي كانت أيضا معسكر.

لبيعة الإمام"[1]. وما يمكن تمييزه هو أن "تاهرت" كانت قاعدة "عبد الرحمن بن رستم"، حيث عاشت الجماعة الإباضية في "تاهرت" في ظل إمامة "عبد الرحمن بن رستم" الذي وافته المنية سنة 168هـ/784م نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جميع أطياف المجتمع وهذا ما **شجع على إعتناق القبائل البربرالموجودون في المناطق النائية خاصة الجبال والهضاب الاسلام**، إذ يستخلص مما سبق ذكره أن هناك علاقة تكميلية بين مذهب الخوارج (الإباضية التي ذكرت في ذكرت في العوامل السياسية ومحاور الإسلامية الجانبية (المدن التي أوجدت قاعدة الدعاية) وتحلل المراجع اعتناق البربر الاسلام بعبارة **"أسلم البربر لما رأوه من عدل إمام الإباضية عبد الرحمن بن رستم"**.

2) فاس:

ترتبط إرتباطا وثيقا بدولة الأدارسة فبعد ان شهدت هذه المنطقة إنتشار مذهب الخوارج[2]، إذ ان عامل عبيد الله بن الحبحاب على طنجة وهو عمر بن عبيد الله المرادى، أساء السيرة وظلم البربر وأعلنوا الثورة على الخليفة سنة (122هـ/729م) وبقي الأمر كذلك إلا أن وفد مؤسس الدولة المغربية **"إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب"** وإلتف عليه المغاربة لنسبه الشريف وسيرته الحسنة وبهذا وحد المغرب الأقصى وتوجه نحو المغرب الأوسط. ففتح تلمسان سنة 175هـ /791م إلى أن توفي سنة 177هـ /793م، وقد إنضمت قبائل البربر إلى الدعوة العلوية وبدأت مرحلة تأسيس دولة الأدارسة. وهنا يتوجب ذكر أن وفود "إدريس" إلى المغرب الأقصى أدى **إلى أسلمة البربر وقد كانت مهمته الأولى تتفق مع رسالة آل البيت**[3] وهي العمل على نشر الإسلام والجهاد في سبل الله و دخلت قبائل البربر التي كانت على الوثنية أو أسلمت ولكن سطحيا وهي زناتة، زواغة[4]

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع الآنف الذكر، ص. 300.
[2] محمد شيب الخطاب قادة، الفتح المغرب العربي، الجزء الثاني، ص. 177.
[3] سعد زغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 430.
[4] زواغة: قبائل بترية (زناتية) هم بطن من بطون سمكان أي أبناء زواغ بن سمكان بن يحي مواطنهم ينسب إليهم بسيط زواغة الممتد بين فاس وبين صفرو وجبل كندربوزياني. راجع بوزياني الدراجي ج2، المرجع السابق الذكر، ص. 224، 225.

ولماية[1] ومكناسة[2] وغمارة[3]. كما قصد إليه الناس من كل مكان. وبالتالي، عند وفاة إدريس ولى إبنه "إدريس الثاني" عند مولده بالخلافة ولما حكم البلاد منحها إدارة حسنة[4]، وما يعتبر المهم في بحثنا هذا ليست المراحل السياسية لدولة الأدارسة وإنما بناء فاس، حيث سميت بهذا الإسم لأن لما شرعوا في بناءا[5] أساسها وجدو فأسا سموها به. هذا الأخير هو الذي قام بناءها وجعلها عاصمة البلاد سنة 192هـ/807م وسميت فاس مع تيهرت عند سعد زغلول (تيهرت بقيروان المغرب الأوسط) أما فاس (بقيروان المغرب الأقصى)[6] وهذا ما يدل على أهميتهما الثقافية التي تشبه الي حد كبير اهمية القيروان في اسلمة قبائل بربر الشرق اما تيهرت اسلمة قبائل الوسط وفاس اسلمة قبائل الغرب او المغرب الاقصي.

يعتبر تولي "إدريس بن إدريس" الإمامة سنة 188هـ/804م نقطة تحول، إذ والده إدريس لم يكن في الحقيقة إلا لاجئ لدى القبائل البربرية، وبهذا بث دعوته العلوية وكان **داعية للإسلام لدى هذه القبائل في المغرب الأقصى** ومع إبنه إدريس بدأت المرحلة الثانية، هذا الأخير بدأ يحيط نفسه بحاشية عربية[7] بمعنى هجرة العرب من الحجاز إلى المغرب الأقصى وإستقرارهم في المغرب الأقصى، ويعني هذا العمل في نفس الوقت على نشر العروبة في الدولة الناشئة إلى جانب نشر الإسلام[8]. إذ ترافقت الأسلمة مع التعريب في المغرب الأقصى. وهنا يستلزم التركيز على بناء حاضرة فاس، اذ أن الإمام وإتباعه من العرب والبربر بدأ تضييق عليهم قاعدة

---

[1] لماية بترية هم أكبر قبائل ضريسة مواطنها يضع إبن خلدون لماية في عداد قبائل الرحل، حيث تنتقل عبر إفريقية والمغرب الأقصى طلبا للكلأ المواشي (البدو الرحل). راجع بوزياني الدراجي ج2، المرجع السابق الذكر، ص. 115، 118.

[2] مكناسة: هم أبناء مكناس بن ورصطف بن يحي، وقد تشعبت بطونها بكثرة ومن بينها بني حوات وقنصارة وبني ورفلاس وورنيفة وبني ورسدوس وغيرهم مواطنها تمتد على طول وادي ملوية شمالا عند سجلماسة وحتى مصبة عند البحر المتوسط مشتملة نواحي تازا وقد سميت مدينة مكناس نسبتا إلى تمركزهم هناك. راجع بوزياني الدراجي، المرجع السابق الذكر، ص. 140، 153.

[3] وغمارة : بطن من بطون زناتة ناتة نسبتا التي غمرت بن ورتنيص مواطنهم كان في بداية الأمر جنوب بلاد صنهاجة لكن إرتحلوا إلى الجنوب جبال مدينة مسيلة. راجع بوزياني الدراجي، المرجع السابق الذكر، ص. 182، 183.

[4] محمد شيت خطاب، المرجع السابق الذكر، ص. 177.

[5] عبد الأحد السبتي حليمة، فرحات المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994، ص. 30.

[6] سعد زغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 441.

[7] سعد زغلول، نفس المرجع السابق، ص. 441.

[8] سعد زغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 445 :"سنة 198هـ وفد على إدريس الأصغر جماعات من عر ب إفريقية والأندلس من القيسية، الأزد، مدلج وبني يحصب وغيرهم...فرحب بهم الإمام الشاب وجعلهم بطانتهم".

"وليلي" (مدينة قبائل أوربة) وكان لابد له من إتخاذ مدينة (محور إسلامي) جديد أكثر إتساعا وأكثر تمثيلا لإتجاه السياسي الجديد وهو الإتجاه العربي الإسلامي. وفي هذه الظروف أعلن إدريس الأصغر سنة 190هـ/ 805-806م الإنتقال من "وليلي" ويتخذ مدينة جديدة يسكنها هو وأتباعه وعند محاولتين فاشلتين[1] أسند الأمر إلى وزيره في إختيار الموضع وهو "عمير بن مصعب سنة 191هـ ومنه إختار موضع لأحد روافد نهر سبو وهو نهر فاس (أرض فسيحة تتوسط جبلين) ولن يكن الموضع مهجورا بل كان موضع قبيلتين زناتيين هما **زواغة وبنويزغتن** وهنا إشترى الإمام إدريس الأصغر الموضع من القبيلتين ستة آلاف درهم، وتذكر الروايات أن هذه القبائل كانت على النصرانية واليهودية وحتى منهم من كانوا على المجوسية الأمر الذي أدى إلى وجود حروب وصراعات بين القبائل البربرية. وبمجيئ "إدريس" صالحا بينهم **و إنتهت هذه النزاعات نتيجة نشر تعاليم الإسلام،** والملاحظ أن المصادر ركزت على الأعمال الباهرة والخدمات الجليلة التي رافقت بناء مدينة فاس، اذ **ساهمت في دخول بقية قبائل البربر أصحاب الديانات والعقائد المختلفة الي الإسلام[2]**. وبهذا فإن تأسيس مدينة فاس من جهة وعدل "إدريس الأصغر" ومخيال دولة الإسلامية خاصة النسب الشريف[3] الممتد من آل البيت من جهة أخرى أدى إلى إعتناق قبائل المغرب الأقصى الإسلام. ومن ثم، لعبت هذه الحواضر المحاور الإسلامية سواء الأصلية كالقيروان التي تطرقنا إليها في الفصل الثاني أو الفرعية كفاس دورا هاما في أسلمة قبائل البربر.

V) العوامل الأجتماعية الذّاتية:

[1] المحاولة الأولى جبل بزالغ عند سفحه الشمالي، لكن المشكلة تمثلت في السيول والإنجراف. والمحاولة الثانية وادي سيو بالقرب من الينابيع الساخنة والمشكلة تمثلت في الفيضان. راجع سعد زغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 445.

[2] سعد زغلول، المرجع السابق الذكر، ص. 446.

[3] تجدر الإشارة إلى أن دولة "الأدارسة" عملت على توحيد المغرب الأقصى، تحت لواء أمرائها من العلويين أولهم "إدريس الأول" وكان للإنتساب الأدارسة إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم أثر كبير في توحيد القبائل المتنافرة. وبالتالي، إستطاع "إدريس الأول" توحيد قبائل السهول الساحلية وقبائل المراعي. راجع عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ئص. 41. ومن هنا **بدأت مسألة النسب الشريف في بلاد البربر وهي إشكالية أخرى موازية مع اشكالية تعريب بلاد البربر** .

ان العوامل الاجتماعية المساهمة في اسلمة البربر تتمثل في تركيبة البربر نفسها اي في طبيعة المجتمع الامازيغي القبلي بدرجة الاولي وقد قسمت إلى صراع دائم بين البثر و البرانس وقد ساهم هذا في إضعاف قوتهم وانتصارالوافد الاجنبي عليهم آخرهم الجيش الفاتح ثم نعرج إلى تشابه نمط القبيلة العربية مع نمط القبيلة البربرية وبتالي سهولة الاندماج والمصاهرة.

ــ النمط التركيبي الإجتماعي للبربر:

أ) صراع البتر والبرانس:

لقد سبق التطرق في المدخل (ماهية البربر) إلى أقسام البربر التي تتمثل في البرنس والبتر، والفوارق بين هؤولاء هي إقتصادية وإجتماعية ، وليس فوارق عرقية أو جنسية لأنهم جميعا من جنس واحد (أبناء مازيغ). وبالتالي، هذه الفوارق أدت إلي وجود صراع دائم بين البتر والبرانس[1] أي بين البدو والحضر، والملاحظ أن المؤرخين الغربيين ركزوا على هذا الصراع لتفسير سيرورة تاريخ بلاد المغرب (البربر) وفسروا نجاح كثرة الغزاة لهذه المنطقة بالصراع الدائم بين أبناء الجنس الواحد على أساس شعار "**فرق تسد**". وبالتالي، فإن الأجنبي الغازي لبلاد البربر ومهما إختلف إسمه من فينيقي إلى الرومان إلى الوندال إلى بيزنطي قد إستغل هذا النزاع لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد. وقد ميز كل من "**غوتيه**"[2] و"**شارل أندري جوليان**"[3] و"**ألفرد بال**"[4] أن ثنائية الصراع بين البتر والبرنس راجع إلى صراع بين مفهومين إقتصاديين . وبالتالي، إنعكس المجال الاقتصادي على المجال الإجتماعي أي ان الزراعة أدت إلى الإستقرار (فرع البرانس) اما الرعي فقد أدي الي الترحال للبحث عن كلأ المواشي (فرع البثر) وأسباب عدم وحدة البربر سياسيا رغم النسب الواحد يرجعه المؤرخون إلى العوامل الجغرافية ايضا، حيث يرى "غوتيه"[5] **أن بلاد البربر تفتقر إلى نقطة مركزية عكس أوروبا التي حولت النواة المركزية (روما) فإتسعت بمرور الزمان ونجم على ذلك بناء متين** "على حد تعبيره أما بلاد البربر **فعدم وجود نقطة مركزية**

---

[1] أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص. 15.
[2] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص67.
[3] شارل أندري جوليان، المرجع الآنف الذكر، ص. 24.
[4] ألفرد بال، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي إلى يوم، ص. 41.
[5] غوتيه، المرجع السابق الذكر، ص. 06.

راجع أساسا إلى طبيعة الجغرافية لمنطقة شمال إفريقيا ويفسرها "شارل أندري جوليان"[1] إلى **التجزئة الجغرافية** التي تتمثل في صعوبة المواصلات وإنعدام الأودية المتصلة ببعضها البعض وعدم وجود ملاحة في الأنهار، بسبب ضيقها وقلة السهول أو ضيق الشريط السهلي الساحلي، الأمر الذي أدى إلى **عدم وجود عاصمة واحدة تحقق وحدة البربر**، بل بالعكس وجود صراع دائم بين البدو والحضر أي بين البرنس والبتر. والملاحظ أن "الفرد بال"[2] يتفق مع المرجع السالف الذكر، حيث يؤكد "**أن إفتقار الشمال الإفريقي إلى الوحدة الجغرافية وعدم وجود مركز إجتداب وإنعدام مجاري المياه الكبيرة القابلة للملاحة، كل هذه الأسباب أدت إلى جعل العلاقات بين مختلف قبائل صعبة، وهذا ما أسهم في تجزئة البلاد وبتالي تجزئة السلطة. ومنه أدى إلى وجود إختلافات في النمط الإجتماعي الذي إنعكس على النمط السياسي**". وعليه، فإنه ما ذكر سالفا يفسر نجاح الفتح الاسلامي وقبله الغزو الأجنبي بمختلف أنواعه، والدليل علي ان فُرقة البربر سبب إنّتكاستهم ، هزائم العرب الفاتحين أنفسهم اذ وجدت مرتين وهذا أثناء الحملات العسكرية الأولى فالاولي في فترة "عقبة بن نافع" عند مواجهة "كسيلة" أمير قبيلة أوربة، حيث ذكرت المصادر أن اثناء هزيمة تهودة **إجتمعت كل البربر**[3] تحت إمرت كسيلة مع تحالف الروم. أما المرة الثانية حين وحدت "الكاهنة" **جميع البربر** تحت إمرتها على حد تعبير "إبن عبد الحكم"[4] . ومنه، جاءت هزيمة "حسان بن نعمان" عندما تّوحد البربر، فكانوا قوة في وجه من إعتقدوه غازيا مثل الغزاة السابقين من الرومان والوندال والبيزنطيون. وبهذا ملكت "الكاهنة" بعد هزيمة "حسان" بلاد البربر خمس سنين وهزيمتها أمام "حسان" راجع بالدرجة الأولى إلى إنشقاق البربر عنها ولجوءهم لـ"حسان" بغرض الإستغاثة مماّ أقدمت عليه من تخريب لأشجار الزيتون كما سلف الذكرفي الفصل الاول، إذ صرحت للبربر "**أن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نطلب منها**

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق الذكر، ص. 24.
[2] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 41.
[3] إختلفت المصادر حول ماهية "جيش كسيلة" نفي معركة تهودة، هل كان مكون من البرانس فقط أو وجد البتر والبرانس أو وجد الروم معهم، حيث يذكر المالكي، رياض النفوس، ص. 25:" جمع له جمعا كبيرا من الروم والبربر(يعني كسيلة)".
[4] إبن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص. 76:" **وقد إجتمع حولها البربر بعد مقتل كسيلة"**.

الزارع والمراعي. فما نرى لكم إلا خراب إفريقية حتى ييأسوا إليها"[1]. وهنا أمرت بتخريب إفريقية وحرقها. وبالتالي، إنقسام البربر أدى بهم إلى هزيمة عسكرية إضطروا من خلالها لإ**عتناق الإسلام** .

وبالتالي، فالعامل الإجتماعي وإنقسام البربر إلى فرعين بتر وبرانس، أدى حسب المؤرخين الغربيين إلى تقسيم وحدتهم وهزيمتهم أمام الجيش الاسلامي الفاتح أي السبب هوعامل إجتماعي وتحديدا(نمط تقسيم قبائل البربر). والنتيجة هي هزيمة عسكرية ذكرت سالفا في عنصرالعوامل العسكرية، ويذكر "مبارك بن محمد الميلي"[2] نقلا عن بيروني" **أن إنتشار الفوضى السياسية والإجتماعية إلى درجة لم تبقى معها فكرة تعارض الإسلام.وبتالي اعتنقوا الإسلام"** أي عدم الوحدة ادت الي اطماع اجنبية وبتالي انتشرت الفوضي السيايسة التي نتيجتها تبني موقف المنتصر .

ب) تشابه نمط القبيلة العربية مع القبيلة البربرية:

إن النمط في المعيشة القبلية بين البربر والعرب والتشابه[3] في أساليب العيش أدى إلى **سهول تقبل البربر لفكرة الإسلام،** حيث أن النظام الإجتماعي لنفوذ الأجنبي السابق خاصة رومان وبيزنطا أدى إلى نفور البربر منهم. وهنا وجدت ما يسمى بالتحصينات. وكذا الإنعزالية والنفور بين الرومان والبربر وظهر ما يسمى الليمس (خط التحصينات الرومانية)[4]. وبهذا يلاحظ عدم وجود ملامح الإندماج التي تُرجمت بوجود **مدن محصنة** تمركز فيها النفوذ الأجنبي ومناطق اخري تمركز فيها البربر الرافضين للإندماج والموجدون في مناطق خارج خط التحصينات الرومانية. وكانت النتيجة مناطق تكديس وتمركز قبائل البربر في المناطق الجبلية[5] أوفي الصحراء[6]، غير أنه يختلف الأمر فيما يخص العرب الفاتحين فقد تشابه النمط الإجتماعي. وبالتالي، وجد الإندماج.[7]

---

[1] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص. 61. المالكي، رياض النفوس، ص. 34.
[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السالف الذكر، ص. 39.
[3] ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص. 83. راجع أيضا أندري لوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ص. 62.
[4] أندري لوشي، إيف لاكوست،تاريخ الجزائر في القديم والحديث المرجع السابق الذكر، ص. 79.
[5] أندري لوشي، إيف لاكوست، المرجع السابق الذكر، ص.87.
[6] جورج مارسيه، المرجع سبق الذكره، ص. 40.
[7] نجد ان بعض قبائل البربر واصلو تحصنهم في الجبال والصحراء بعد الفتح الاسلامي لهذا لم يطلهم

ومن الغريب أن نجد نفس التقسيمات فالبربر كما سبق الذكر ينقسمون إلى بدو وحضر **أو بتر** و **برانس**، وهذا ما يميز أيضا العرب الذين ينقسمون هم أيضا إلى قسمين **"قحطانية"** و**"عدنانية"**. فالأولون ينتمون إلى أصل يمني وهم أهل حضارة بينما العدنانيون أصل بداوة[1]. فالقبيلة هي أول صورة للنظام الإجتماعي، وقد إحتفظ بها كل من العرب والبربر ويقصد **بالقبيلة** جماعة من الأسرات ترتبط بصلات القربى وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع، وتحكم وفق قوانين وأعراف معينة مستمدة على مدى قرون وقرون، فإذا إتحدت عدة قبائل تحت رئيس واحد تكونت بذلك العشيرة[2]، حيث أن هذه الأخيرة تعتبر الخطوة الثانية لتكوين دولة[3] والمعروف أن البربر إستطاعوا في فترة من فترات تاريخهم تكوين ما يسمى بإتحادات قبلية[4]. وبالتالي، تعتبر القبيلة مجموعة أسر متحدة بعناصر القرابة، وهي كيان إجتماعي يقوم على أساس الدم والمصاهرة ولكل قبيلة موطنها[5]. وعليه، فإن البنية الإجتماعية عند البربر في العهد القديم هي الأسرة[6] وبإتحاد الأسر وجدت القبيلة التي أدت إلى وجود العشيرة بوجود إتحادات قبلية حسب المصالح التي تكون أساسا عسكرية ضد الوافد الأجنبي[7]. وبهذا تكون بلاد البربر قد وصلت على هذا الشكل من التنظيم الإجتماعي على إمتداد مراحل تاريخية طويلة. وعليه، فإنه نتيجة تراكمات إجتماعية[8] في وقت السلم والحرب هذه التراكمات التاريخية الإجتماعية ستعززها

التعريب وحافظوا علي هويتهم الامازيغية ومنه نستخلص أن معظم سكان شمال إفريقيا هم بربر لكن وجد بربر معربون أي تبنوا الحضارة الإسلامية والعربية وبربر محافضون إعتناقوا الإسلام وحافظوا على هويتهم بسبب العامل الجغرافي بدرجة الأولى.

[1] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص. 14.

[2] ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ ،الجزء الأول، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988، ص. 40.

[3] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 118:**" إن تشكل العشيرة هو في الحقيقة الجوار وليس النسب كما يتصوره المغاربة أنفسهم".**

[4] تجدر الإشارة إلى أن الإتحادات القبيلية أوجدت مماليك بربرية (إمارات) مثل مملكة مسينيسا، مملكة يوغورطا، الكاهنة، وبعد الإسلام وجدت على شكل دول مثل الرستمية المرابطين، الموحدين. راجع ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص. 48،49.

[5] العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الهامش رقم 3، ص. 168:**" أن بعض أسواق القبائل الأسبوعية تحولت إلى مدن وقرى بفضل النمو الدينغرافي وعلى سبيل المثال سوق خميس خنشلة الذي تحول إلى مدينة بومرداس، وسوق أربعاء نات إيراثن تحول إلى مدينة تيزي وزو، أربعاء ناث مجالد تحول إلى قالمة".**

[6] ألفرد بال، المرجع السابق الذكر، ص. 54.

[7] ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص. 54 :**" القبيلة ليست غير مجموعة من جماعات تحرص كل الحرص على إستقلالها ونزعتها الأنفصالية ضد الأجنبي".**

[8] العربي عقون، المرجع الآنف الذكر، ص. 168.

روح التضامن[1] بين أفراد القبيلة وتكونت بذلك الأعراف[2] التي تنظم الحياة الإجتماعية الإجتماعية والتي يعتز بها البربر وحافظوا عليها رغم مرور آلاف القرون عليها والتي سنتطرق لها في العنصر القادم من العوامل الدينية.

IIV) العوامل الدينية :

إن خير من سهل رسالة الإسلام هو الإسلام نفسه، حيث يذكر "غوستاف لوبن"[3] " **إذا حدث أن إعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام وإتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعروفوها من قبل... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب. ولا دينا سمحا مثل دينهم"**[4]، ويضيف المؤرخ " أن **"الإقبال الهام على إعتناق دين جديد على أثر فتح أجنبي أمر لا يكاد يعرفه العصر القديم، ولكن الإسلام يقف وحيدا في هذا الفوز"**، والملاحظ أن إدراج مثل هذه التصريحات لمؤرخين غربيين يعود إلى إبراز أهمية العامل الديني في حد ذاته وإعتراف هؤلاء بالأهمية الدينية رغم أنهم غير مسلمين ، فقد إعتنق البربر الإسلام وإطمئن الأمازيغ للرسالة المحمدية وأدركوا حقيقة هذا الدين الذي يتعامل مع البشرية جمعاء، حيث أنه دين الإنسان ككل، فيذكر "مصطفى الرافعي" **أن "الإسلام في عقائده وعبادته وفي نظمه ومعاملاته، لم يكن أنانيا قط، ولن يحارب الأديان التي سبقت بل دعاها للمجادلة والبحث بروح من الفهم العميق، والسماح الرائع**

---

[1] العربي عقون، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 168.
[2] العربي عقون، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 168.
تجدر الإشارة إلى انه سوف يتم التطرق إلى عنصر **الإعراف** في العوامل الدينية، وإحترام الإسلام لهذه الاعراف اذا لم تتنافى مع مبادئه السامية بحكم ان الاسلام دين عالمي للناس كافة يحترم خصوصية المجتمعات لقوله تعالي***"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"سورة سبأ الاية 28***
[3] غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص. 15.
[4] نقلا عن عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق الذكر، ص. 199.

وسعة الصدر وحسن الخلق"[1]. وبالتالي، فإعتناق البربر للإسلام يرجع إلى عامل الإسلام نفسه والدليل حين إعتراف البروفيسور "أرنست ثرولشن" " Earnest Troltsch " بأحقية إتباع الدين الإسلامي وذلك بعد المقارنة التي قام بها مع باقي الأديان، حيث إستنتج أن **" الإسلام هو الجوهر والأساس، لما يمنح للفرد من راحة نفسية وللمجتمع من إستقرار وهدوء"**[2].

ومن العوامل الدينية[3] التي ساهمت في إعتناق البربر للإسلام وتجذر الثقافة الإسلامية في منطقة بلاد البربر ثلاث عوامل تتمثل في:

1- طبيعة الدين الإسلامي (بساطته، سماحته، العرف والإسلام، الفطرة).

2- ظهور علماء دين من أبناء المنطقة(بربر)

3- دورالمؤسسات الدينية في أسلمة بلاد البربر(المساجد الكتاتيب والزوايا).

1- طبيعة الدين الإسلامي:

أ- بساطته:

إن بساطة الدين الإسلامي تتجلى في التوحيد المطلق، فقد جاء الإسلام يعلن وحدانية الله أي إله واحد خالق كل شئ، لا يساويه أحد، ولا يماثله أحد ولا يشاركه في شي من صفات كماله[4]، والعلاقة الوحيدة الصحيحة بين الناس ورب الناس هي إسلام الوجه له[5] والإعتماد عليه وإعتبار الدين إمتحان للآخرة وجهادا لكسبها، ويكفي لإعتناق الإسلام شهادة **"لا إله إلا الله، محمد رسول الله"**، حيث يرى "غوستاف لوبان"[6] أن **"وضوح الإسلام من أسباب إنتشاره وهذا الوضوح مشتق من التوحيد المحض الذي هو سرُ قُوتة"**، وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد في أنحاء العالم،

[1] أوريدة قرج، ماهية التراث الديني الأمازيغي وأنماطه السلسلة العلمية القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2011، ص. 15.

[2] أوريدة قرج، نفس المقال السابق، ص. 14.

[3] عبد الحكيم رحمون، البعد الديني في الشعر القبائلي،السلسلة العلمية القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2011، ص. 122

[4] محمد بن سليمان الأشقر، تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم، الطبعة العاشرة، 1425هـ، ص. 65.

[5] عمر بن عبد العزيز قريشي، سماحة الإسلام، مكتبة الإديب النهضة، السعودية، ص. 16.

[6] غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص. 15.

وتشتق سهولة الإسلام من **التوحيد المحض**، وفي التوحيد سر قوة الإسلام، وسهولة إدراكه ووضوحه، بخلاف غيره من الأديان الاخرى التي يشوبها الغموض ويصعب فهم فلسفتها . وقد ساعد وضوح الإسلام وبساطته على إنتشاره في أنحاء العالم، وبذلك تفسر سر إعتناق كثير من الشعوب الإسلام ومن اللذين كانوا تابعين لحكم القياصرة فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، وهذا ما يفسر سبب عدم تحول أية أمة الي دين اخر بعد أن رضيت بالإسلام دينا[1]، والحكمة من ذكر مثل هذا التصريح هو إضهار الموضوعية في البحث والمعالجة، حيث بالرغم من أن "غوستاف لوبان" غير مسلم إلا أنه كان له رأي موضوعي بعد الدراسة التي أجراها عند المقارنة بين الأديان، إذ يمكن المقارنة ما عاشه البربر في فترة الدولة البيزنطية من مناقشات وخلافات دينية عرفت تاريخيا بإسم **مناقشات البيزنطية**[2] وحتى أنه مع مر التاريخ أصبح يعرف هذا "السجال"[3] بإسم مناقشات بيزنطا لأنه لا طائل منه ولا يفضي إلى شئ سوى تعقيد ما هو أعقد أصلا. وهذه المناقشات والجدال الديني أدى إلى إنقسام المسيحية ودارت المناقشات حول طبيعة المسيح[4] . ويذكر عبد الرحمن بن بن محمد الجيلالي أن" **إن دّل هذا الجدل والنقاش الديني المتصل الذي سبّب الإنقسام في الكنائس الشرقية على شئ فإنه يدل على نعمة كانت خفية**[5]"وقد ذكر في الكتاب الكتاب الله العزيز الحكيم التدافع بين الباطل والحق[6]. وبهذا فقد قارن البربر بين هرطقة المسيحية وجدل حول مشيئة المسيح وبساطة الاسلام فيما يخص سيدنا عيسي ***لقوله تعالي" إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن***

[1] عمر بن عبد العزيز قريشي، سماحة الإسلام، المرجع السابق الذكر، ص. 148.
[2] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص. 136.
[3] محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ص07:" **إن خطاب السجالي هو خطاب الرغبة منه إبطال رأي الخصوم أكثر من شيئ آخر أي أنه الخطاب الردود والردود على الردود"**. وبالتالي، لا يبني معرفة ولا يبرهن على حقيقة.
[4] راجع المذهب الدوناتي عنصر من هذا البحث ص102.
[5] عبد الرحمن محمد الجيلالي، المرجع السابق الذكر، ص. 136.
[6] لقوله تعالي ***"فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ"*** يذكر محمد عمارة في مقالة الدراسات الإسلامية، فإذا إختلت موازين العدل والوسط بين الفرقاء المختلفين والمتمايزين في الطبقات الإجتماعية أو الشرائع الدينية أو الفلسفات أو الحضارات، فإن الفلسفة الإسلامية تحبذ طريق "التدافع" الذي يعدل المواقف فينتقل من مستوى الخلل إلى مستوى العدل والتوازن...فالتدافع هو الذي يعدل المواقف الظالمة.

فَيَكُون*"**[1] وقوله سبحانه تعالي أيضا "يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا*"**[2] وقوله جل جلاله "***وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ*"**[3] ، ومنه نستخاص ان المذاهب الاسلامية التي وجدت في الإسلام تقوم أساسا على العلاقة بين الدين والدولة إي مردُها أساسا الي إشكالية الإمامة والسلطة[4] وليس في **جوهر الإسلام** الذي أساسه التوحيد المطلق. وعليه فالصراعات والخلافات الإسلامية آنية تحكمها مسألة الامامة (السلطةوالمصالح)، أما الدين فلم يكن مرجعية في هذا الخلاف وإنما الخلاف كان خلافا **سياسيا** وليس **دينيا ولا ضد الدين**، وهذا هو الفرق بين الإسلام الذي إعتنقه البربر والمسيحية التي تضاءلت نسبتها بعد دخول العرب الفاتحين وهذا حسب شهادة المؤرخين الغربيين انفسهم كـ"توماس أرنولد" الذي يرى أن الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الإشتقاقية والتاريخية فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الإنطباق...وبذلك تتخلص العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الإعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه[5]محمد صلي الله عليه وسلم ويضيف نفس المؤرخ أن نجاح الدعوة الإسلامية تتمثل في بساطة العقيدة **"لا إله إلا الله محمد رسول الله"**، وكل ما يطلب من يدخل في الإسلام قبول هاتين الشهادتين، ويرى نفس المصدر أن هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان ولا تثير في العادة مصاعب عقلية

---

[1] سورة آل عمران، الآية 59.
[2] سورة النساء ،الآية171
[3] سورة المائدة ،الآية 116
[4] محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ص. 22،23:" **أول ما إختلف فيه المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم إختلافهم في الإمامة...أما الدين فلم يكن موضوع خلاف".**
[5] أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ص. 455.

خاصة وبذلك خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية، ثم هي تبعا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي، وإنها لتمتلك فعلا قوة عجيبة لإكتساب طريقها إلى ضمائر الناس[1].

ب- سماحة الإسلام:

يذكر "توماس أرنولد"[2] أن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم والدليل ***قوله تعالى " لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (٢٥٦)***[3]، وكذا قوله تعالى: ***وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ"*** [4]، ويلاحظ أن الدليل يوجد أيضا من خلال **الإنحلال التدريجي للكنيسة المسيحية،** حيث أن بقائها بعد الفتح أكثر من ثمانية قرون[5]. لدليل على التسامح الذي يميز الإسلام، علاوة على ذلك فإن الفاتحون العرب والحكام المسلمون في إفريقيا الشمالية (بلاد البربر) هم الذين إستخدموا جنودا مسيحيون ومنحوا المسيحيين من التجار والمستوطنين بمقتضى معاهدات متكررة، الحرية في آداء شعائرهم الدينية. وهنا تؤكد العديد من النصوص العربية والأجنبية عن وجود جاليات أو أقليات مسيحية متوسطة تعيش في دار الإسلام بالمغرب الوسيط[6]، فقد تمتعت أقليات المسيحية بالإحترام والتسامح والأمن وحرية إقامة شعائرهم بالكنائس المتواجدة في كثير من المدن، إذ وجدت مثلا في "تيهرت" في عهد الدولة الرستمية أقلية مسيحية حتى سميت "تيهرت" بعراق المغرب[7] لكثرة الملل والنحل والأديان السماوية السماوية أما في عهد الحماديين فقد قام الأمير "حماد" ببناء مدينة جديدة سنة 398هـ/1007م هي مدينة قلعة وجعلها عاصمة لإمارته ويؤكد "بول دياكر" " Paul

---

[1] أرنولد توماس، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 454.
[2] أرنولد توماس، نفس المرجع السابق، ص. 462.
[3] الآية 257،من سورة البقرة.
[4] سورة يونس، الأية 99 .
[5] أرنولد توماس، المرجع السابق الذكر، ص. 153:" إن بقاء النصرانية الشرقية هو هبة الإسلام فقد أنقذتها من إبادة روما البيزنطية".
[6] فيلالي عبد العزيز، الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط (الجزائر)، نموذج الحياة السلم والتسامح، سلسلة الملتقيلت الشعائر الدينية حرية وممارستها حق يكفله الدين والقانون، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف 2010، ص. 29.
[7] فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق الذكر، ص. 30.

Diacre" بأن مسيحي القلعة شيدت لهم كنيسة[1] بالقرب من قصر الأمير الحمادي، حتى يكونون مقربين منه وتحت حمايته، وفي هذا الصدد يوجد الكثير من الأمثلة التي تبين التسامح الذي ميز بلاد البربر بعد إعتناق الإسلام. ونتيجة لذلك، يستخلص أن المصادر التاريخية أبرزت حرية العقيدة للأقليات الدينية في حماية الدول الإسلامية المتعاقبة على بلاد البربر، وحسن منهاج سماحة الإسلام[2] فيما يخص الديانات السماوية، حيث يعتمد الإسلام مبدأ **لا إكراه في الدين على الإقل** فيما يتعلق بأهل الكتاب (الديانات السماوية) لأن المسلمون لا يقبلون الوثنية دينا[3].

ج) العرف والإسلام:

إن طبيعة المجتمع البربر محافظ على تقاليده ومتمسك بثراثه، حيث يذكر "عثمان عكاك" **"وهكذا لم تختلف أحوال معظم البربر رغم مرور حضارات إختلافا جذريا بالإهتمام وهم لا يزالون إلى الآن في تشقف ومسكنه غير مقصودة بهما العبادة، والبربر من أشد الأجناس تمسكا بالقديم ومحافظة عليه وعدم الإقبال على الحديث والمستحدث"**[4]، وترى بعض المصادر التاريخية أن "الأمازيغ شعب عظيم" ويردف مفهوم مازيغ هو الرجل النبيل الشريف كما سبق ذكره، غير أن هناك جانب آخر من المصادر تؤكد أن الأمازيغ مازالوا محافظين على أعرافهم، عاشقين للحرية[5] فعلى الرغم من تعرض المنطقة إلى موجات إحتلال فإن القوانين العرفية بقيت هي المطبقة فلا القوانين ولا الشرائع الآتية من الشرق ولا تلك القادمة من الغرب إستطاعت محوها[6] خاصة أن الإسلام دين كوني يحترم خصوصيات المجتمعات (ويعتبر الإعراف والتقاليد مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي شريطة أن لا تخالف قواعده ومبادئه)، حيث أن رسالة الإسلام رسالة إنسانية جمعاء وقد

---

[1] فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق الذكر، ص. 31.
[2] لمزيد من أمثلة التسامح الدين في الإسلام راجع عفيف عبد الفتاح طبارة روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة 24، 1984، ص. 288، 289.
[3] عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص. 128.
[4] عثمان عكاك، المرجع السابق الذكر، ص. 68.
[5] كهينة زموش، نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية جهود الشيخ بوستة أنموذجا، سلسلة القوافل العلمية القيم الروحية في ثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2011 ص. 42.
[6] كهينة زموش، المقال السابق الذكر، ص. 43.

أرسل سيد الخلق صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة عكس الأنبياء والرسل الذين سبقوه الذين أرسلوا على أقوامهم[1]. وبهذا فالإسلام يعتبر الأعراف والتقاليد مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي شريطة أن تناقض مقاصده ومبادئه[2]، حيث يذكر غوستاف لوبان[3] **"أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا أهل كل قطر إستولوا عليه بلطف تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم"** وهو ما يعرف **بالعرف**. ولهذا لزم إستعراض علاقة الشرع الإسلامي بالعرف، حيث يذكر "عبد العزيز غوردو"[4] أن **" علاقة الشرع بالعرف متفرعة عن علاقة أخرى وهي علاقة الإسلامي الشعبي بالإسلام الرسمي، حيث لا توحي هذه العلاقة دائما إلى التنافر[5] بل تفيد التكامل أيضا "**وبهذا سيتم توسيع الشرع الإسلامي ليصبح قادرا على على إحتواء العرف وفي هذا الإطار تنتج كتب النوازل[6] والفتاوى في بلاد المغرب الإسلامي. فإن إحترام الإسلام لخصوصيات المجتمعات وعالميته وجمعهم في بوتقة الأمة الإسلامية جعل البربر يعتنقونه. وبالتالي، فالبربر مجتمع **" مسلم في دينه أمازيغي في ثقافته، عربي في مصحفه، عالمي في إنسانيته".**

---

[1] ***قال تعالى: وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ". سورة سبأ اية 28***

[2] رابح لونيسي، دعاة البربرية في مراجهة السلطة، ص. 11.

[3] غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص. 15.

[4] عبد العزيز غوردو، المرجع السابق الذكر، ص. 73 .

[5] لمياء دحماني، مداخلة تحت عنوان ظاهرة توسل بالأولياء الصالحين في التراث الديني القبائلي بين العرف والشرع، سلسلة القوافل العلمية القيم الروحية في ثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2011 ،ص 203:**"إذ كان العرف موافقا للشرع، فإن الأدب بإعتباره إنعكاسا للواقع الحياتي فإنه سيأتي حتما موافق للشرع، أما إذا كان خلاف ذلك فستنعكس الآية"**.اما عبد العزيز غوردو، المرجع السابق الذكر، ص. 74:**" فلا شك أن العادات البربر القديمة التي تضرب بجذورها عميقا في التاريخ لم يكن من السهل تجاوزها ببساطة...وبذلك إنتهى الأمر إلى التعايش بين إسلام "رسمي" لا يستوعبه إلا راسخون في العلم، وآخر شعبي لعموم الناس، وها هنا نعتقد تختفي الجذور التااريخية العميقة التي تفسر نجاح الظواهر الدينية في القرون اللاحقة (المهدوية، التصرف، الزوايا)"**.
وبالتالي، فإنه يستخلص من خلال ما سبق ذكره أن العرف هي تلك الثقافة التي إستمدها البربر على مدى قرون وقرون وعلى حد تعبير الدكتور "عمار يزلي" هو ذلك "الكل التراكمي". ومن ثم، ممارسة الدين (الطقوس)، حيث تصبح العادة تسمو على العبادة وهو سبب إختلاف العبادات والتقاليد والأعراف بين المشرق والمغرب. وبالتالي، الإسلام دين الإنسانية ويحترم إنسانيته الإنسان وخصوصيته التقافية لقوله تعالي ***"وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ " سورة الروم 22***

[6] أشهرها نوازل الونستريسي الذي إستعرض أنماط التشابه بين عادات العرب والبربر. راجع كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة في المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونستريسي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، 1997.

د) الفطرة:

يذكر مبارك بن محمد مبارك[1] **"إن ظهور الإسلام بالمغرب لأول غزو العرب له، وإنتشاره من بعد، وتمكُنه من قلوب البربرفي أمد قليل[2] لشيء عجاب في التاريخ"** ،حيث يرجع سبب إقبال البربر على الإسلام إلى **الفطرة**[3]. نتيجة لذلك، فإنه سيتم التفصيل في عبارة " ***الإسلام دين فطرة*** " نسبة إلى قوله تعالى **"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"**[4]. وكذا نسبة إلى الحديث النبوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم **"ما من مولود إلا يولد على فطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"** ، حيث يذكر أن من خلال تفسير الحديث أن المراد بفطرة **هي الإسلام**[5]. ومنه أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى**"فطرة الله التي فطر الناس عليها"** الإسلام ويرى القرطبي[6]**" أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما كما خلق أعينهم وأسماءهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى الأساس تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام هودين الحق."** غير أن "إبن قيم" يرى أنه ليس المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **" يولد على فطرة"** أنه أخرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله تعالى يقول **"وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"**[7]، لكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام[8] ومحبته. وبالتالي،

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص.39.

[2] رغم أن البربر اسلموا جميعا ولم تبقى تبقى أقلية عكس المشرق وجدت اقلية مسيحية سواء في مصر الاقباط او بلاد الشام الارمن الكاثوليك، إلا أن الأسلمة كانت بطيئة. راجع عبد الله العروي، المرجع السابق الذكر، ص132. واذا إستندنا الي تصريح عبد الرحمن بن حبيب الفهري للخليفة االعباسي المنصور**"المغرب اليوم بلاد اسلامية لا سبي فيها "**فهو حسب رأينا يغلب عليه تصريح **سياسي** أكثر من **إحصائى** لانه قد رأينا سابقا ان بربر المناطق النائية لم يكونوا قد اسلمو بعد وستأتي الاسلمة سنوات بعد ذلك

[3] الفطرة لغتة **الخلقة** ،ابن ممنظور ،لسان العرب ومعناه ان الانسان يصل اليه بمحض ما وهب من قوي دون إرشاد راجع محمد فريد وجدي ،المصحف المفسر (المقدمة)،ص27

[4] سورة الروم، الآية 30.

[5] محمد زكي الدين محمد قاسم، الإسلام والفطرة تأملات، دار الصفوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1991، ص. 26.

[6] محمد زكي الدين محمد قاسم، المرجع السابق الذكر، ص.26.

[7] سورة النحل، الآية 78.

[8] محمد زكي الدين محمد قاسم ،نفس المرجع السابق، ص.29.

فإنه يستخلص أن الإسلام بعقيدته يصل إلى الوجدان عن طريق الإقناع العقلي بموجب قوله تعالى" **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ**"[1] . ومن ثم، فإنه يتم تبني موقف المصدر الذي يذهب إلى القول أن "**البربر يقبلون على كل ما هو أسمى وعقلاني فيندمجون فيه بسرعة**"[2]. وعليه، فإن "**كل مولود يولد على الفطرة**" مفاد ذلك أن كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا يوجد أحدا إلا وهو يقر بأن له صانعا. ومنه، **التوحيد المطلق لمعرفة الذات الإلاهية**. وما تجب الإشارة إليه أن مصطلح "فطر" كثيرا ما تردد في القرآن الكريم[3] والذي يستفاد منها "الخلق والإبداع" والخلق يساوي الإبداع أي لا وجود لسابقة له أي الإتيان بالجديد في مقابل التقليدي[4]، حيث أن الإنسان في إختراعاته كثيرا ما إعتمد تقليد الطبيعة. وعليه، لم يأتي بالجديد وإنما طوره أما خلّق الله سبحانه وتعالى فهو الريادي في الخلق. ومن ثم، فاطر السموات والأرض أي خالق السموات والأرض،او مبدع السموات والارض.

وبالتالي، فالدين حقيقة كامنة في الإنسان وتعاليم جميع الأنبياء مبينة على إحياء ذلك الحس الفطري، ولهذا فقد نادى جميع المرسلين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوات الله بدين الإسلام[5] والدليل على ذلك قوله تعالى " **مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**"[6]. عليه، فإنه يلاحظ أن الإسلام لا يعني الإسلام خاتم الأنبياء بل المقصود أن اليهودية والنصرانية إنحراف عن الدين الحقيقي (التوحيد المطلق) لهذا فإنه يتم تمييز إعتناق البربر للمسيحية بنسب محدودة في حين يلاحظ إنتشار واسع لإعتناق الإسلام، فالفطرة هي التي أدت إلى محدودية إعتناق البربر للمسيحية لما يعتريها من إنحراف على دين

وفي نفس الصدد فإنه يلاحظ أن الدين كان ملازما للإنسان منذ القدم وإلى عصرنا الحالي، فبالرغم من ظهور بعض الثقافات اللادينية إلا أن أربعة أخماس من سكان العالم متدينون وهذا يدل على فطرة التدين.

[1] سورة أل عمران، الأية 19.

[2] رابح لونيسي، المرجع سبق ذكره، ص. 11.

[3] سورة الروم، الآية 30. سورة الأنبياء، الآية 56. سورة الأنعام، الآية 79. سورة الأنفطار، الآية 1. سورة المزمل، الآية 18.

[4] مرتضى المطهري، الفطرة، ترجمة لـ جعفر صادق خليلي، مؤسسة البعثة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1992، ص. 12.

[5] مرتضى المطهري، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 17.

[6] سورة آل عمران، الآية 67.

الحق، والفطرة نفسها [1] هي التي أدت إلى إنتشار الإسلام وإعتناق معظم البربر له لما يتضمنه من حق وحقيقة. ويرجع رابح بونار الدليل إلى الوقائع التاريخية[2] التي ثلث إعتناق البربر للإسلام. عندما ثار البربر على الأمويين ورفضوا النزعة القومية العنصرية (العربية) وأسسوا بذلك دول إسلامية بربرية أي لم يرتدوا عن الإسلام عكس ما رأيناه سابقا في سيرورة تاريخهم وعلى سبيل المثال أوردنا من هذا البحث أن البربر عادوا الى الوثنية عندما ثبنت روما الدين المسيحي وهذا كشكل من المعارضة والذين لم يعودوا إلى الوثنية إعتنقوا الدوناتية، أي يستخلص مما سلف ذكره أن البربر كانوا يعتنقون الأديان كشكل من أشكال المعارضة السياسية لسيطرة وظلم السلطة بمختلف أنواعها في حين أن السلطة المركزية الأموية عندما أوجدت نزعتها القومية العنصرية ثار البربر سياسيا لا دينيا. ويرجع هذا أن فطرتهم سليمة اذ انهم عرفوا أن السبب ليس الإسلام الذي هوفي الحقيقة دين عالمي وليس قومي كما سلف الذكر وإنما السبب راجع للروح العنصرية وفكرة القومية العربية [3] وتشجيع جور وظلم ولاة الخلافة الأموية. والإسلام بطبيعة الحال برئ من هذه التصرفات وبهذا إحتفظ البربر بإسلامهم بل وتفقهوا فيه ووجد بذلك علماء أمازيغ من ابناء المنطقة .

2- ظهور علماء من أبناء المنطقة(بربر):

لقد راينا من خلال الفصل التاني ان دور علماء المشرق الوافدين الي بلاد البربر كان ذو أهمية كبيرة في اسلم البربر سواء الدعاة المرابطين في الحصون العسكرية مثل شاكر وقد سبق الاشارة إليه او دعاة الضطهدين في المشرق والفارين الي بلاد المغرب وهم أساسا دعاة الخوارج لكن ومع طول مدة الفتح تبلور في بلاد البربر دعاة من ابناء المنطقة حملوا بدورهم لواء نشر الدين الاسلامي فكانوا هؤولاء مهمتهم اسهل بحكم سهولة الاتصال مع ابناء جلدتهم وسهولة التحاور معهم بسبب عدم وجود

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص. 39، ويوافقه في هذا الطرح رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص. 25:" **...والأصح أن البربر إنما إعتنقوا الإسلام عن رغبة أصيلة فيه وعن حب لمبادئه وتعاليمه...والأسباب التي أوردها مؤرخنا الجزائري الشيخ مبارك الميلي هي الأسباب الحقيقة".**

[2] رابح بونار، نفس المرجع السابق، ص. 25.

[3] رابح بونار، نفس المرجع السابق، ص.25.

عائق اللغة التي تم الاشارة له في الفصل الاول من هذا البحث وعلى سبيل المثال لا الحصر:

"أسد بن فرات"[1] و"إبن غانم"[2]،و "هود بن محكم بن هود الهواري الأوراسي"[3]، "سمكو بن واسول"[4]، "عبد السلام الزواوي"[5] وغيرهم كثيرون.

وقد ساهموا هم وغيرهم في اسلمة بني جلدتهم في المناطق النائية وبتالي الاسلمة كانت ناجحة بحكم معرفة الطرفين لبعضهما البعض .

3ـ دور المؤسسات الدينية في إعتناق البربر للإسلام:

أ- المساجد:

تعتبر المساجد[6] بيت أداء فريضة الصلاة وعي بيوت الله لقوله تعالى**"وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا"**[7] وقد ذكر لفظ المسجد مفردا وجمعا سبعة وعشرون مرة[8]، وهذا يدل على المكانة ودوره الهام، حيث أنه لم تعتبر المساجد المكان التي تمارس فيه الشعائر الدينية فقط وانما لعب دور مميز في الاسلمة، إذ يعتبرالمسجد المكان الذي يتم فيه تبيان شرع الله بكل وضوح، ولا يمكن للمساجد أن تؤدي دورها في نشر الإسلام، إلا إذا كان من على منابرها مهيئ تهيئة علمية، روحية، ثقافية وإجتماعية، وتاريخية. ومن ثم، يتوجب أن يكون الداعية فقيها وهذا ما تم التعرض له سابقا .

---

[1] ألفرد بال، نفس المرجع السابق، الذكر، ص. 97.

[2] إبن غانم عالم فقيه بربر الأصل كان تلميذا ومعاصرا للإمام مالك. راجع ألفردبال، المرجع السابق الذكر، ص. 98.

[3] هود بن محكم بن هود الهواري علامة في التفسير عاش في القرن الثالث هجري معاصر للدولة الرستمية 296/160هـ. راجع مسعود مزهودي،محاضرة دور الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية 2005 .

[4] سمكو بن واسول أخذ العلم عن عكرمة مولي إبن عباس. راجع مسعود مزهودي نفس المحاضرة السابقة

[5] عبد السلام الزواوي فقيه عالم لعلوم القرآن، توفي سنة 681هـ.

[6] المسجد من حيث الإستقاق اللغوي يرجع إلى مادة سجد أي أماكن لتعظيم الله والسجود لله والمسجد الإرتباط الوثيق بين اعظم هدف لخلق الإنسان (عبادة الله) لقوله تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)" سورة الذاريات، الآية 56. وأعظم مكان لممارسة ذلك الهدف لقوله تعالى: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (18)" سورة التوبة، الآية 18. راجع عبد الله نجيب سالم، تاريخ المساجد الشهير، منارات الهدى في الأرض

[7] سورة الجن، الآية 18.

[8] عمر مولود عبد الحميد، محاضرة دور المسجد والفتوى في حماية الأمن الفكري،الملتقي المغاربي بسكرة الجزائر ،ماي 2010الامن الفكري ودور المؤسسات المغرب العربي في إرسائه ص. 251.

يستخلص مما سبق ذكره، أن المساجد قد ساهمت في تجميع فئات البربر، ولهذا فقد ركز القاتحون الأوائل على بناء مساجد كان أولهم "عقبة بن نافع" سنة 760م، حيث لعبت المساجد[1] دورا فعالا في أسلمة البربر خاصة في المحاور الإسلامية أي المدن. وبالتالي، يتوجب الإشارة أن وجود التكامل بين العامل الإستراتيجي والديني، حيث تكاملت العوامل الإستراتيجية من خلال تأسيس مدن (محاور إسلامية سواء أصلية أو فرعية) مع العوامل الدينية (من خلال الفقهاء الدعاة)، إذ أنه تم تميز خلال سرد دور الدعاة والفقهاء أن "إسماعيل بن عبيد الأنصاري" وهو من التابعين والفقهاء العشرة الذين أرسلهم "عمر بن عبد العزيز" قام ببناء مسجد الزيتونة[2] ليكون له منبرا منبرا ووسيلة لإعتناق البربر الإسلام، وأول مسجد ببلاد البربر كان مؤسسه "عقبة بن نافع" في القيروان وكثيرا ما ركزت المصادر العربية على رواية القبلة ورؤيا "عقبة" لتحديد إتجاه القبلة وبعد ذلك جاء بعد "عقبة" رجال الفتح كان غالبيتهم هدفهم نشر الإسلام بين أواسط البربر، وعلى سبيل المثال "حسان" وعنايته بتحديد مسجد "عقبة" و"موسى بن نصير" وبناء مسجد تلمسان، وكذا بناء مسجد "أغمات هيلانة" في المغرب الأقصى، لكن يلاحظ أن بناء المساجد وجدت قوته وكثرته في عهد "إسماعيل بن أبي مهاجر" والي إفريقية في عصر عمربن عبد العزيز"، حيث أن هؤولاء الفقهاء ركزوا على بناء المساجد لتكون وسيلة لجموع البربر في حلقات ذكر وتدريس، وهكذا أصبح كثرة بناء المساجد تقليدا من الفقهاء الآتون من المشرق ومن أمثلة المساجد، مسجد الزيتونة ومسجد الحبلي[3] ومسجد إبن إبي مسيرة ومسجد محمد بن خيرون بالقيروان، ثم أنه كلما أسست مدن (محاور إسلامية أسس معها مساجد كمسجد أغمات هيلانة بالمغرب الأقصى، طنجة). **وهكذا إعتنق البربر الإسلام** بإجتماع العوامل الإستراتيجية التي تتمثل في المدن أوالمحاور الإسلامية، والعوامل الدينية التي

---

[1] تجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاثة مساجد قديمة في القيروان:
- مسجد الأنصار: وجد قبل أن يخطط القيروان، بناه "رويفع بن تابت الأنصاري" سنة 47هـ.
- مسجد الزيتونة: بناه "إسماعيل بن عبيد الأنصاري" الذي يعتبر من الفقهاء العشرة المعروف بـ"تاجر الله" سنة 93هـ.
- مسجد أبي ميسرة: منسوب إلى أبي ميسرة الفقيه "أحمد بن نزار، تم تجديده من طرف "حسن إبن محمد بن واصل التميمي". راجع الدباغ، معالم الإيمان، ص. من 27 إلى 33.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 72:" **أن مسجد الزيتونة أسسه حسان وإستكمله بناءه إبن الحبحاب".**

[3] موسى لقيال، المرجع السالف الذكر، ص. 133.

تمثلت في الدعاة والفقهاء وتأسيس المساجد كوسيلة لتمكين[1] الإسلام في نفوس المسلمين الجدد (البربر) وهذا بنشر الثقافة الدينية وتعليم الفرائض والتفريق بين الحلال والحرام[2].

ب) الكتاتيب والزوايا :

تذكر بعض المصادر التاريخية[3] أن حركة إنتشار الإسلام في إفريقية تعود إلى المراكز الثقافية والتي يطلق عليها إسم "الكتاتيب"، حيث يلاحظ أنه في بادئ الأمر كانت عبارة عن خيام أي في مرحلة الحملات العسكرية، ثم أصبحت في فترة الإستقرار أي فترة "حسان بن نعمان" و"موسى بن نصير"، وقد كان لها دور تكميلي مع دور المساجد في المجال الإجتماعي والعلمي والثقافي، إذ كان المنهج المعتمد في تلك الفترة تقليدي وبسيط يتمثل في جلوس الفقيه أو الداعية ومن حوله الطلبة يستمعون إليه. وتجدر الإشارة إلى أن الكتاتيب في إفريقية ترجع إلى نهاية القرن الأول هجري[4]، حيث ذكرالدباغ[5] أن **"كان سفيان إبن وهب[6] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"**. وبالتالي، فإنه يستخلص أن الكتاتيب تعتبر مؤسسة دينية أساسا لتعليم القرآن، حيث لعبت دورا هاما في إعتناق البربر الإسلام، إذ يتم في الكتاتيب حفظ القرآن الكريم، وبذلك يستطيع الغلام بواسطته أن يلم بمبادئ القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله القرأن الكريم.

وبالتالي، يستشف مما ذكر أعلاه أن الكتاتيب ساهمت في إنتشار الإسلام في منطقة البربر، حيث كانت مصدر إلهام خاصة لدى صغار السن الذين إلتحقوا بها

---

[1] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 132.

[2] لقد تم الذكر سابقا أن البربر عند إرسال "عمر بن عبد العزيز" الفقهاء العشرة لم يكونوا يفرقوا بين الحلال والحرام خاصة فيما يخص الخمروبتالي معرفتهم كانت سطحية فيما يخص تعاليم الاسلام .

[3] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 133. راجع أيضا حسين مؤنس، المرجع السالف الذكر، ص. 297.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق الذكر، ص. 133.

[5] الدباغ، معالم اليمان في معرفة أهل القيروان المصدر السابق الذكر، ص. 151.

[6] هو سفيان بن وهب الخولاني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحج معه حجة الوداع وشهد فتح مصر، دخل القيروان في زمن "عبد العزيز بن مروان" سنة 78هـ. راجع الدباغ المصدر السابق الذكر، ص. 151.

لتعلم مبادئ الدين الإسلامي، ومن ثم الإلتحاق بعد ذلك بالجامع لتعلم أصول الفقه والنحو[1] .

وهناك مؤسسة دينية أخرى تتمثل في "الزوايا"[2] التي تعتبر تطورا[3] للرباط العسكري الذي تم التعرض له في السابق حين التطرق للعوامل العسكرية، إذ إكملت الزوايا أسلمة المناطق النائية في بلاد البربر "كتامة" و"مصمودة"[4]. وبالتالي، يستخلص أن المؤسسات الدينية من مساجد، كتاتيب والزوايا كان لها دورا فعالا في أسلمة البربر وكانت وسيلة من وسائل الدعاة والفقهاء. وهنا يجدر بنا أن نتوقف في نقطة مهمة وهي أن الزوايا رغم أن دورها كان إيجابيا إذ كانت قواعد روحية لنشر الإسلام إلا أن عملية تحول الرباطات إلى زوايا أوجدت نتيجة سلبية متمثلة في أن أعداء الإسلام بدؤوا[5] يعتدون على المغرب الإسلامي دون أن يجدوا مقاومة تذكر وهنا بدأت مرحلة الخطر الصليبي الاسباني والبرتغالي لتتلوها مرحلة الحركة الاستعمارية .

---

[1] محمد الشاذلي الخولي، دور المساجد التاريخي في التثقيف، عدد 10، وزارة الأوقاف، القاهرة، ص. 28.

[2] الزوايا : جمع زاوية وهي لغويا مأخوذة من فعل زوي وإنزوى بمعنى إبتعد وإنعزل وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بناءها أول مرة من المتصوفة والمرابطين إختاروا الأنزواء بمكانها والإبتعاد عن صخب العمران وطلبا للسكون والهدوء اللذين يساعدان على التأمل وينسبان جو الذكر والعبادة. أما معنى الإصطلاحي فيراد منه مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد غير جامع ليس فيه منبر. صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، طبعة خاصة 2009، ص.203.

[3] صلاح مؤيد العقبى، نفس المرجع السابق، ص. 217، 218 حيث يذكر:" قد إكتظت الرباطات بالنخبة من أبناء الإسلام وأصبحت إبتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا ...وبعد إنقضاء زمن الجهاد تحولت الرباطات إلى زوايا والهدف من إنشاءها رغبة الشيخ الصوفي الإجتماع بمريدية وتلاميذته".

[4] العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، المرجع السابق الذكر، ص.20 .

[5] صلاح مؤيد العقبى، المرجع السابق، ص. 219.

ومنه فأسلمة البربر طالت مدتها تعددت فيها العوامل والوسائل نتيجتها إسلام جل البربر، إسلام إعتُنق في العصر الوسيط ولم يستطع الاستعمار إنتزاعه في العصر الحديث .

الخـــــاتمـة

الخاتمة

لقد أبرزت الدراسة المتعلقة بموضوع إعتناق البربر للإسلام عدة حقائق تاريخية تتلخص في مايلي :

- إن الفتح الاسلامي في بلاد البربر كان طويل الأمد، صعبا عكس تماما ما حدث في الأقاليم المشرقية، إذ إستلزم الأمر أكثر من خميسن عاما تكبد فيها العرب خسائر وهزموا في عدة صدامات .
- إقبال البربر في مجملهم في النهاية على إعتناق الإسلام، لنتيجة تعتبر مذّهلة، حيث لم يلاحظ هذا الإقبال في أي إقليم مر به الفتح الاسلامي ، ومنه لم تبقى فيهم أقلية مسيحية رغم أنهم كانوا يدينون بها وحتى أنهم أوجدوا أسسها وفلسفتها وعلى رأسهم القديس "أغسطين" او القديس "دونا" وغيرهم كثيرون وعلي حد تعبير هشام جعيط "***حرقت إفريقية مراحل***". وهذا بإعتبار أن كل البربر أسلموا.
- رد فعل البربر إتجاه الفتح الاسلامي كان في بادئ الأول صدام عسكري، حيث أنه لم يتقبل البربر هذا الفتح وإعتبروه غزوا أجنبيا كالغزو الفينيقي،

الروماني، الونذالي والبيزنطي. وبالتالي، فقد هُزم الجيش الاسلامي الفاتح في عدة مناسبات أشهرها هزيمة تهودة بقيادة كسيلة أمير قبيلة أوربة وهزيمة حسان أمام الكاهنة، إلا أنه و مع مرور الزمن أصبح البربر نواة جيش الاسلامي الفاتح لضفة أوروبا بمعية زعامة طارق بن زياد الذي هو نفسه من البربر، هذا الجيش نفسه الذي كان عدوا بالأمس .

تجسيدا لجُل هذه الحقائق التاريخية كان لابد ان نرجع إلى التاريخ القديم، لنستخلص ونميز خصائص البربر إذ وجدناهم أنهم جنس يعتزون بحريتهم ودليل الصدامات العسكرية التي قاموا بها للتصدي للغزو الأجنبي بمختلف أنواعه .الأمر الذي جعلهم لا يخضعون لأي إحتلال مهما كان نوعه حتي وإن كان هذا الاحتلال أقوى دولة في تلك الفترة مثل الامبراطورية الرومانية، وهو الأمر نفسه الذي أدى إلى مقاومة البربر للعرب الفاتحين وإعتبارهم مثلهم مثل الغزاة السابقين اللذين حاولوا إحتلال بلادهم. غير أنه وبطول مدة الفتح تعرف البربر على الدين الإسلامي فقبلوه لما رأو فيه من مبادئ سامية غير عنصرية تحقق حُريتهم ورُقيهم الإجتماعي وهذا ما يفسر **الصدام** في الأول و**الإعتناق** الاسلام في الاخير ونفسر سلوك الكاهنة انها تعرفت الي مبادئ الاسلام من خلال الأسرى العرب ولهذا جاءت وَصيتُها لأبنائها بإعتناق الاسلام لكن عّندُها أدي بها الي عدم إعتناق الاسلام (وكم وجد في التاريخ الاسلامي أمثالها مثل عم الرسول صلي الله عليه وسلم أبو طالب) وكذا كان لها هدف أخر سياسي أكثر منه ديني هو ابقاء الزعامة بيد أبنائها .

بيد أنه أظهرت الدراسة وجود فرق بين فترة الفتوحات الراشدية وفتوحات الدولة الأموية هذه الاخيرة تميزت بظلم ولاتهم وإستعباد شعب البربر، بإستثناء فترة الخليفة **"عمر بن عبد العزيز"** التي تميزت بالإستقرار النسبي وإرساء معالم المساواة بين البربر والعرب. وعليه تعرف البربر في هذه الفترة على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف فقبلوه لأنهم يقبلون على كل ما هو أسمى والدليل على ذلك إستقلال البربر عن الخلافة الأموية التي لم تعد تُلبي مقاصد البربر وتشكيل دويلات إسلامية

بربرية مستقلة محتفظين **بالدين الإسلامي كمرجعية دينية** ، ومنه أصبح البربر يثورون على العرب سياسيا لا دينيا.

والجدير بالذكر أن إعتناق جزء من البربر للمسيحية كان نتيجة أن هذه الديانة يشوبها التحريف والتناقضات والتزيف والتعقيد لكثرة فلاسفتها ومذاهبها. غير أنه وبعد التعرف على الإسلام أدركوا أنه دين التكامل، دين البساطة ،دين المساواة والرقي الاجتماعي دين عالمي لا قومي وهو ما يفسر أسلمة جل البربر. نتيجة لذلك فإنه يلاحظ إندثار معتنقي الدين المسيحي بعد القرن الثاني هجري، رغم وجود التسامح الديني مع الديانات السماوية وهذا بإعتراف المؤرخين الغرببين أنفسهم كأرنولد توماس وغوستاف لوبان وشارل اندري جوليان وغيرهم .

ومنه إنقسمت عوامل أسلمة البربر التي تتمثل في العوامل خارجية وعوامل داخلية ذاتية نابعة من صلب المجتمع الامازيغي وتعددت مجالتها إذ ثمثلت في : التاريخية، سياسية، عسكرية، إقتصادية، إستراتيجية، إجتماعية وأخيرا دينية. ولعل ترك العوامل الدينية في المرتبة الأخيرة ينم عن قصد لإبراز أهميتها وإعتبارها أهم العوامل وأهمها عنصر "الفطرة" التي حباهم الله سبحانه وتعالى بفطرة سليمة أدت بهم إلى إعتناق جلهم للإسلام. (دين الحق) لقوله تعالي ***" وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ "سورة آل عمران أية 85 وقوله أيضا جل جلاله***

" إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" سورة آل عمران أية 19

ومنه إذ كان إعتناق البربر للإسلام بفعل قوة مادية بإكراه على طريق العنف (السيف) كان لابد أن يزول مفعول هذا الإكراه عند مجيئ فترة الحركة الإستعمارية. ونحن نعلم حق المعرفة أن الإقناع واليقين أقوى أثر وأعمق قي حين القوة المادية وحدها أثرُها لا يلبث أن يزُول ومن هُنا نرى أن البربر ما زالوا متمسكين بالإسلام تمسكا لم يضعفه لا مرور الزمن ولا ظلم وإضطهاد الحركة الإستعمارية التي حاولت بكل الوسائل إستعادة مجد الكنيسة الإفريقية في بلاد البربر وثورة الضهير البربري

في المغرب الأقصى 16 ماي 1930 لأكبر دليل علي ذلك ، حيث ثار البربر عندما أوجدت الاستعمار الفرنسي قانون الظهير البربري الذي ينص بموجبه **"ان تحل الاعراف البربرية محل المحاكم الشرعية الاسلامية "** وهنا خرج البربر في ثورة رافضين هذا القانون. وبالتالي نستخلص أنه رغم أننا لاحضنا أن البربر مجتمع معتز بأعرافه وتقاليده ومتمسك بكل ما هو قديم إلا أن هذا لا يقارن بتمسكهم بالإسلام وإعتزازهم به حيث إعتنقوه عن قناعة تامة .

وفي الاخير أرجو أن أكون قد وُفقت في إنجاز هذا البحث المتواضع

انتهي بحمد الله وعونه .

الملاحــــق

الملحق رقم01 :قصيدة إلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا.

الملحق رقم02 :جدول يبين التشابه اللغوي بين اللغة الفينيقية واللغة العربية الفصحي .

الملحق رقم 03: خريطة الممالك البربرية في المغرب في القرنين الخامس والسادس ميلادي.

الملحق رقم 04:خريطة جـــغــــرافية بلاد الـــبربر.

الملحق رقم 05:خريطتين للحملات العسكرية (من حملة عبد الله بن سعد الي حملة موسي بن نصير)

الملحق رقم 06:أشكال يجسدون ألهة المعتقد البربري القديم (أمون ،تانيت)

الملحق رقم 07:صور فوتوغرافية لمسجد عقبة بن نافع وجامع القرويين بفاس

الملحق رقم 01:

قصيدة الشاعر "مفدي زكريا"[1] إلياذة الجزائر تلخص تاريخ البربر عبر القرون وإعتناقهم للإسلام :

صمود الأمازيغ عبرالقـــــرو ن غزا النّيران، وراع النّجومـــــا
فكم أزعجوا نائبات اللّـيــالي! وكم دوخّوا المستمد الظّلـــومـــا
سلوا طبريّية يذكر تبيريوس تيكفرنـــــــاس يوالـي الهجـــومـــا
ثمان سنين يصـــارع رومـــا فدق المساميــر في نعش رومــــا !
وأوحــــــى له الاطلس الوحـدو ي، فوحّــــدنا فانطلقنا رجومـــا
سلوا بربروس يجبكم فراكـــــــسن من جرجـرا كيف أجلـى الغيــومــا
وقـــالوا أراديون بالكاف أودى! هـل الموت عيسى؟ يداوي الكـلوما
وهذا أغوستنس بالأعـــــــتر أفات حيّر –عبر الزمان- الفهومـــا
وأسقف بونـــــة أصبح قـــد يــــس قرطاج مذ بث فيها العلومـــا
وكـــان أغـــــستنس فخر البلاد، وكـــان بها الفيـــلسوف العظيـــــمـــا
شغلنا الورى، وملأنا الدّنا

[1] محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. 201، 203، 204.

بشعر نرتله كالصـــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

أولـــئك آباءنا، منذ عــيسى وكان محمد صـهرا لعـــيسـى

ولاح الصّباح، فهز السّكارى وأجلى النّدامى. ورضّ الكؤوسا

وأيقظ حلم الليالي الحــــبـالى وأسرج في الكائنات الشـــموسا

وأهوى على البغي، يذرو الجذو ع، ويغرس في الجبروت الفؤوسا

وحذّر آدّم ظــــــلم أخيــــه وسوّى الحظوظ، وأعلى الرّؤوسا

وأخرج حوّاء من رمســـــها فألهمت الرّوح هذي الرّمـــــوسا

لئــــن حـــارب الدّين خبت النفوس، فلـــــم يغمظ الدّيـن هذي النّفوســا

ولم نـــك ننكـــر آبــــاءنا أكانوا نصارى!! أكانوا مجوسا !!

وهل كــــان بربر إلا شقيقا لجـــرهم؟ هلاّ نسينا الدّروســـــا؟

إذا عـــــرّب الدّين أصلابنا فـــما زال أحمد صـــهرا لعيسى !

شغلنا الورى، وملأنا الدّنا

بشعر نرتله كالصـــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

وهـــبنا العروبة جنسا و دينــا وإنّا بما قد وهبـــــنا رضينـــا

إذا كــان هذا يوحّد صـــــفّـــا ويـــــــجمع شملا رفعنـــا جبينا

وإن كــــان يعرب يرضى الهوا ن، ويلبس عارا...أسأنا الظّنونــا

وقلنـــا: كسيلة كان مصيبـــا وكـــــــاهنة الحي أعلم منـــــّا !

فأهلا وسهلا بأبنـــــــاء عمّ نــــــزلتم جزائرنا فاتــــحينا

ومــــــرحى لعقبة في أرضنا يـــنير الحجى، ويشيع اليـــقينا

ويـــعلي الصّوامع، في القيروا ن ويرفعهـــا للدفاع حصونـــــا

يبثّ المراحــــــــــل في فجّ فراعـــــت أساليبه العالـــمينا

وبــــادله السّمر تبرا بملح وما كــــان فزّان عنه ضنينـــــا

ومــا كان جوهر إلاّ مدينا لعقبـــــة...يوم إستقل السّـــفينا

شغلنا الورى، وملأنا الدّنا

بشعر نرتله كالصــــــلاة

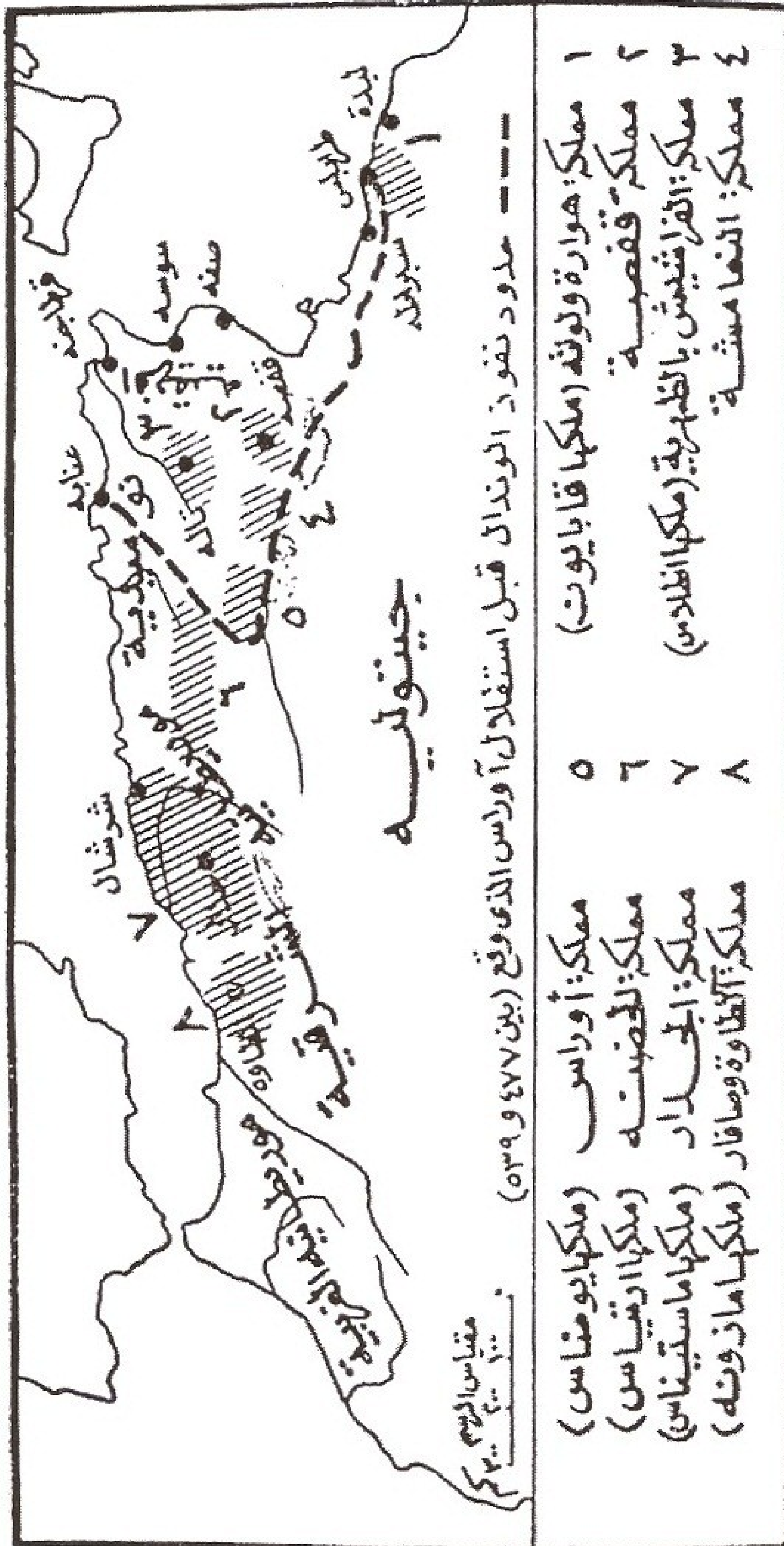
تسابيحه من حنايا الجزائر

الملحق رقم 02

جدول يقارن اللغة الفينيقية باللغة العربية العامية واللغة العربية الفصحى : المصدر العربي دحو، المدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، ص. 54.

الجملة الفينقية	مقابلها بالعامي العربي في شمال إفريقيا	و بالعربية الفصحي
1- ها أحنا بني كنعان م فرنم حقرة حمل	هنا حنا بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة	هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار
2- أوش حر حصل هك	موش حرام نحصلوا هكا؟	أليس حرام أن نحصل هكذا؟
3- لا عنا أز يدحيا قتار	ما تزدادشي الحياة عندنا أكثر	لن تزيد الحياة عندنا أكثر
4- في حيرم أناس تا بحر	في الهم الناس متاع البحر	انا أناس البحر في الهم

الملحق رقم 03



مصدر الخريطة :محمد علي الدبوز ،تاريخ المغرب الكبير ،ص266

الملحق رقم 04

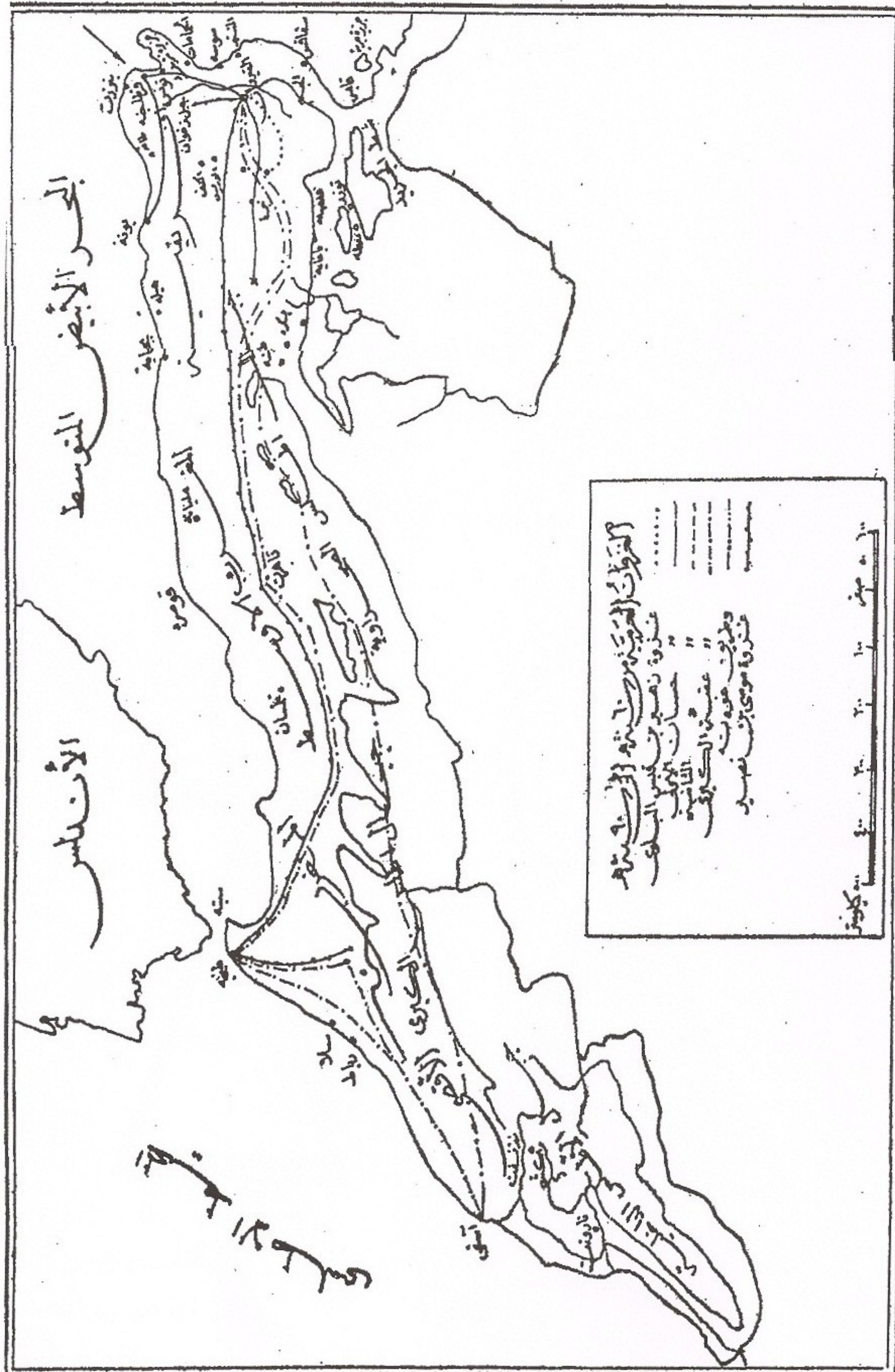
المصدر :كتاب قادة المغرب العربي الجزء الاول ،محمد شيت الخطاب ،ص171

الملحق رقم 05 أ



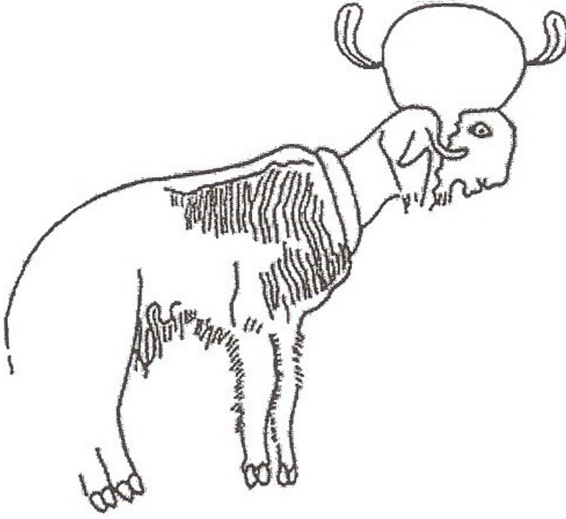
المصدر :كتاب قادة المغرب العربي ،الجزء الاول ،محمد شيت الخطاب ،ص55

الملحق رقم 05 ب

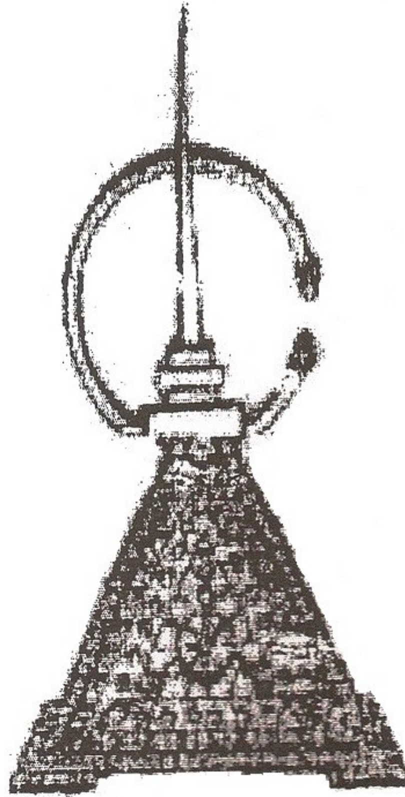


المصدر كتاب :قادة المغرب العربي ،الجزء الاول ،محمد شيت الخطاب ،ص105

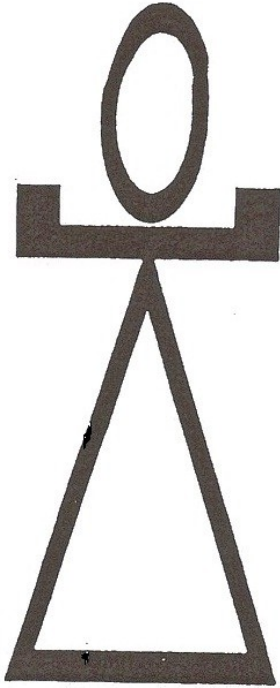
الملحق رقم 06



الشكل 01:ثمتال للكبش المقدس آمون
(وجد بموقع بوعلام -الجزائر-
مصدر الشكل :محمد علي الدبوز -تاريخ
المغرب الكبير-ص70



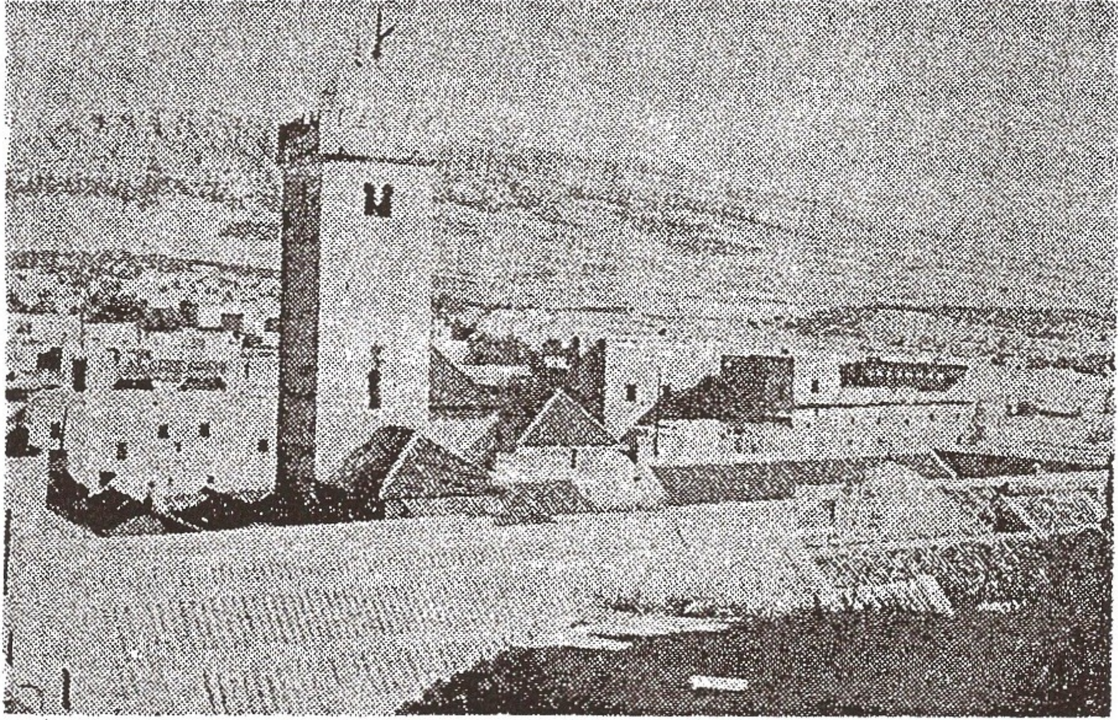
الشكل 02:حلية وتعويذة تجسّد
الالهة البربرية تانيت



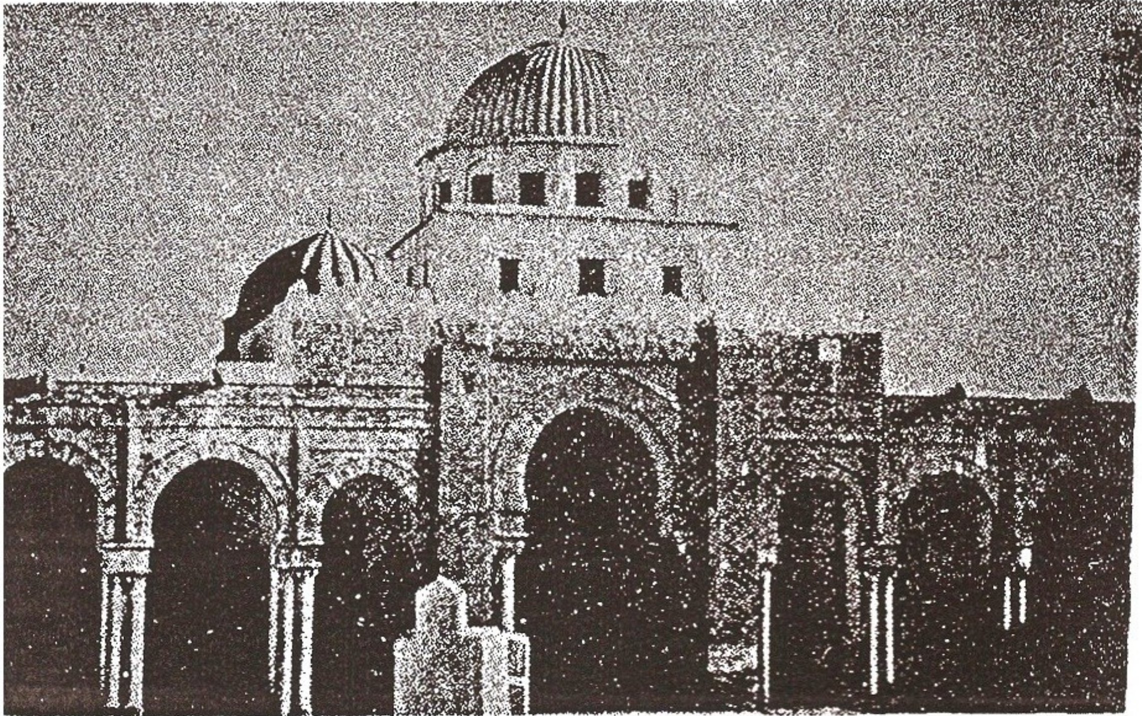
الشكل 03:شكل يرمز إلى تانيت
في النصب المخصّصة لها
ويلاحظ الشبه الواضح بينه وبين
الحلية

مصدر الشكل 02 و03:عقون محمد العربي ،الاقتصاد و المجتمع
في الشمال الافريقي القديم ،ص39.

الملحق رقم 07:



جامع القرويين بفاس



مسجد عقبة بن نافع

مصدر الصور :كتاب قادة المغرب العربي ،الجزء الثاني ،محمد شيت الخطاب ،ص366

ببيليوغرافية البحث

- القرآن الكريم برواية ورش وحفص

- تفسير القرآن الكريم:

1- إبن كثير،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن الكثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق مصطفي السيد محمد ،محمد السيد رشاد ،محمد فضل العجماوي ،علي أحمد عبد الباقي ، حسن عباس قطب ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، المجلد 13.

2- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير المعروف الطبري ،جامع البيان عن تأويل أية القرآن(تفسير الطبري)،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن،عبد سند حسن يمامة ، التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية ،دار هجر لطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الاولي ،2001

3- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ،جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ،تفسير الجلالين ،القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين ،قدمه وراجعه الاستاذ مروان سوار ،دار المعرفة ،بيروت لبنان،الطبعة الثالثة ،1984م.

4- محمد بن سليمان الأشقر، تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم، الطبعة العاشرة، 1425هـ

ـ المصادر المطبوعة:

5- إبن الأثير على بن أبي الكرم أبو الحسن، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، الجزء 2. 3. 4، 1983.

6- إبن حوقل، محمد بن علي، أبو قاسم، كتاب صورة الأرض، الجزء الأول، دار صابر للطباعة والنشر.

7- إبن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى العبر، مراجعة سهيل زكار ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء 2. 6. 7، 2001.

8- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

9- إبن عذاري محمد، أبو العباس، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة ج. س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1983.

10- إبن قتيبية الدينورى، الإمامة والسياسة، علق عليه خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1997 .

11- البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

- البلاذرى أحمد بن يحي أبو الحسن، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

12- الدبّاغ عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، إكمال وتعليق أبو الفضل التّنوخى، دار الكتب المصرية.

13- الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم، أبو إسحاق، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1994.

14- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح، الملل والنّحل، تحقيق أمير علي مهنى، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1993.

15- المالكي عبد الله بن محمد أبو بكر، الرياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكّوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994.
16- المراكشي، عبد الواحد بن علي أبو محمد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب، الدار البيضاء، الطبعة السابعة، 1978.
17-القاضي عياض، تحقيق أحمد بكير، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

ـ المعاجم اللغوية:

18- إبن منظور محمد بن مكرم، أبو الفضل، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر.
19- الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 1998.

- المراجع بالعربية :

20- إبراهيم أحمد العدوي، نظام المواطنة في الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية، بحوث تاريخ الحضارة الإسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،مصر، 2000.
21- أحمد بن النعمان ،فرنسا والاطروحة البربرية في الجزائر،منشورات دحلب،حسين داي،الجزائر،1991 .
22-أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ،بدون تاريخ .
23- أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى، 2000.

24- إسماعيل راجي الفاروقي، دلويس لمياء الفاروقي، ترجمة رياض نور الرياض، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1998.
25- الشاذلي بورونية، محمد الطاهر قرطاج البونية تاريخ الحضارة، مكتبة الإسكندرية، مركز النشر الجامعي، 1999.
26- العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، باتنة، الجزائر 1986.
27- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس، الجزء الأول، دار صادر للنشر والطباعة، 1988.
28- الناصري ،أحمد بن خالد أبو العباس، الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى،تحقيق وتعليق جعفر الناصري،محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 1997.
29- بوزياني الدراجي، سلسلة العصبية القبلية، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها جزء الاول ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
30- بوزياني الدراجي، سلسلة العصبية القبلية، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
31- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ،بدون تاريخ.
32- حلمي مرزوق، أصول العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية مجموعة بحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 2000.
33- رابح بونار ،المغرب العربي تاريخه و ثقافته ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر الطبعة التانية ،1981.
34- رابح لونيسي، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر.

35- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الجزء الثاني، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1990.

36- صابر طعيمة، دراسات في الفرق، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1983.

37- صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)،دار البصائر ،طبعة خاصة،2009 .

38- صالح فركوس،المختصرفي تاريح الجزائر(من العهد الفينيقي الي حروج الفرنسيين 814ق م-1962م،دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة ،الجزائر 2002،

39- عبد الاحد السبتي ،حليمة فرحات ،المدينة في العصر الوسيط ،قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت لبنان ،الطبعة الاولي ،1994.

40- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، الطبعة الثانية، 2009.

41- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1965.

42- عبد الحميد حبيب حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الطبعة الأولى، دار النشر للثقافة، القاهرة، مصر، 2007.

43- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الأسلامي إلى نهاية دولة الأغالبة، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1990.

44- عبد العزيز غوردو ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة،تقديم عبد الرحمن تمردي، دار ناشري لنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية، الكويت، 2010.

45- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/ 1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988.

46- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

47- عثمان عكاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

48- عثمان عكاك ، البربر ، تامغناست للنشرو التوزيع ،الجزائر ،بدون تاريخ.

49- عفيف عبد الفتاح طبآرة ،روح الدين الاسلامي عرض وتحليل لأصول الاسلام و آدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة،دار الملايين ،بيروت ،لبنان ،الطبعة 24،1984 .

50- عقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

51- عقون محمد العربي، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الهوية والأصول، مؤسسة تواليت، 2010.

52- عمر بن عبد العزيز القريشي، سماحة الإسلام، مكتبة الأديب النهضة، الرياض، السعودية، بدون تاريخ.

53- فرج نجم، القبيلة والإسلام والدولة ، مؤسسة تواليت ، 2010.

54- قصي حسين ،موسوعة الحضارة العربية العصر الاموي ،دار البحار،بيروت لبنان الطبعة الاولي ،2004.

55- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة في المغرب الأسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، 1997.

56- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،بدون تاريخ.
57- محمد بن عميرة ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
58- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1963.
59- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزء التاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1963.
60- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى إنتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
61- موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
62- محمد زكي الدين محمد قاسم، الإسلام والفطرة تأملات، دار الصفوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1991.
63- محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، قضايا الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية، 2004.
64- مفيد خالد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة ن مكتبة دار البيان، إبن الحزم
65- محفوظ كحوال من أروع قصائد مفدي زكرياء مع دراسة أدبية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
66- محمد ضيف الله بطانية، الحياة الإقتصادية في العصور الأولى للإسلام، دار كندي للطباعة والنشر، عمان، الأردن،بدون تاريخ.
67- محمد كامل حسن المحامي، الجزية في الإسلام، ضريبة الرؤوس وضريبة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

68- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، المقدمة موجز فلسفة الاديان ، الدار العربية للكتاب، 1985.

69- محمد شيب الخطاب، قادة الفتح الإسلامي، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 2002.

70- محمد شيب الخطاب، قادة الفتح الإسلامي، الجزء الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 2002

71- محمد علي الصابوني ،النبوة والانبياء، دار الهدي، ام البواقي الجزائر، 1970.

72- هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004.

73- هشام موساوي، النظام الإجتماعي في الإسلام، دار الصفوة، بيروت، لبنان بدون تاريخ.

74- يحي بوعزيز، موجز في تاريخ الجزائر، الجزء الأول والثاني، الجزائر القديمة والوسيطة، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009.

- المراجع المعربة:

75- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ترجمة إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين، إسماعيل النجراوي مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1971 .

76-ألفرد بال، الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن البدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987.

77- إميل. ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا ترجمة هاشم الحسيني، مؤسسة تواليت، 2010 .

78- أندري برنيان، أندري لوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

79- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991.
80- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، الجزء الأول، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1983.
81- عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1997.
82- غوستاف لوبان ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر،دار إحياء الثراث العربي ،بيروت لبنان ،الطبعة الثالثة ،1979.
83- كارل بروكمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1968.
84- مرتضي المطهري، الفطرة ،ترجمة جعفر الصادق خليلي،مؤسسة البعثة النشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية ،1992
85- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ، الجزء الأول، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988

ـ الدراسات الأكاديمية :

86- أوكيل مصطفي باديس ،إنتشار الاسلام في بلاد المغرب علي المجتمع خلال القرن 1 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.
87- سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، مذكرة ماجستير،كلية العلوم الانسانيةو الحضارةالاسلامية قسم تاريخ وعلم الاثار،جامعة وهران ، 2003-2004.

88- محمد إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب رسالة حتى منتصف القرن 4هـ، رسالة دكتوراه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1985.

- المقالات :

89- إسماعيل العربي ،صنهاجة كتامة وغيرها من البربر سكان شمال إفريقيا ،مجلة الاصاله ، العدد8،ماي جوان1972م.

90- أوريدة قرج، ماهية التراث الأمازيغي وأنماطه، السلسلة القوافل العلمية،العدد1 ملتقى الأمازيغ2010 القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

91- سبع قادة ، هجرة قبيلة أوربة البربرية من المغرب الاوسط ،المواطن الملابسات و النتائج ، مجلة عصور مجلة علمية يصدرها مخبر البحث التاريخي جامعة وهران ،العدد16 ،جوان ديسمبر 2010.

92- عبد الحميد حاجيات، الجزائر من الفتح الإسلامي إلى تأسيس الدولة الرستميةن مجلة الجزائر في التاريخ، العهد الأسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، عدد 03.

93- عبد العزيز فيلالي، الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط (الجزائر) نموذج الحياة السلم والتسامح، سلسلة الملتقيات، الشعائر الدينية حرية ممارستها حق يكفله الدين والقانون، بحوث الملتقى الدولي، دار الإمام المحمدية، الجزائر، فيفري 2010، منشورات وزارة الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

94- عبد العزيز فيلالي،المؤرخون الفرنسيون و الامن الفكري في بلاد المغرب، بحوث الملتقي المغاربي ماي 2010 الأمن الفكري ودور المؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر2011.

95- عبد الحكيم رحمون، البعد الديني في الشعر القبائلي، سلسلة القوافل العلميةالعدد1، ملتقى الأمازيغ2010،القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2011.
96- عبيد بوداود، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بين الأهداف والصعوبات ، بحوث الملتقي المغاربي ماي 2010،الأمن الفكري ودور المؤسسات المغرب العربي في إرسائه، ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر2011.
97- عثمان سعدي، الأب دونا رجل الدين المسيحي الجزائري المغاربي المناضل مقالة المناضل، مقالة في الأنترنت ،2009.
98- عمر مولود عبد الحميد، دور المسجد والفتوى في حماية الأمن الفكري، ملتقى المغاربي ماي 2010 الأمن الفكري ودور المؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
99- فاضل لخضر، مملكة الاوراس بين نهاية الاحتلال الوندالي وبداية الفتح الاسلامي ،مجلة عصور مجلة علمية يصدرها مخبر البحث التاريخي جامعة وهران ، العدد17 ،جوان ديسمبر 2011
100- كهينة زموش، نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية جهود الشيخ بوستة أنمودجا، سلسلة قوافل العلمية العدد1، ملتقي الامازيغ2010 القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف ،الجزائر ،2011.
101- محمد الشاذلي الخولي، دور المساجد التاريخي في التثقيف، عدد 10، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر،بدون تاريخ.
102- نور الهدي بوخالفة ،استقرار العرب وانشاء المدن والقري في المغرب الوسيط ،ملتقي التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ،ملتقي دولي افريل 2001 ،جامعة منتوري قسنطينة ،منشورات المخبر .
103- هشام الصفدي، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر ،مجلة الاصالة ،العدد8،ماي جوان 1972م

- المحاضرات :

104- محاضرات رابح لونيسي، مقياس الدين والسياسة،السنة الاولي ماجستير، الدين والمجتمع، كلية الفلسفة، جامعة وهران، 2010-2011.

105- محاضرات عمار يزلي، مقياس أنتروبلوجيا الأديان، السنة الأولى ماجستير، الدين والمجتمع، كلية الفلسفة، جامعة وهران، 2010-2011.

106-مسعود مزهودي ،محاضرة حول دور الامازيغ في إثراء الحضارة الاسلامية،الملتقي الوطني التاني حول البعد الروحي في الثراث الوطني الامازيغي ،باتنة ،الجزائر ،2005

- Bibliographie en langue français

106- C.-H. Bousquet, *Les Bérbéres,* présse histoire et institution universitaire de France, Paris, 1957.

107- M.-G. Olivier, *Recherches sur l'origine des Bérbéres,* édition lodyssée, 2009.

108- R. Basset, *La religion des bérbéres,* Revue de l'histoire des religions, Ernest leroux, Paris, 1910.

109- S. Gsell, Monuments antiques de l'algérie, Tome 1, albert fontemoing, édition 1910.

110- M. Sadok Belochi, *La convention des Bérbéres à l'islam, Maison Tunisienne, 1981.*

111- Gustave le bon 1884 la civilisation des arabes, livre I, *Le milieu et la race*, livre II, *Les origines de la civilisation arabe,* 1980 dans l'édition papier de 1980 fait avec Macintosh, nouvelle édition complète le 15 octobre 2003grace au remarquable dévouement de M. Deer.

الفـــــــهـــــــرس

المـلخـص :

" إن اعتناق البربر الإسلام لهو إشكالية في حد ذاتها، حيث نلاحظ وجود ظاهرة فريدة من نوعها لم يشهد التاريخ مثلها ولم تتكرر في أي مجتمع من المجتمعات التي مر الفتح الإسلامي بها وتتمثل في إعتناق جل البربر الإسلام صحيح بعد فترة طويلة وهذا مقارنتا ببلاد المشرق لكن النتيجة كانت فريدة من نوعها ومذهلة، إذ أن المشرق ورغم قصر مدة الفتح الاسلامي قد أنتجت أقلية مسيحية وعلى سبيل المثال لا الحصر الأقباط بمصر والأرمن الكاثوليك ببلاد الشام وهذا لم يحدث ببلاد البربر،رغم أن هؤلاء قد دان بعضهم بالدين المسيحي وحتى أنهم ساهموا في فكر وفلسفة المسيحية ذاتها أمثال القديس أغوستين، القديس دونا وأريوس وغيرهم كثيرون. وهنا كان لزاما علينا أن لا نكتفي بسرد العمليات العسكرية المصاحبة للفتح الإسلامي في العصر الوسيط وإنما نخوض ونعمق دراستنا فيما وراء هذه الفترة وهذا لفهم معمق للأحداث وبتالي تفسير وشرح الإشكالية، إذ وجدنا أن الإنسان الأمازيغي كان خبيرا في الديانات، ومنه تأثر أثر لوجود عدة عوامل خارجية بفعل تداول وفود غزاة (الفنيقيين، الرومان، الوندال، البيزنطيون) على منطقة البربر وكذا العوامل الذاتية النابعة من خصوصية المجتمع الأمازيغي ، كلها عوامل اجتمعت لاعتناق البربر الإسلام ."

الكلمات المفتاحية:

البربر؛ الأمازيغ؛ الإسلام؛ الفتح؛ المذهب الدوناتي؛ البثر؛ البرانس؛ الرباط؛ المسيحية؛ الخوارج؛ عقبة بن نافع؛ الكاهنة.